نادي النورين
بالقرآن والسنة تشرق حياتي

جامعة الدمام
UNIVERSITY OF DAMMAM

مسابقة

الوحيين

لحفظ القرآن الكريم والسنة النبوية

المحور الثاني: الإيمان حقيقته وثماره

إعداد وتجميع:

نادي النورين

بإشراف:

د.زهراء حامد الغامدي

مراجعة:

-د.منيرة الدوسري
مديرة مكتب جمعية تبيان النسائي
بمدينة الدمام

-د.فتحية القحطاني
أستاذة العقيدة المساعد بكلية الآداب
جامعة الدمام

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف خلقه، وخاتم أنبيائه ورسله نبينا محمد وعلى آله وصحبه وأتباعه بإحسان أما بعد :

فقد سلك نادي نورين بجامعة الدمام مسلكاً موفقاً في تنظيم مسابقة الوحيين للطالبات في المرحلة الجامعية بالمنطقة الشرقية من بلادنا المباركة المملكة العربية السعودية، حيث تم اختيار ثلاثة محاور عظيمة الفائدة هي محور القرآن الكريم وفضائله، وفيه تحفظ المتسابقة سورة فصلت مع تفسيرها من عدة كتب منتخبة بالإضافة إلى أحاديث كتاب فضائل القرآن للنسائي وشرح الدكتور عبدالرزاق البدر. والمحور الثاني محور الإيمان حقيقته وثماره، وفيه تحفظ المتسابقة سورة المؤمنون مع تفسيرها من عدة كتب منتخبة، بالإضافة إلى أحاديث كتاب الإيمان للبخاري. والمحور الثالثة محور الصبر والثبات عند الفتن، وفيه تحفظ المتسابقة سورة العنكبوت مع تفسيرها من عدة كتب منتخبة، بالإضافة إلى أخاديث كتاب الفتن للبخاري.

وقد تضمنت هذه المسابقة منهجاً مناسباً في التفسير والأحاديث وشرحها بلغة سهلة تعين الطالبة على الحفظ والفهم للقرآن والسنة، وهذا منهج صحيح يحبب القرآن والسنة للطالبات، ويشجعهنَّ على الاستمرار في حفظ القرآن والسنة، ويرسخ في نفوسهنَّ قيماً عظيمة من قيم الإسلام العليا التي ينبغي الحرص على تربية الطالبات عليها.

وأرجو لهذه المسابقة التوفيق والسداد، وللقائمين عليها المثوبة والإخلاص، كما أشكر جامعة الدمام لدعمها لمثل هذه المسابقة المباركة، وأرجو الاستمرار في عقدها وتوسيع نطاقها حتى يعم هذا الخير العظيم الذي تحققه المسابقة .

أ.د.عبدالرحمن بن معاضة الشهري

أستاذ القرآن وعلومه بجامعة الملك سعود

مسابقة الوحيين لحفظ القرآن الكريم والسنة النبوية

هي مسابقة يقيمها نادي النورين التابع لوكالة عمادة شؤون الطالبات بجمع الكليات بالريان – جامعة الدمام موجهة لكافة طالبات الجامعات في المنطقة الشرقية، برعاية طيبة من معالي مدير جامعة الدمام الدكتور/ عبدالله الربيش، هدفها أن يشرق قلب الفتاة المؤمنة بآيات القرآن الكريم حفظًا مرتلًا مجودًا، بفهم معنى وتدبّر غاية وحكمة، وأن يزيد إشراقه بتدارس أحاديث المصطفى عليه الصلاة والسلام تصديقًا عميقًا وتطبيقًا مخلصًا، وذلك تحقيقًا لشعار نادي النورين (بالقرآن والسنة تشرق حياتي)

تعتمد المسابقة على ربط موضوع السورة المختارة لكل محور بالأحاديث النبوية لذات الموضوع، وقد حددت لهذه الدورة من المسابقة ثلاثة محاور هي:

- المحور الأول : القرآن الكريم وفضائله، (سورة فصلت مع التفسير ، و أحاديث منتقاة من كتاب النسائي مع الشرح)
- المحور الثاني : الإيمان حقيقته وثماره، (سورة المؤمنون مع التفسير، و أحاديث منتقاه من كتاب صحيح البخاري مع الشرح).
- المحور الثالث : الثبات والصبر عند الفتن، (سورة العنكبوت مع التفسير ، و أحاديث منتقاه من كتاب صحيح البخاري مع الشرح).

والله ولي التسديد والتيسير لحفظ آيه والعمل بمقتضاها وفهم سنة رسوله عليه الصلاة والسلام وتطبيقها حتى ينضح النور من قلبك إلى الحياة من حولك.

قلب سما وترنّما بتلاوة القرآن

عقل وعى وتعلّما من سنة العدنان

إنا سنعلو إن أقمنا حق ذا الوحيان

نادي النورين
بالقرآن والسنة تشرق حياتي

جامعة الدمام
UNIVERSITY OF DAMMAM

مسابقة

الوحيين

لحفظ القرآن الكريم والسنة النبوية

سورة المؤمنون
و تفسيرها من كتب منتخبة

سورة المؤمنون

﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ
لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ
مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ۝٨
وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا
خَٰلِدُونَ ۝١١ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقۡنَا
ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ
فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ۝١٤ ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ ۝١٦ وَلَقَدۡ
خَلَقۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلۡخَلۡقِ غَٰفِلِينَ ۝١٧ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَسۡكَنَّٰهُ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ
وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٖ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ۝١٨ فَأَنشَأۡنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ لَّكُمۡ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٞ وَمِنۡهَا
تَأۡكُلُونَ ۝١٩ وَشَجَرَةٗ تَخۡرُجُ مِن طُورِ سَيۡنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ وَصِبۡغٖ لِّلۡأٓكِلِينَ ۝٢٠ وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ
نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٞ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ۝٢١ وَعَلَيۡهَا وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ ۝٢٢ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا
نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٢٣ فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن
قَوۡمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا
ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٢٤ إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلُۢ بِهِۦ جِنَّةٞ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٖ ۝٢٥ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ۝٢٦ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ
أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا
مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ۝٢٧ فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى
ٱلۡفُلۡكِ فَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢٨ وَقُل رَّبِّ أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ۝٢٩ إِنَّ فِي
ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ وَإِن كُنَّا لَمُبۡتَلِينَ ۝٣٠ ثُمَّ أَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ ۝٣١ فَأَرۡسَلۡنَا فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم
مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٣٢ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَتۡرَفۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا
مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يَأۡكُلُ مِمَّا تَأۡكُلُونَ مِنۡهُ وَيَشۡرَبُ مِمَّا تَشۡرَبُونَ ۝٣٣ وَلَئِنۡ أَطَعۡتُم بَشَرٗا مِّثۡلَكُمۡ إِنَّكُمۡ إِذٗا
لَّخَٰسِرُونَ ۝٣٤ أَيَعِدُكُمۡ أَنَّكُمۡ إِذَا مِتُّمۡ وَكُنتُمۡ تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخۡرَجُونَ ۝٣٥ * هَيۡهَاتَ هَيۡهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ۝٣٦
إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ۝٣٧ إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلُۢ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا وَمَا

نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَـٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ
بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَـٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ
أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۖ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا
وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَـٰرُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ
وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَـٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟
مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَـٰهُمَآ إِلَىٰ
رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَـٰذِهِۦٓ
أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِى
غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ
﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ
﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَـٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَـٰذَا وَلَهُمْ
أَعْمَـٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَـٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ
إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ
سَـٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ
مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ
ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَـٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ
رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ عَنِ
ٱلصِّرَٰطِ لَنَـٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾ * وَلَوْ رَحِمْنَـٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَـٰهُم
بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ
﴿٧٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ
تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ
ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَـٰذَا مِن
قَبْلُ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ

تَعۡلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾
سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن
كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ
ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ
عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ
فَلَا تَجۡعَلۡنِي فِي ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمۡ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ
نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ ﴿٩٨﴾
حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ
هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾
فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ
خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ
﴿١٠٥﴾ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾
قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ
ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا
صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ
ٱلۡعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ
إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدۡعُ مَعَ
ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ
وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾ المؤمنون: ١ – ١١٨

سورة مكية وآياتها 118 آية

محور السورة: هذه السورة تدور آياتها عن الوحدانية، وإبطال الشرك ونقص قواعده، و التنويه بالإيمان و شرائعه، فصفات المؤمنين، ودلائل الإيمان في الأنفس و الآفاق.(1)

تنقسم السورة إلى ستة مقاطع:

المقطع الأول: صفات المؤمنين(1)

﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١﴾

تفسير الآيات:

﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١﴾

الكلمة	معناها (2)
أَفْلَحَ	فاز

هذا تنويه من الله، بذكر عباده المؤمنين، وذكر فلاحهم وسعادتهم، وبأي: شيء وصلوا إلى ذلك، وفي ضمن ذلك، الحث على الاتصاف بصفاتهم، والترغيب فيها. فليزن العبد نفسه وغيره على هذه الآيات، يعرف بذلك ما معه وما مع غيره من الإيمان، زيادة ونقصا، كثرة وقلة.(3)

قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: قد فازوا وسعدوا وحصلوا على الفلاح، وهم المؤمنون المتصفون بهذه الأوصاف. (4)

ومعنى ﴿أفلح﴾ أي: ظفر بالمطلوب ونجا من المرهوب، ويطلق الفلاح على البقاء الأبدي السرمدي، ومن دخل الجنة فإنه حصل له الأمران، يكون قد ظفر بالمطلوب ونجا من المرهوب، وحصل له البقاء الأبدي السرمدي.(5)

﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾

فقوله ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: قد فازوا وسعدوا ونجحوا، وأدركوا كل ما يرام المؤمنون الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين الذين من صفاتهم الكاملة أنهم ﴿فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾.(3)

والخشوع في الصلاة : هو حضور القلب بين يدي الله تعالى، مستحضرا لقربه، فيسكن لذلك قلبه، وتطمئن نفسه، وتسكن حركاته، ويقل التفاته، متأدبا بين يدي ربه، مستحضرا جميع ما يقوله ويفعله في صلاته، من أول صلاته إلى آخرها، فتنتفي بذلك الوساوس والأفكار الردية، وهذا روح الصلاة، والمقصود منها، وهو الذي يكتب للعبد، فالصلاة التي لا خشوع فيها ولا حضور قلب، وإن كانت مجزئة مثابا عليها، فإن الثواب على حسب ما يعقل القلب منها. (3)

والخشوع في الصلاة إنما يحصل لمن فرغ قلبه لها واشتغل بها عما عداها، وآثرها على غيرها، وحينئذ تكون راحة له وقرة عين، كما قال النبي –صلى الله عليه وسلم– في الحديث الذي رواه الإمام أحمد والنسائي، عن أنس –رضي الله عنه– عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أنه قال: (**حُبب إلي الطيب والنساء، وجعلت قرة عيني في الصلاة**) رواه أحمد والنسائي. (1)

أول وصف ذكره الله –تبارك وتعالى–: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾، وهذا يقتضي أنهم بالضرورة يحافظون عليها، فالذي لا يصلي لا يكون قد حقق الخشوع، ولا يكون مفلحا. ولا شك أن الخشوع منبعه ومصدره ومنشؤه من القلب، تلك الخشية التي تنبعث وتظهر آثارها على الجوارح، فيظهر التواضع والسكون ولهذا فإن بعضهم يفسر الخشوع بالسكون، وبعضهم يقول: هو التواضع، ومنه قوله –تبارك وتعالى–:﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ...﴾ [سورة فصلت: 39] ، فالأرض الخاشعة هي الهامدة التي لم تتحرك بالنبات ولم تربُ، فإذا أنزل عليها المطر اهتزت، وتحركت بالنبات وارتفعت سواءً كان هذا الارتفاع في نفس التربة لما يوجد من تحرك النبات في داخلها لتنشق عن مسمار النبات، أو كان ذلك بارتفاع النبات فيكون ذلك : ارتفاعاً في الأرض. (5)

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ٣﴾

الكلمة	معناها (2)
ٱللَّغۡوِ	ما لا خير فيه من الأقوال والأفعال.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ﴾ وهو الكلام الذي لا خير فيه ولا فائدة، ﴿مُعْرِضُونَ﴾ رغبة عنه، وتنزيها لأنفسهم، وترفعا عنه، وإذا مروا باللغو مروا كراما، وإذا كانوا معرضين عن اللغو، فإعراضهم عن المحرم من باب أولى وأحرى، وإذا ملك العبد لسانه وخزنه -إلا في الخير- كان مالكا لأمره، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل حين وصاه بوصايا قال: "**ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟**" قلت: بلى يا رسول الله، فأخذ بلسان نفسه وقال: " **كف عليك هذا** " فالمؤمنون من صفاتهم الحميدة، كف ألسنتهم عن اللغو والمحرمات. (3)

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ ، أي: عن الباطل، وهو يشمل: الشرك -كما قاله بعضهم- والمعاصي -كما قاله آخرون - وما لا فائدة فيه من الأقوال والأفعال.

هذا من تفسير اللغو بأعم معانيه، وهذا أحسن من أن يحصر بمعنى خاص، والسلف قد يذكرون بعض الصور والأمثلة ولا يقصدون بها الحصر، فكل ما لا يحبه الله -عز وجل- ولا يرضاه من العبد، وكل تضييع وتفريط وكل ما أشغل عن ذكر الله -عز وجل- فهو من اللغو، فيدخل في ذلك أمور كثيرة جداً من التضييع والتفريط، منها : سماع المعازف والأغاني، ومجالس الغيبة، والمجالس التي تضيع فيها الأوقات بلا طائل ويخوض فيها الخائضون فيما يعنيهم وما لا يعنيهم، وكل ما لا يحبه الله تعالى داخل في هذا.

وقد جعل الله -تبارك وتعالى- الإعراض عن اللغو من أسباب الفلاح مع أن الناس يتهاونون في هذا كثيراً، حتى بعض من ينتسب للعلم أو الخير، وينبغي للإنسان أن يرفع نفسه عن ذلك. (5)

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ٤﴾

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ أي مؤدون لزكاة أموالهم، على اختلاف أجناس الأموال، مزكين لأنفسهم من أدناس الأخلاق ومساوئ الأعمال التي تزكو النفس بتركها وتجنبها، فأحسنوا في عبادة الخالق، في الخشوع في الصلاة، وأحسنوا إلى خلقه بأداء الزكاة.(3)

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝٦﴾

الكلمة	معناها(2)
مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ	الإماء.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ عن الزنا، ومن تمام حفظها تجنب ما يدعو إلى ذلك، كالنظر واللمس ونحوهما. فحفظوا فروجهم من كل أحد ،﴿إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ من الإماء المملوكات ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ بقربهما، لأن الله تعالى أحلهما. (3)

أي: والذين قد حفظوا فروجهم من الحرام فلا يقعون فيما نهاهم الله عنه من زنا ولواط، لا يقربون سوى أزواجهم التي أحلها الله لهم أو ما ملكت أيمانهم من السراري، ومَن تعاطى ما أحله الله له فلا لوم عليه ولا حرج، ولهذا قال: ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ [سورة المؤمنون: 6- 7]، أي: غير الأزواج والإماء ﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ [سورة المؤمنون: 7]، أي: المعتدون.(4)

قال ابن القيم –رحمه الله تعالى– "علق سبحانه فلاح العبد على حفظ فرجه منه فلا سبيل له إلى الفلاح بدونه، وهذا يتضمن ثلاثة أمور: أن من لم يحفظ فرجه لم يكن من المفلحين وأنه من الملومين، ومن العادين، ففاته الفلاح واستحق اسم العدوان ووقع في اللوم، فمقاساة ألم الشهوة ومعاناتها أيسر من بعض ذلك".

وقال الشنقيطي –رحمه الله تعالى– "ذكر –جل وعلا– في هذه الآيات الكريمة أن من صفات المؤمنين المفلحين الذين يرثون الفردوس ويخلدون فيها حِفظَهم لفروجهم أي من اللواط والزنا ونحو ذلك، وبين أن حفظهم فروجهم لا يلزمهم عن نسائهم الذين ملكوا الاستمتاع بهن بعقد الزواج أو بملك اليمن والمراد به التمتع بالسراري.(5)

﴿فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ۝٧﴾

الكلمة	معناها (2)
ٱلۡعَادُونَ	المجاوزون الحلال إلى الحرام.

﴿فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ﴾ غير الزوجة والسرية ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ الذين تعدوا ما أحل الله إلى ما حرمه، المتجرئون على محارم الله.

وعموم هذه الآية، يدل على تحريم نكاح المتعة، فإنها ليست زوجة حقيقة مقصودا بقاؤها، ولا مملوكة، وتحريم نكاح المحلل لذلك .

ويدل قوله ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ أنه يشترط في حل المملوكة أن تكون كلها في ملكه، فلو كان له بعضها لم تحل، لأنها ليست مما ملكت يمينه، بل هي ملك له ولغيره، فكما أنه لا يجوز أن يشترك في المرأة الحرة زوجان، فلا يجوز أن يشترك في الأمة المملوكة سيدان.(3)

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ٨﴾

الكلمة	معناها (2)
رَاعُونَ	حافظون.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ أي: مراعون لها، ضابطون، حافظون، حريصون على القيام بها وتنفيذها، وهذا عام في جميع الأمانات التي هي حق لله، والتي هي حق للعباد، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾ [سورة الأحزاب: 72] فجميع ما أوجبه الله على عبده أمانة، على العبد حفظها بالقيام التام بها، وكذلك يدخل في ذلك أمانات الآدميين، كأمانات الأموال والأسرار ونحوهما، فعلى العبد مراعاة الأمرين، وأداء الأمانتين ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ [سورة النساء: 58].

وكذلك العهد، يشمل العهد الذي بينهم وبين ربهم والذي بينهم وبين العباد، وهي الالتزامات والعقود، التي يعقدها العبد، فعليه مراعاتها والوفاء بها، ويحرم عليه التفريط فيها واهمالها.(3)

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ٩﴾

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ أي: يداومون عليها في أوقاتها وحدودها وأشراطها وأركانها، فمدحهم بالخشوع بالصلاة، وبالمحافظة عليها، لأنه لا يتم أمرهم إلا بالأمرين، فمن يداوم على الصلاة من غير خشوع، أو على الخشوع من دون محافظة عليها، فإنه مذموم ناقص.(3)

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ أي: يواظبون عليها في مواقيتها، كما قال ابن مسعود: سألت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فقلت: يا رسول الله أي العمل أحب إلى الله؟ قال (الصلاة على وقتها)، قلت: ثم أي؟ قال: (بر الوالدين)، قلت: ثم أي؟ قال: (الجهاد في سبيل الله) أخرجاه في الصحيحين. وقد افتتح الله ذكر هذه الصفات الحميدة بالصلاة واختتمها بالصلاة فدل على

أفضليتها كما قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: **(استقيموا ولن تُحصوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن)** ابن ماجه.(4)

و هذا أعم بلا شك من الذي قبله، فالمحافظة على الصلاة لا تختص بالوقت، وإنما تشمل الوقت وتشمل غيره مما يجب المحافظة عليه كالطمأنينة، وما يكون في هذه الصلاة من شروط وواجبات وأركان، وما أشبه ذلك، فيأتون بها على الوجه المشروع.(5)

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١﴾

الكلمة	معناها (2)
ٱلْفِرْدَوْسَ	أعلى الجنة ووسطها.

﴿أُولَئِكَ﴾ الموصوفون بتلك الصفات ﴿هم الْوَارِثُونَ* الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ﴾ الذي هو أعلى الجنة ووسطها وأفضلها، لأنهم حلوا من صفات الخير أعلاها وذروتها، أو المراد بذلك جميع الجنة، ليدخل بذلك عموم المؤمنين، على درجاتهم و مراتبهم كل بحسب حاله، ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ لا يظعنون عنها، ولا يبغون عنها حولا لاشتمالها على أكمل النعيم وأفضله وأتمه، من غير مكدر ولا منغص.(3)

ولما وصفهم تعالى بالقيام بهذه الصفات الحميدة والأفعال الرشيدة قال: ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، وثبت في الصحيحين أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: **(إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس، فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة، ومنه تفجر أنهار الجنة، وفوقه عرش الرحمن)**، وروى ابن أبي حاتم عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم–: **(ما منكم من أحد إلا وله منزلان: منزل في الجنة، ومنزل في النار، فإن مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله، فذلك قوله: ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾)**.(4)

الفوائد على هذا المقطع(1):

- وعد الله المؤمنين بالفلاح ، الفلاح في الدنيا والفلاح في الآخرة .
- وصف الله عباده المؤمنين المستحقين للفلاح والفوز بصفات ، و أوجب عليهم أن يتصفوا بها ، فلا فلاح بدونها.
- يخشعون في صلاتهم ؛ فتخشع جوارحهم وأرواحهم ، فمدحهم بالخشوع في الصلاة ، بالمحافظة عليها ، لأنه لا يتم أمرهم إلا بالأمرين ، فمن يداوم على الصلاة من غير خشوع ، أو على الخشوع من دون المحافظة عليها ، فإنه مذموم ناقص.

- يعرضون عن اللغو ، ليتفرغوا لذكر الله وطاعته.
- يؤتون الزكاة طهارة للقلب و المال ، فهي تأمين اجتماعي للأفراد ، ووقاية للجماعة كلها من التفكك و الانحلال.
- تحريم الزنا طهارة للروح والبيت و الجماعة ، ووقاية النفس و الأسرة و المجتمع ، و الجماعة التي تنطلق فيها الشهوات بغير حساب جماعة قذرة هابطة في سلم البشرية ، ويحرم نكاح المتعة وكل نكاح غير شرعي .
- أداء الأمانات إلى أهلها ؛ فهي صفة دائمة لهم في كل حين ، وما تستقيم حياة الجماعة إلا أن تؤدى فيها الأمانات ، وترعى فيها العهود ، والأمانات والعهود تشمل كل ما بين العبد وخالقه ، وما بين العبد و المخلوقين.
- وكرر الصلاة مرة أخرى لأهميتها ، فلا يفوتونها كسلا ، ولا يضيعونها إهمالا ، ولا يقصرون في إقامتها كما ينبغي أن تقام ، إنما يؤدونها في أوقاتها كاملة الفرائض و السنن ، ولقد بدأت صفات المؤمنين بالصلاة ، وختمت بالصلاة ؛ للدلالة على عظيم مكانتها في بناء الإيمان بوصفها أكمل صورة من صور العبادة والتوجه إلا الله .
- جعل الله ثوابا لمن يتصف بتلك الصفات أن يدخله الفردوس الأعلى ، وتلك غاية الفلاح الذي كتبه الله للمؤمنين .

المقطع الثاني: أدلة وحدانية الله (1)

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾

تفسير الآيات:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾

الكلمة	معناها (2)
سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ	مأخوذ من جميع الأرض.

ذكر الله في هذه الآيات أطوار الآدمي وتنقلاته، من ابتداء خلقه إلى آخر ما يصير إليه، فذكر ابتداء خلق أبي النوع البشري آدم عليه السلام، وأنه ﴿مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ أي: قد سلت، وأخذت من جميع الأرض، ولذلك جاء بنوه على قدر الأرض، منهم الطيب والخبيث، وبين ذلك، والسهل والحزن، وبين ذلك. (3)

قوله –تبارك وتعالى– : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ السلالة فُعالة من السَّل، والسل هو استخراج الشيء من الشيء، يقال له السل تقول: سل الشعرة من العجين، استخرج الشيء من الشيء، فحينما يقال: خلقنا الإنسان من سلالة من طين، معنى ذلك أنه استل من الطين في هذه الأطوار التي مر بها وهو تراب فلما خلط بالماء صار طيناً فترك فتغير فصار حمأً مسنوناً متغيراً ثم جف هذا الطين، وصار كالفخار، فهذا الجمع بين الألفاظ الواردة في القرآن في خلق آدم من تراب، ومن طين، ومن صلصال، فهي أطوار مر بها خلق آدم –صلى الله عليه وسلم.

روى الإمام أحمد عن أبي موسى عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: **(إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، جاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك، والخبيث والطيب وبين ذلك)** وقد رواه أبو داود والترمذي نحوه . وقال الترمذي: حسن صحيح. (5)

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾﴾

الكلمة	معناها (2)
نُطْفَةً	مني الرجال يخرج من أصلابهم.
قَرَارٍ مَّكِينٍ	هو الرحم تستقر فيه النطفة.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ﴾ أي: جنس الآدميين ﴿نُطْفَةً﴾ تخرج من بين الصلب والترائب، فتستقر ﴿فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ وهو الرحم، محفوظة من الفساد والريح وغير ذلك. (3)

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً﴾ ، هذا الضمير عائد على جنس الإنسان كما قال في الآية الأخرى : ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاء مَّهِينٍ﴾ [سورة السجدة: 7-8]، أي: ضعيف، كما قال : ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاء مَّهِينٍ * فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ [سورة المرسلات: 20-21] يعني : الرحم مُعد لذلك، مهيأ له. (4)

هذا الحديث: **(إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، جاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك، والخبيث والطيب وبين ذلك)** يمكن أن يقال فيه بما يقوله أصحاب التفسير العلمي، أو الإعجاز العلمي -على سبيل الاحتمال- بأن العلم الحديث يقول: إن عناصر التربة جميعاً موجودة في الإنسان .

قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً﴾ فهذه قرينة تدل على أن الأول المراد به آدم -صلى الله عليه وسلم- فليس كل الناس خلق من الطين، ثم صار نطفة، إنما خلق آدم -صلى الله عليه وسلم- من الطين ثم كانت الذرية من النطفة، والمقصود بالنطفة الشيء اليسير من السائل أو من الماء أو نحو ذلك.

وقد قال الله -تبارك وتعالى- في وصف النطفة: ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاء مَّهِينٍ﴾ [سورة السجدة: 8]، أي: ضعيف، والمهين ليس فقط الضعيف، بل هو الشيء الذي ليس له شأن ولا قيمة، ونحو ذلك، يقال: المهين غير العزيز، فالنطفة هي من الأشياء المستقذرة، ولهذا فإن الراجح الذي عليه عامة أهل العلم أن المني طاهر، وأما حك النبي -صلى الله عليه وسلم- له من ثوبه إن كان يابسا، فهذا من باب التنزه، ولا يدل على أنه نجس، فمثله مثل البصاق والمخاط، فهو مستقذر وليس بنجس .

وقوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ ، المقصود بالقرار المكين هو الرحم فهو في موضع يحصل به حفظ وصيانة هذا الجنين، ولذلك يمكن أن يذكر هنا ما يذكره أصحاب التفسير العلمي في هذا المقام فهو لا يعارض ظاهر الآية، ولا يعارض أقوال السلف حينما يصفون عظام الحوض بأنها أقوى العظام وموضع الرحم فيها، ثم ما يذكرون من أربطة، وما يذكرون من أن الجنين لا تأتيه أمور تؤثر عليه . (5)

﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾﴾

الكلمة	معناها (2)
عَلَقَةً	دماً أحمر.
مُضْغَةً	قطعة لحم قدر ما يمضغ.

﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ﴾ التي قد استقرت قبل ﴿عَلَقَةً﴾ أي: دما أحمر، بعد مضي أربعين يوما من النطفة، ﴿فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ﴾ بعد أربعين يوما ﴿مُضْغَةً﴾ أي: قطعة لحم صغيرة، بقدر ما يمضغ من صغرها.(3)

وقوله: ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً قيل لها علقة؛ لأنها تعلق بجدار الرحم، وقوله: ﴿فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾، يعني: بقدر ما يمضغ، لحمة صغيرة، هذه هي المضغة، بقدر ما يمضغ(4)،﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ﴾ اللينة ﴿عِظَامًا﴾ صلبة، قد تخللت اللحم، بحسب حاجة البدن إليها(2)، يعني : شكلناها ذات رأس ويدين ورجلين بعظامها وعصبها وعروقها(5)،﴿فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾ أي: جعلنا اللحم، كسوة للعظام كما جعلنا العظام، عمادا للحم، وذلك في الأربعين الثالثة.(3)

﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ بعدما كان بهذا الضعف مضغة، ثم صار عظاماً، ثم كُسي لحماً وأنشأناه خلقاً آخر بتكميل قواه، حتى صار بصورة أخرى، وحال أخرى، وعلى كل حال الأقرب –والله تعالى أعلم– أن قوله: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ أنه بنفخ الروح والحركة صار خلقا آخر، إذ سمعَ وبصرَ، وتحرك واضطرب، وقبل ذلك كان جمادا لا حياة فيه، فصار إنسانا سويا. (5)

روى الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه– قال: حدثنا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وهو الصادق المصدوق: **(إن أحدكم ليُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: رزقه، وأجله، وعمله، وهل هو شقي أو سعيد، فو الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل الجنة فيدخلها)** رواه البخاري.

و قوله: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾، يعني حين ذكر قدرته ولطفه في خلق هذه النطفة من حال إلى حال وشكل إلى شكل حتى تصورت إلى ما صارت إليه من الإنسان السوي الكامل الخلق، قال: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾. (4)

﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ١٥﴾

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الخلق، ونفخ الروح ﴿لَمَيِّتُونَ﴾ في أحد أطواركم وتنقلاتكم . (3)

﴿ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ ١٦﴾

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ فتجازون بأعمالكم، حسنها وسيئها. قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى* أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى* ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى* فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى* أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾[سورة القيامة 36-40].(3)

﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلۡخَلۡقِ غَٰفِلِينَ ١٧﴾

الكلمة	معناها (1)
سَبۡعَ طَرَآئِقَ	بعضها فوق بعض.

ما ذكر تعالى خلق الآدمي، ذكر سكنه، وتوفر النعم عليه من كل وجه فقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ﴾ سقفا للبلاد، ومصلحة للعباد ﴿سَبْعَ طَرَائِقَ﴾ أي: سبع سماوات طباقا، كل طبقة فوق الأخرى، قد زينت بالنجوم والشمس والقمر، وأودع فيها من مصالح الخلق ما أودع، ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ فكما أن خلقنا عام لكل مخلوق، فعلمنا أيضا محيط بما خلقنا، فلا نغفل مخلوقا ولا ننساه، ولا نخلق خلقا فنضيعه، ولا نغفل عن السماء فتقع على الأرض، ولا ننسى ذرة في لجج البحار وجوانب الفلوات، ولا دابة إلا سقنا إليها رزقها ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ [سورة هود: 6] وكثيرا ما يقرن تعالى بين خلقه وعلمه كقوله: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [سورة الملك: 14] ، ﴿بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [سورة يس: 81] لأن خلق المخلوقات، من أقوى الأدلة العقلية، على علم خالقها وحكمته. (3)

المقصود بالطرائق أي الطباق، وقيل لها طرائق؛ لأنه قد طورق بعضها على بعض، فكانت طبقاً بعد طبقاً، كما نعبر الآن فنقول: طراقة من الثياب، ولهذا العرب تعبر بهذا في أشياء كثيرة فيقال: مطارقة النعل، أي طبقات من الجلد طبقة فوق طبقة. (5)

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾﴾

الكلمة	معناها (2)
بِقَدَرٍ	بمقدار حاجة الخلق.

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ يكون رزقا لكم ولأنعامكم بقدر ما يكفيكم، فلا ينقصه، بحيث لا يكفي الأرض والأشجار، فلا يحصل منه المقصود، ولا يزيده زيادة لا تحتمل، بحيث يتلف المساكن، ولا تعيش معه النباتات والأشجار، بل أنزله وقت الحاجة لنزوله ثم صرفه عند التضرر من دوامه، ﴿فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: أنزلناه عليها، فسكن واستقر، وأخرج بقدرة منزله، جميع الأزواج النباتية، وأسكنه أيضا معدا في خزائن الأرض، بحيث لم يذهب نازلا، حتى لا يوصل إليه، ولا يبلغ قعره، ﴿وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ إما بأن لا ننزله، أو ننزله، فيذهب نازلا لا يوصل إليه، أو لا يوجد منه المقصود منه، وهذا تنبيه منه لعباده أن يشكروه على نعمته، ويقدروا عدمها، ماذا يحصل به من الضرر، كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ [سورة الملك: 30]. (3)

﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾﴾

﴿فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ﴾ أي: بذلك الماء ﴿جَنَّاتٍ﴾ أي: بساتين ﴿مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ خص تعالى هذين النوعين، مع أنه ينشئ منه غيرهما من الأشجار، لفضلهما ومنافعهما، التي فاقت بها الأشجار، ولهذا ذكر العام في قوله: ﴿لَكُمْ فيها﴾ أي: في تلك الجنات ﴿فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ من تين، وأترج، ورمان، وتفاح وغيرها . (3)

﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ﴾ وهي شجرة الزيتون، أي: جنسها، و خصت بالذكر، لأن مكانها خاص في أرض الشام، ولمنافعها، التي ذكر بعضها في قوله: ﴿تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ﴾ أي: فيها الزيت، الذي هو دهن، يستعمل استعماله من الاستصباح به، واصطباغ الآكلين، أي: يجعل إداما للآكلين، وغير ذلك من المنافع. (3)

والطور هو الجبل، وقال بعضهم : إنما يسمى طوراً إذا كان فيه شجر، فإن عري عنها سمي جبلاً لا طوراً، والله أعلم، وطور سيناء هو طور سينين، وهو الجبل الذي كلم الله عليه موسى بن عمران –عليه السلام – وما حوله من الجبال التي فيها شجر الزيتون، وروى عبد بن حميد في مسنده وتفسيره عن عمر أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: **(ائتدموا بالزيت وادّهنوا به فإنه يخرج من شجرة مباركة)**

ورواه الترمذي وابن ماجه. (4)

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾﴾

أي: ومن نعمه عليكم، أن سخر لكم الأنعام، الإبل والبقر، والغنم، فيها عبرة للمعتبرين، ومنافع للمنتفعين ﴿نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ من لبن، يخرج من بين فرث ودم، خالص سائغ للشاربين، ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ﴾ من أصوافها، وأوبارها، وأشعارها، وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ أفضل المآكل من لحم وشحم. (3)

﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ أي: جعلها سفنا لكم في البر، تحملون عليها أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس، كما جعل لكم السفن في البحر تحملكم، وتحمل متاعكم، قليلا [كان] أو كثيرا، فالذي أنعم بهذه النعم، وصنف أنواع الإحسان، وأدر علينا من خيره المدرار، هو الذي يستحق كمال الشكر، وكمال الثناء، والاجتهاد في عبوديته، وأن لا يستعان بنعمه على معاصيه. (3)

الفوائد على هذا المقطع(1):

- التفكير فيما خلق الله عبادة يؤجر عليها ، وطريق يزيد الإيمان ويثبته ، فمن عظيم قدرته مراحل خلق الإنسان ، من البداية إلى النهاية ، وهذا ما يُثْبت وجود الخالق .
- الآيات تدل على البعث ؛ فالإيمان به واجب ، والله القادر على خلق الإنسان أول مرة قادر على خلقه مرة أخرى .
- خلق سبع سماوات مستواها أعلى من مستوى الأرض في هذا الفضاء – خلقها الله بتدبير وحكمة ، وفيهما دليل القدرة الربانية.
- نزول المطر من السماء نعمة عظيمة ، وهو ينزل بقدر، بحكمة وتدبير ، لا أكثر فيُفرِق ويُفسِد ، ولا أقل فيكون الجدب و المحل.
- أنشأ الله بالماء جنات من النخيل و الأعناب نموذجان من الحياة في عالم النبات – كما ينشأ الناس من ماء النطفة في عالم الإنسان – نموذجان قريبان لتصور المخاطبين إذ ذاك بالقرآن يشيران إلى نظائرهما الكثيرة التي تحيا بالماء.
- سخَّر الله بقدرته للإنسان مخلوقات ينتفع بها ، فيها عبرة لمن يعتبر، ولم يحل له تعذيبها و لا التمثيل بها ، لأن الأكل يحقق فائدة ضرورية في نظام الحياة .
- ربطت الآيات بين حمل الإنسان على الأنعام وحمله على الفلك ، بوصفهما مسخرين بنظام الله الكوني ، الذي ينظم وظائف

الخلائق جميعا ، و الكون كله مستسلم لله ، يسير وفق سننه وإرادته .

المقطع الثالث: الإيمان بالرسل وموقف أقوامهم منهم(1)

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٢٣ فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا
ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٤ إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلُۢ بِهِۦ جِنَّةٞ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٖ ٢٥ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ٢٦ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ
ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ
ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ٢٧ فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ فَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي
نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٨ وَقُل رَّبِّ أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ٢٩ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ وَإِن كُنَّا لَمُبۡتَلِينَ ٣٠ ثُمَّ
أَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ ٣١ فَأَرۡسَلۡنَا فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٣٢ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ
مِن قَوۡمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَتۡرَفۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يَأۡكُلُ مِمَّا تَأۡكُلُونَ مِنۡهُ
وَيَشۡرَبُ مِمَّا تَشۡرَبُونَ ٣٣ وَلَئِنۡ أَطَعۡتُم بَشَرٗا مِّثۡلَكُمۡ إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ٣٤ أَيَعِدُكُمۡ أَنَّكُمۡ إِذَا مِتُّمۡ وَكُنتُمۡ تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم
مُّخۡرَجُونَ ٣٥ * هَيۡهَاتَ هَيۡهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ٣٦ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ٣٧
إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلُۨ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا وَمَا نَحۡنُ لَهُۥ بِمُؤۡمِنِينَ ٣٨ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ٣٩ قَالَ عَمَّا قَلِيلٖ لَّيُصۡبِحُنَّ
نَٰدِمِينَ ٤٠ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ بِٱلۡحَقِّ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ غُثَآءٗۚ فَبُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤١ ثُمَّ أَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قُرُونٗا
ءَاخَرِينَ ٤٢ مَا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ٤٣ ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا تَتۡرَاۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةٗ رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُۖ فَأَتۡبَعۡنَا
بَعۡضَهُم بَعۡضٗا وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَۚ فَبُعۡدٗا لِّقَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ٤٤ ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ٤٥
إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمًا عَالِينَ ٤٦ فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ٤٧ فَكَذَّبُوهُمَا
فَكَانُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡلَكِينَ ٤٨ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ٤٩ وَجَعَلۡنَا ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةٗ وَءَاوَيۡنَٰهُمَآ إِلَىٰ
رَبۡوَةٖ ذَاتِ قَرَارٖ وَمَعِينٖ ٥٠ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ
أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ٥٢﴾

تفسير الآيات:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ إلى آخر القصة .

وهي قوله ﴿إن في ذلك لآيات وإن كنا لمبتلين﴾ [سورة المؤمنون: 30] يذكر تعالى رسالة عبده ورسوله نوح عليه السلام، أول رسول أرسله لأهل الأرض، فأرسله إلى قومه، وهم يعبدون الأصنام، فأمرهم بعبادة الله وحده، فقال: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ أي: أخلصوا له العبادة، لأن العبادة لا تصح إلا بإخلاصها. ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ فيه إبطال ألوهية غير الله، وإثبات الإلهية لله تعالى، لأنه الخالق الرازق، الذي له الكمال كله، وغيره بخلاف ذلك. ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ ما أنتم عليه من عبادة الأوثان والأصنام، التي صورت على صور قوم صالحين، فعبدوها مع الله، فاستمر على ذلك، يدعوهم سرا وجهارا، وليلا ونهارا، ألف سنة إلا خمسين عاما، وهم لا يزدادون إلا عتوا ونفورا. (3)

﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿فَقَالَ الْمَلَأُ﴾ من قومه الأشراف والسادة المتبوعون –على وجه المعارضة لنبيهم نوح، والتحذير من اتباعه –: ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: ما هذا إلا بشر مثلكم، قصده حين ادعى النبوة أن يزيد عليكم فضيلة، ليكون متبوعا، وإلا فما الذي يفضله عليكم، وهو من جنسكم؟ وهذه المعارضة لا زالت موجودة في مكذبي الرسل، وقد أجاب الله عنها بجواب شاف، على ألسنة رسله كما في قوله: ﴿قالوا﴾ أي: لرسلهم ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ* قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [سورة ابراهيم: 10-11] فأخبروا أن هذا فضل الله ومنته، فليس لكم أن تحجروا على الله، وتمنعوه من إيصال فضله علينا.

وقالوا هنا: ﴿ولو شاء الله لأنزل ملائكة﴾ وهذه أيضا معارضة بالمشيئة باطلة، فإنه وإن كان لو شاء لأنزل ملائكة، فإنه حكيم رحيم، حكمته ورحمته تقتضي أن يكون الرسول من جنس الآدميين، لأن الملك لا قدرة لهم على مخاطبته، ولا يمكن أن يكون إلا بصورة رجل، ثم يعود اللبس عليهم كما كان.

و قولهم: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾ أي بإرسال الرسول ﴿فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ وأي حجة في عدم سماعهم إرسال رسول في آبائهم الأولين؟ لأنهم لم يحيطوا علما بما تقدم، فلا يجعلوا جهلهم حجة لهم، وعلى تقدير أنه لم يرسل فيهم رسولا، فإما أن يكونوا على الهدى، فلا حاجة لإرسال الرسول إذ ذاك، وإما أن يكونوا على غيره، فليحمدوا ربهم ويشكروه أن خصهم بنعمة لم تأت آباءهم، ولا شعروا بها، ولا يجعلوا عدم

الإحسان على غيرهم سببا لكفرهم للإحسان إليهم. (3)

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾﴾

الكلمة	معناها (2)
جِنَّةٌ	مس من الجنون.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ﴾ أي: مجنون ﴿فَتَرَبَّصُوا بِهِ﴾ أي: انتظروا به ﴿حَتَّى حِينٍ﴾ إلى أن يأتيه الموت.

وهذه الشبه التي أوردوها معارضة لنبوة نبيهم، دالة على شدة كفرهم وعنادهم، وعلى أنهم في غاية الجهل والضلال، فإنها لا تصلح للمعارضة بوجه من الوجوه، كما ذكرنا، بل هي في نفسها متناقضة متعارضة. فقوله: ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ [سورة المؤمنون: 24] أثبتوا أن له عقلا يكيدهم به، ليعلوهم ويسودهم، ويحتاج –مع هذا– أن يحذر منه لئلا يغتر به، فكيف يلتئم مع قولهم: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ﴾ وهل هذا إلا من مشبه ضال، منقلب عليه الأمر، قصده الدفع بأي: طريق اتفق له، غير عالم بما يقول؟"، ويأبى الله إلا أن يظهر خزي من عاداه وعادى رسله. (3)

﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾﴾

فلما رأى نوح أنه لا يفيدهم دعاؤه إلا فرارا ﴿قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾ فاستنصر ربه عليهم، غضبا لله، حيث ضيعوا أمره، وكذبوا رسوله وقال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا* إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [سورة نوح: 26-27] قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾. (3)

﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۖ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ٣٧﴾

الكلمة	معناها (2)
بِأَعۡيُنِنَا	بحفظنا وكلاءتنا. وفيه إثبات صفة العين لله على الوجه اللائق به.
وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ	نبع الماء من التنور المعروف.
فَٱسۡلُكۡ فِيهَا	فادخل فيها.

﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾ عند استجابتنا له، سببا ووسيلة للنجاة، قبل وقوع أسبابه، ﴿أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ﴾ أي: السفينة ﴿بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ أي: بأمرنا لك ومعونتنا، وأنت في حفظنا وكلاءتنا بحيث نراك ونسمعك. (3)

وقوله –تبارك وتعالى– : ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾هذه الآية تدل على إثبات صفة العين، فإن ذلك لا يضاف لمن كان فاقداً لهذه الصفة، من هذا الوجه، والمعنى: ﴿اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ يعني: على مرأى منا، وهذا يدل على رعاية الله –عز وجل– وعنايته، كما قال الله –عز وجل–: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [سورة الطور: 48] ، فهو محل عناية الله –عز وجل– ورعايته، وحفظه، وكلاءته، لكنه كما سبق فيه إثبات صفة العين لله –عز وجل– على ما يليق بجلاله وعظمته، فمن هذه الآية وغيرها من الآيات التي ورد فيها هذا المعنى تَثبتُ لله هذه الصفة. وقوله: ﴿وَوَحْيِنَا﴾ يعني: أنه يفعل ذلك بأمر الله –تبارك وتعالى– لا من عند نفسه، فالله هو الذي أمره بذلك وأوحى إليه هذا، ولهذا يقولون: إن أول من تعاطى النجارة هو نوح –عليه الصلاة والسلام–، وإن معلمه الأول هو جبريل –عليه الصلاة والسلام. (5)

﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بإرسال الطوفان الذي عذبوا به ﴿وَفَارَ التَّنُّورُ﴾ أي: فارت الأرض، وتفجرت عيونا، حتى محل النار، الذي لم تجر العادة إلا ببعده عن الماء، ﴿فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ أي: أدخل في الفلك من كل جنس من الحيوانات، ذكرا وأنثى، تبقى مادة النسل لسائر الحيوانات، التي اقتضت الحكمة الربانية إيجادها في الأرض، ﴿وَأَهْلَكَ﴾ أي: أدخلهم ﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ كابنه، ﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: لا تَدْعُنِي أن أنجيهم فإن القضاء و القدر، قد حتَّم أنهم مغرقون. (3)

﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾ أي : من سبق عليه القول من الله بالهلاك، وهم الذين لم يؤمنوا به من أهله كابنه وزوجته، والله أعلم، وقوله: ﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ أي: عند معاينة إنزال المطر العظيم لا تأخذنك رأفة بقومك وشفقة عليهم، وطمع في تأخيرهم لعلهم يؤمنون، فإني قد قضيت أنهم مغرقون على ما هم عليه من الكفر والطغيان، وقد تقدمت القصة مبسوطة في سورة هود بما يغني عن إعادة ذلك ههنا.(5)

﴿فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ فَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٨﴾

﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ﴾ أي: علوتم عليها، واستقلت بكم في تيار الأمواج، ولجج اليم، فاحمدوا الله على النجاة والسلامة. فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين، وهذا تعليم منه له ولمن معه، أن يقولوا هذا شكرا له وحمدا على نجاتهم من القوم الظالمين في عملهم وعذابهم.(3)

﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ٢٩﴾

﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ أي: وبقيت عليكم نعمة أخرى، فادعوا الله فيها، وهي أن ييسر الله لكم منزلا مباركا، فاستجاب الله دعاءه، قال الله: ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة هود: 44] إلى أن قال: ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ﴾ الآية [سورة هود: 48].(3)

هذه الآية ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا﴾ فيها قراءتان: القراءة الأولى : وهي قراءة الجمهور مُنزَلًا بالضم، وفي قراءة أخرى هي رواية عن عاصم مَنْزِلاً، والمِنزِل اسم مكان، ومُنزلاً مصدر يعني: أنزلني إنزالاً مباركاً، فهذان معنيان، وكل قراءة لها معنى، وإذا كان في الآية أكثر من قراءة، ولكل قراءة معنى فإن ذلك يكون من باب تنوع القراءات، وينزل بمنزلة تعدد الآيات، إذا كان لكل قراءة معنى، فقراءةٌ تدل على أنه دعا ربه أن ينزله في مكان مبارك، والقراءة الثانية : أن الله ينزله إنزالاً مباركاً، لا يختص بالمكان، وإنما يكون ذلك الإنزال المبارك، فهو أعم وأشمل، فيدخل فيه المكان، ويدخل فيه الزمان، والله تعالى أعلم .

وبعض أهل العلم أخذ من هذه الآية أن الإنسان إذا أراد أن ينزل في مكان فعليه أن يقول هذه الآية، وقد علمنا النبي —صلى الله عليه وسلم— إذا أردنا أن ننزل في مكان أن نقول: (**أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق**).(5)

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ وَإِن كُنَّا لَمُبۡتَلِينَ ٣٠﴾

الكلمة	معناها (2)
لَمُبۡتَلِينَ	لمختبرين.

وقوله : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾، أي : إن في هذا الصنيع وهو إنجاء المؤمنين وإهلاك الكافرين لآيات أي لحججاً ودلالات واضحات على صدق الأنبياء فيما جاءوا به عن الله تعالى، وأنه تعالى فاعل لما يشاء قادر على كل شيء عليم بكل شيء، وقوله: ﴿وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ أي: لمختبرين للعباد بإرسال المرسلين . (5)

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾﴾

الكلمة	معناها (2)
قَرْنًا	جيلاً.

لما ذكر نوحا وقومه، وكيف أهلكهم قال: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ الظاهر أنهم " ثمود " قوم صالح عليه السلام، لأن هذه القصة تشبه قصتهم. (3)

﴿ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾

﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ من جنسهم، يعرفون نسبه وحسبه وصدقه، ليكون ذلك أسرع لانقيادهم، إذا كان منهم، وأبعد عن اشمئزازهم، فدعا إلى ما دعت إليه الرسل أممهم ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ فكلهم اتفقوا على هذه الدعوة، وهي أول دعوة يدعون بها أممهم، الأمر بعبادة الله، والإخبار أنه المستحق لذلك، والنهي عن عبادة ما سواه، والإخبار ببطلان ذلك وفساده، ولهذا قال: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ ربكم، فتجتنبوا هذه الأوثان والأصنام. (3)

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾

الكلمة	معناها (2)
ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ	أشراف قوم هود ووجهاؤهم.

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: قال الرؤساء الذين جمعوا بين الكفر والمعاندة، وأطغاهم ترفهم في الحياة الدنيا، معارضة لنبيهم، وتكذيبا وتحذيرا منه: ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ أي: من جنسكم ﴿يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ فما الذي يفضله عليكم؟ فهلا كان ملكا لا يأكل الطعام، ولا يشرب الشراب.(3)

﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾ أي: إن تبعتموه وجعلتموه لكم رئيسا، وهو مثلكم إنكم لمسلوبو العقل، نادمون على ما فعلتم. وهذا من العجب، فإن الخسارة والندامة حقيقة لمن لم يتابعه ولم ينقد له. والجهل والسفه العظيم لمن تكبر عن الانقياد لبشر، خصه الله بوحيه، وفضله برسالته، وابتلي بعبادة الشجر والحجر. (3)

﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾﴾

وهذا نظير قولهم: ﴿قَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ * أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ [سورة القمر: 24-25] فلما أنكروا رسالته وردوها، أنكروا ما جاء به من البعث بعد الموت، والمجازاة على الأعمال فقالوا: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ﴾. (3)

﴿ * هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾﴾

الكلمة	معناها (2)
هَيْهَاتَ	بعيد حقا.

﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾، بعيد بعيد ما يعدكم به، من البعث، بعد أن تمزقتم وكنتم ترابا وعظاما، فنظروا نظرا قاصرا، ورأوا هذا بالنسبة إلى قدرهم غير ممكن، فقاسوا قدرة الخالق بقدرهم، تعالى الله. فأنكروا قدرته على إحياء الموتى، وعجزوه غاية التعجيز، ونسوا خلقهم أول مرة، وأن الذي أنشأهم من العدم، فإعادته لهم بعد البلى أهون عليه، وكلاهما هين لديه، فلم لا ينكرون أول خلقهم، ويكابرون المحسوسات، ويقولون: إننا لم نزل موجودين، حتى يسلم لهم إنكارهم للبعث، وينتقلوا معهم إلى الاحتجاج على إثبات وجود الخالق العظيم؟.

وهنا دليل آخر، وهو: أن الذي أحيا الأرض بعد موتها، إن ذلك لمحيي الموتى، إنه على كل شيء قدير، وثم دليل آخر، وهو ما أجاب به المنكرين للبعث في قوله: ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ [سورة ق:2] فقال في جوابهم: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ [سورة ق:4] أي في البلى، ﴿وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾ [سورة

ق:4].(3)

﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ٣٧﴾

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ أي: يموت أناس، ويحيا أناس ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾. (3)

﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا وَمَا نَحۡنُ لَهُۥ بِمُؤۡمِنِينَ ٣٨﴾

أي: فيما جاءكم به من الرسالة والنذارة والإخبار بالمعاد ﴿وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾.(5)

﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ٣٩﴾

ولهذا لما اشتد كفرهم، ولم ينفع فيهم الإنذار، دعا عليهم نبيهم فقال: ﴿رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾ أي: بإهلاكهم، وخزيهم الدنيوي، قبل الآخرة. (3)

﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٖ لَّيُصۡبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ٤٠﴾

الكلمة	معناها (2)
عَمَّا قَلِيلٍ	بعد زمن قريب.

﴿قَالَ﴾ الله مجيبا لدعوته: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ﴾ (2) ،أي : بمخالفتك وعنادك فيما جئتهم به(5).

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾﴾

الكلمة	معناها (2)
غُثَآءً	كغثاء السيل الذي يطغو على الماء.
فَبُعْدًا	فهلاكاً وإبعاداً من الرحمة.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ﴾ لا بالظلم والجور، بل بالعدل وظلمهم، أخذتهم الصيحة، فأهلكتهم عن آخرهم،﴿فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً﴾ أي: هشيما يبسا بمنزلة غثاء السيل الملقى في جنبات الوادي، وقال في الآية الأخرى ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ ﴿فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي: أتبعوا مع عذابهم، البعد واللعنة والذم من العالمين ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ [سورة الدخان: 29].(3)

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾﴾

الكلمة	معناها (2)
قُرُونًا	أمماً وأجيالاً.

يقول تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ﴾، أي: أمماً وخلائق . (4)

﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾

الكلمة	معناها (2)
أَجَلَهَا	موعد هلاكها المحدد.

﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ يعني: بل يؤخذون على حسب ما قَدر لهم تعالى في كتابه المحفوظ، وعلمه قبل كونهم أمة بعد أمة، وقرناً بعد قرن، وجيلاً بعد جيل، وخلفاً بعد سلف. (4)

بمعنى أن هؤلاء مهما بلغ كفرهم وعتوهم فإن الله –عز وجل– قد قدر لهم أجلاً ووقتاً، لابد أن يبلغوه، إما بعقوبتهم المستأصلة أو لفنائهم بأجلهم، مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ فإذا جاء ما قدر الله –عز وجل– لهم أخذهم، لكن الناس قد يستطيلون هذا ويستعجلونه لأن الأعمار قصيرة، والصدور ضيقة، والإنسان إنما يَحسب بأيامه، فالإنسان يحسب السنوات الثلاث والأربع والعشر أنها طويلة، لكنها في ميزان الله –عز وجل– ليست بشيء، وإذا أردت أن تعرف هذا فانظر إلى القرون الماضية، وكيف أن الله –تبارك وتعالى– قص خبرهم، وكيف تتابعت الأمم من قوم نوح ثم بعد ذلك عاد ثم بعد ذلك ثمود، ثم بعد ذلك قوم شعيب، وهكذا تتابع هذه الأمم، وإذا قرأت في كتب التاريخ مثل البداية والنهاية تجد أمماً متتابعة يهلكها الله –تبارك وتعالى– لكن كم كانت مدة الإمهال؟

والذين كانوا في ذلك الوقت كانوا يعتبرون المدة طويلة، وقد قال الله –تبارك وتعالى–: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ﴾ [سورة يوسف: 110] يعني: وصلوا إلى حد انقطع معه الصبر ﴿جَاءهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاء﴾ [سورة يوسف: 110]، فالناس يستعجلون هذا ويظنون أن الأمر ينتهي في سنة أو سنتين أو نحو ذلك، وهذا لا يلزم .

وانظر إلى الاستعمار الذي بقي في إندونيسيا أربعمائة سنة، والذي بقي في الجزائر مائتي سنة، وفي مصر مائة سنة، وهؤلاء إخوان القردة والخنازير ما جلسوا مثل ما جلس إخوانهم، لكن الإنسان يستعجل أن هؤلاء مكثوا مدة طويلة، فلا يقيس الإنسان هذه الأمور بسُنيّات من عمره، لكن العاقبة للمتقين، العبرة بهذا، ويبتلي الله –عز وجل– الناس بعضهم ببعض، فيؤخر الكفار؛ ليزدادوا كفراً وإجراما وحتى يستوجبوا مزيدا من العذاب، ويبتلي المؤمنين، فينظر من يصدق في إيمانه ومن لا يصدق وينافق . (5)

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾﴾

الكلمة	معناها (2)
تَتْرَا	يتبع بعضهم بعضا.
أَحَادِيثَ	أخباراً لمن بعده.

قوله: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾قال: ابن عباس يعني يتبع بعضهم بعضاً، وقوله: ﴿كُلَّ مَا جَاء أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ﴾ يعني: جمهورهم وأكثرهم، وقوله: ﴿فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا﴾ أي: أهلكناهم.(5)

و قوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾، أي: أخباراً وأحاديث للناس، كقوله: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ [سورة سبأ:19].(4) أحاديث جمع أحدوثة وهو ما يتحدث به، أي: يتحدث الناس في مجالسهم عن خبرهم وما حل بهم من عذاب الله –عز وجل– ونقمته، وما نزل بساحتهم من النكال، والعذاب المستأصل، فصاروا خبراً بعد عين، وصار الناس يتحدثون بهم للاعتبار أو التسلية، وهذا يقال في

الغالب لمن وقع به النكال فصار عبرة. (5)

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾﴾

الكلمة	معناها (2)
بِآيَاتِنَا	وهي تسع: العصا، واليد، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والطوفان، والسنون، ونقص الثمرات.

فقوله: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى﴾ بن عمران، كليم الرحمن ﴿وَأَخَاهُ هَارُونَ﴾ حين سأل ربه أن يشركه في أمره فأجاب سؤله، ﴿بِآيَاتِنَا﴾ الدالة على صدقهما وصحة ما جاءا به ﴿وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ أي: حجة بينة، من قوتها، أن تقهر القلوب، وتتسلط عليها لقوتها فتنقاد لها قلوب المؤمنين، وتقوم الحجة البينة على المعاندين، وهذا كقوله ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ [سورة الإسراء: 101] ولهذا رئيس المعاندين عرف الحق وعاند ﴿فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ﴾ [سورة الإسراء: 101] أي: بتلك الآيات البينات ﴿فَقَالَ له فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا﴾ [سورة الإسراء: 101] ف ﴿قال﴾ موسى ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [سورة الإسراء: 102] وقال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [سورة النمل: 14].(3)

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾﴾

الكلمة	معناها (2)
عَالِينَ	متكبرين متطاولين على الناس.

قال هنا: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ* إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ ك "هامان" وغيره من رؤسائهم، ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾ أي: تكبروا عن الإيمان بالله، واستكبروا على أنبيائه، ﴿وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾ أي: وصفهم العلو، والقهر، والفساد في الأرض، فلهذا صدر منهم الاستكبار، ذلك غير مستكثر منهم. (3)

يخبر تعالى أنه بعث رسوله موسى –عليه السلام– وأخاه هارون إلى فرعون وملئه بالآيات والحجج الدامغات والبراهين القاطعات، وأن فرعون وقومه استكبروا عن اتباعهما والانقياد لأمرهما لكونهما بشرين، كما أنكرت الأمم الماضية بعثة الرسل من البشر، تشابهت قلوبهم فأهلك الله فرعون وملأه، وأغرقهم في يوم واحد أجمعين، وأنزل على موسى الكتاب وهو التوراة، فيها أحكامه وأوامره ونواهيه، وذلك بعد

أن قصم الله فرعون والقبط وأخذهم أخذ عزيز مقتدر، وبعد أن أنزل الله التوراة لم يهلك أمة بعامة بل أمر المؤمنين بقتال الكافرين، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِن بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [سورة القصص: 43].(4)

﴿فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ٤٧﴾

﴿فَقَالُوا﴾ كبرا وتيها، وتحذيرا لضعفاء العقول، وتمويها: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ كما قاله من قبلهم سواء بسواء، تشابهت قلوبهم في الكفر، فتشابهت أقوالهم وأفعالهم، وجحدوا منة الله عليهما بالرسالة، ﴿وَقَوْمُهُمَا﴾ أي: بنو إسرائيل ﴿لَنَا عَابِدُونَ﴾ أي: معبدون بالأعمال والأشغال الشاقة، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [سورة البقرة: 49]، فكيف نكون تابعين بعد أن كنا متبوعين؟ "وكيف يكون هؤلاء رؤساء علينا؟" ونظير قولهم، قول قوم نوح: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ [سورة الشعراء: 111]، ﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ﴾ [سورة هود: 27] من المعلوم أن هذا لا يصلح لدفع الحق، وأنه تكذيب ومعاندة.(3)

قوله: ﴿فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾ ، من المعلوم أن بني إسرائيل الذين كانوا في مصر كانوا من القبط، وكانوا قد حلوا بمصر لما جاء إخوة يوسف مع أبويه، ثم كان أولئك من نسلهم، تكاثروا، هذا مجيء بني إسرائيل إلى مصر، فكان مجيئاً عارضاً ثم بعد ذلك خرج بهم موسى –صلى الله عليه وسلم–، لم يكونوا يعبدون فرعون، فالعبادة تطلق على الطاعة والانقياد، فكان يستعبدهم، ولهذا قال له موسى –صلى الله عليه وسلم– ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ [سورة طه:47] فمعنى قوله –تبارك وتعالى–: ﴿وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾، أي: مُذلَّلون مطيعون منقادون مسخرون أشبه ما يكونون بالخدم، ولم يكونوا من أشراف الناس.(5)

﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡلَكِينَ ٤٨﴾

ولهذا قال: ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾ في الغرق في البحر، وبنو إسرائيل ينظرون.(3)

ثم ذكر الله –عز وجل– هنا هلاكه: ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾ ، أي: هلكوا بفلق البحر، وقد غرق فرعون –كما هو معلوم– فلم يكن فلق البحر من أجل أن يؤمن فرعون، وإنما الطوفان والجراد، وكذلك اليد، والعصا وهي أكبر الآيات، والسلطان المبين يمكن أن يقال: إنها الحجة الواضحة البينة.(5)

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ٥١﴾

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى﴾ بعدما أهلك الله فرعون، وخلص الشعب الإسرائيلي مع موسى، وتمكن حينئذ من إقامة أمر الله فيهم، وإظهار شعائره، وعده الله أن ينزل عليه التوراة أربعين ليلة، فذهب لميقات ربه، قال الله تعالى ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [سورة الأعراف:145] ولهذا قال هنا: ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ أي: بمعرفة تفاصيل الأمر والنهي، والثواب والعقاب، ويعرفون ربهم بأسمائه وصفاته.(3)

وبعد أن أنزل الله التوراة لم يهلك أمة بعامة بل أمر المؤمنين بقتال الكافرين، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِن بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [سورة القصص: 43].(4)

﴿وَجَعَلۡنَا ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةٗ وَءَاوَيۡنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبۡوَةٖ ذَاتِ قَرَارٖ وَمَعِينٖ ٥٠﴾

الكلمة	معناها (2)
وَءَاوَيۡنَٰهُمَآ	جعلنا لهما مأوى.
رَبۡوَةٖ	مكان مرتفع من الأرض.
ذَاتِ قَرَارٖ	مستوٍ للاستقرار عليه.
وَمَعِينٖ	ماء جار ظاهر للعيون.

﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾، يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله عيسى ابن مريم –عليهما السلام– أنه جعلهما آية للناس، أي: حجة قاطعة على قدرته على ما يشاء، فإنه خلق آدم من غير أب ولا أم، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر، وخلق بقية الناس من ذكر وأنثى، وقوله: ﴿وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ قال الضحاك عن ابن عباس –رضي الله عنهما –: الربوة المكان المرتفع من الأرض، وهو أحسن ما يكون فيه النبات، قال ابن عباس: وقوله: ذَاتِ قَرَارٍ يقول ذات خصب وَمَعِينٍ يعني: ماء ظاهراً.(4)

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾

هذا أمر منه تعالى لرسله بأكل الطيبات، التي هي الرزق الطيب الحلال، وشكر الله، بالعمل الصالح، الذي به يصلح القلب والبدن، والدنيا والآخرة. ويخبرهم أنه بما يعملون عليم، فكل عمل عملوه، وكل سعي اكتسبوه، فإن الله يعلمه، وسيجازيهم عليه أتم الجزاء وأفضله، فدل هذا على أن الرسل كلهم، متفقون على إباحة الطيبات من المآكل، وتحريم الخبائث منها، وأنهم متفقون على كل عمل صالح وإن تنوعت بعض أجناس المأمورات، واختلفت بها الشرائع، فإنها كلها عمل صالح، ولكن تتفاوت بتفاوت الأزمنة.

ولهذا، الأعمال الصالحة، التي هي صلاح في جميع الأزمنة، قد اتفقت عليها الأنبياء والشرائع، كالأمر بتوحيد الله، وإخلاص الدين له، ومحبته، وخوفه، ورجائه، والبر، والصدق، والوفاء بالعهد، وصلة الأرحام، وبر الوالدين، والإحسان إلى الضعفاء والمساكين واليتامى، والحنو والإحسان إلى الخلق، ونحو ذلك من الأعمال الصالحة، ولهذا كان أهل العلم، والكتب السابقة، والعقل، حين بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم، يستدلون على نبوته بأجناس ما يأمر به، وينهى عنه، كما جرى لهرقل وغيره، فإنه إذا أمر بما أمر به الأنبياء، الذين من قبله، ونهى عما نهوا عنه، دل على أنه من جنسهم، بخلاف الكذاب، فلا بد أن يأمر بالشر، وينهى عن الخير.(3)

فالعمل الصالح مما يعين على أكل الطيبات، وقد قال الله –تبارك وتعالى–: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾، ولذلك لا تكاد تجد هذا عند المرابين، وعند الذين يأكلون أموال الناس بالباطل، لا يُعانون على العمل الصالح، والله – عز وجل– يقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [سورة البقرة: 168].(5)

﴿وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾

الكلمة	معناها (2)
أُمَّتُكُمْ	دينكم يا معشر الأنبياء.
أُمَّةً وَاحِدَةً	دين واحد هو الإسلام.

و لهذا قال تعالى للرسل: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً﴾ أي: جماعتكم –يا معشر الرسل– جماعة ﴿وَاحِدَةً﴾ متفقة على دين واحد، وربكم واحد. ﴿فَاتَّقُونِ﴾ بامتثال أوامري، واجتناب زواجري. وقد أمر الله المؤمنين بما أمر به المرسلين، لأنهم بهم يقتدون، وخلفهم يسلكون، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [سورة البقرة: 172] فالواجب من كل المنتسبين إلى الأنبياء وغيرهم، أن يمتثلوا هذا، ويعملوا به، ولكن أبى الظالمون المفترقون إلا عصيانا، ولهذا قال: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ

﴿زُبُرًا﴾ [سورة المؤمنون:53].(3)

الفوائد على هذا المقطع(1):

- تؤكد الآيات حقيقة الإيمان التي جاء بها الرسل جميعا ، ويبين كيف كان استقبال الناس لهذه الحقيقة الواحدة التي لا تتبدل على مدار الزمان ، وتعدد الرسالات.
- شاءت حكمة الله أن يكون الرسل من البشر للاقتداء بهم و الكفار يستكثرون أن يرسل الله رسولا من البشر، والاعتراض على بشرية الرسول اعتراض مكرور في كل زمان.
- من أساليب أعداء الإسلام إطلاق الشائعات ضد الرسل والدعاة واتهامهم بالكذب و الافتراء، كاتهامهم بالجنون والسحر وغير ذلك، فمن يتعرض من الدعاة لمثل هذا، عليه أن يصبر و يحتسب أجره على الله، ويستمر في دعوته.
- وعد الله عباده المؤمنين بالنصر، وتوعد الظالمين بالهلاك ، فاستجاب سبحانه لنوح – عليه السلام – فأرسل الطوفان، الذي يجرف كل شيء، ويطهر الأرض من رجس الشرك، فتنشأ على نظافة وطهارة الإيمان و التوحيد .
- أمر الله لنوح – عليه السلام – بصناعة السفينة ، دليل وجوب الأخذ بالأسباب ؛ فالمدد والعون الرباني لا يأتي للقاعدين المستريحين المسترخين ، الذين ينتظرون ولا يزيدون شيئا على الانتظار.
- يحرص المسلم على دعاء الركوب و السفر، فهكذا يحمد الله، وهكذا يتوجه إليه، والدعاء دليل على تأكيد العبد لحاجته لربه واللجوء إليه في السراء و الضراء .
- الترف يفسد الفطرة، ويغلظ المشاعر، ويسد المنافذ، ويفقد القلوب تلك الحساسية المرهفة التي تتلقى وتتأثر وتستجيب.
- نداء للرسل ليصلحوا في هذه الأرض؛ فالعمل هو مهمة البشرية لتعمير الأرض، وعدم الإفساد فيها، والعمل الصالح هو الذي يميز الصالحين المختَارين، فيجعل لعملهم ضابطا وهدفا، وغاية موصلة بالملأ الأعلى.
- وحدة الرسالة والرسل يعني وحدة الأمم، فتتلاشى آماد الزمان، وأبعاد المكان، أمام وحدة الحقيقة التي جاء بها الرسل، ووحدة الطبيعة التي تميزهم، ووحدة الخالق الذي أرسلهم، ووحدة الاتجاه الذي يتجهونه أجمعين .

المقطع الرابع: تفرق الأمم بعد رسلهم(1)

﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ٥٣ فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ حَتَّىٰ حِينٍ ٥٤ أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ٥٥ نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ ٥٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ٥٩ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ٦٠ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ٦١ وَلَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَلَدَيۡنَا كِتَٰبٞ يَنطِقُ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٦٢ بَلۡ قُلُوبُهُمۡ فِي غَمۡرَةٖ مِّنۡ هَٰذَا وَلَهُمۡ أَعۡمَٰلٞ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمۡ لَهَا عَٰمِلُونَ ٦٣ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم بِٱلۡعَذَابِ إِذَا هُمۡ يَجۡـَٔرُونَ ٦٤ لَا تَجۡـَٔرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ٦٥ قَدۡ كَانَتۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ تَنكِصُونَ ٦٦ مُسۡتَكۡبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرٗا تَهۡجُرُونَ ٦٧ أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ أَمۡ جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٦٨ أَمۡ لَمۡ يَعۡرِفُواْ رَسُولَهُمۡ فَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ٦٩ أَمۡ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةُۢۚ بَلۡ جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ وَأَكۡثَرُهُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ ٧٠ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ ٧١ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ خَرۡجٗا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيۡرٞۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٧٢ وَإِنَّكَ لَتَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٧٣ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ٧٤ ۞ وَلَوۡ رَحِمۡنَٰهُمۡ وَكَشَفۡنَا مَا بِهِم مِّن ضُرّٖ لَّلَجُّواْ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ٧٥ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ٧٦ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا ذَا عَذَابٖ شَدِيدٍ إِذَا هُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ٧٧ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ٧٨ ﴾

تفسير الآيات:

﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ٥٣ ﴾

الكلمة	معناها (2)
فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم	فتفرق الأتباع في الدين.
زُبُرٗاۖ	شيعاً وأحزاباً.

أي: تقطع المنتسبون إلى اتباع الأنبياء ﴿أَمْرُهُمْ﴾ أي: دينهم ﴿بَيْنَهُمْ زُبُرًا﴾ أي: قطعا ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ أي: بما عندهم من العلم والدين ﴿فَرِحُونَ﴾ يزعمون أنهم المحقون، وغيرهم على غير الحق، مع أن المحق منهم، من كان على طريق الرسل، من أكل الطيبات، والعمل الصالح، وما عداهم فإنهم مبطلون.(3)

صارت كل طائفة على دين وملة لا يرضاها الله –عز وجل– فتفرقوا في الدين، فصار هؤلاء يهوداً، وصار هؤلاء نصارى، وصار اليهود والنصارى على طوائف وفرق يضلل بعضها بعضاً، ويكفر بعضها بعضا، وعندهم كنائس في العالم كثيرة جداً كل كنيسة لها صليب، وشعار، ودين، ومذهب وعندهم من الخزعبلات، والخرافات، والبدع، والضلالات، والخيالات ما لا يُقادَر قدره، أضعاف ما عند جهال ومبتدعة هذه الأمة، واقرأ إن شئت في كتاب "اقتضاء الصراط المستقيم" كيف يصنعون في الأعياد، ولو أن المسلمين استغلوا هذا وعرفوه، لكن الانبهار بظاهر حضارتهم أعمى أبصار كثير من الناس عن هذه الجوانب.

أما اليهود وأصحاب الطواقي السوداء فهم فرق شتى، وبينهم عداوات شديدة، ومع المنافقين أيضاً ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ [سورة الحشر: 14] كما قال الله –عز وجل–: ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاء جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [سورة الحشر: 14]، على قول كثير المفسرين: يعني اليهود، هم يتفقون على المسلمين فقط، ولكن بينهم خلافات وشرور، ومن المفترض أن يستفيد المسلمون من هذه الأشياء، وعليهم أن يعملوا على كسر شوكتهم في إثارة الاختلاف والافتراق بينهم، وهم جاهزون ومهيئون لهذا تماماً، ولكن الله المستعان.(5)

﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾﴾

الكلمة	معناها (2)
غَمْرَتِهِمْ	ضلالتهم وجهلهم
حَتَّىٰ حِينٍ	إلى وقت نزول العذاب بهم.

﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ﴾ أي: في وسط جهلهم بالحق، ودعواهم أنهم هم المحقون. ﴿حَتَّى حِينٍ﴾ أي: إلى أن ينزل العذاب بهم، فإنهم لا ينفع فيهم وعظ، ولا يفيدهم زجر، وكيف يفيد من يزعم أنه على الحق، ويطمع في دعوة غيره إلى ما هو عليه؟.(3)

﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ﴾ الأقوال التي يذكروها المفسرون ترجع إلى معنى واحد، يقال: فلان في غمرة كأنه شبههم بمكان يغمره الماء يغطيه، فهؤلاء القوم في غمرة، فمن قال: إنهم في سكرة، ومن قال: إنهم في غفلة، وكل هذه المعاني ترجع إلى شيء واحد، فالحافظ ابن كثير –رحمه الله– يقول: في غيهم وضلالهم، فكل ما يغمرك ويعلوك يقال له غمرة، والمقصود أنهم في غيهم، ولهوهم، وشهواتهم، وغفلتهم، وإعراضهم، وضلالهم. والغمرة تحجب الإنسان عن رؤية الحق، فهو سادر في غيه فرِحٌ بما هو فيه ومستمر في باطله يزداد فيه حيناً بعد حين، وقد يستغرب أهل البصيرة والإيمان ممن هو في غمرة، فيقولون: هذا ما يشعر؟ هذا ما يحس؟ هذا ما يشعر أن أجله قريب؟ هذا ما يخاف أن الله يأخذه أن الله يعاقبه؟ ، متى يتوب؟ هذا الإنسان قد بلغ من الكبر عتيا متى يرجع؟ متى يتوب؟ ما يخاف الموت؟ هذا في حال مرض أو في حال عجز وهو في غاية الضلال، والانحراف والبعد عن الله ومحادّته ما يخاف من العقوبات ؟ فنقول: هو لا يفكر بما يفكر فيه أهل البصيرة والإيمان، فهو منغمس منهمك، قد غُطّي على قلبه وبصيرته، فلا يرى هذه الأمور، ولا يفكر فيها، ولا تخطر له ببال، وقد قال الله –تبارك وتعالى–: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ * وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ [سورة الأنعام: 112– 113]. فهؤلاء القوم ﴿خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ﴾ [سورة البقرة: 7]، ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [سورة البقرة: 10]، والله المستعان. كما قال تعالى: ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ [سورة الطارق: 17]، وقال تعالى: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الحجر: 3]. قوله: ﴿حَتَّى حِينٍ﴾، أي: إلى وقت انقضاء آجالهم بالقتل أو الموت ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ [سورة الطارق: 17] يعني: قليلا فالحياة هذه قصيرة، وقليلة وليست بشيء في ميزان الله –تبارك وتعالى– وإن كان الإنسان يستطيلها.(5)

﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ۝٥٦﴾

﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ أي: أيظنون أن زيادتنا إياهم بالأموال والأولاد، دليل على أنهم من أهل الخير والسعادة، وأن لهم خير الدنيا والآخرة؟ وهذا مقدم لهم، ليس الأمر كذلك.

﴿بَل لَا يَشْعُرُونَ﴾ أنما نملي لهم ونمهلهم ونمدهم بالنعم، ليزدادوا إثما، وليتوفر عقابهم في الآخرة، و ليغتبطوا بما أوتوا ﴿حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً﴾ [سورة الأنعام: 44].(3)

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ٥٧﴾

الكلمة	معناها (2)
مُّشۡفِقُونَ	وجلون.

لما ذكر تعالى الذين جمعوا بين الإساءة والأمن، الذين يزعمون أن عطاء الله إياهم في الدنيا دليل على خيرهم وفضلهم، ذكر الذين جمعوا بين الإحسان والخوف، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ أي: وجلون، مشفقة قلوبهم كل ذلك من خشية ربهم، خوفا أن يضع عليهم عدله، فلا يبقى لهم حسنة، وسوء ظن بأنفسهم، أن لا يكونوا قد قاموا بحق الله تعالى، وخوفا على إيمانهم من الزوال، ومعرفة منهم بربهم، وما يستحقه من الإجلال والإكرام، وخوفهم وإشفاقهم يوجب لهم الكف عما يوجب الأمر المخوف من الذنوب، والتقصير في الواجبات.(3)

قال الحسن البصري: إن المؤمن جمع إحساناً وشفقة، وإن الكافر جمع إساءة وأمناً.(4)

﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ٥٨﴾

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: إذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا، ويتفكرون أيضا في الآيات القرآنية ويتدبرونها، فيبين لهم من معاني القرآن وجلالته واتفاقه، وعدم اختلافه وتناقضه، وما يدعو إليه من معرفة الله وخوفه ورجائه، وأحوال الجزاء، فيحدث لهم بذلك من تفاصيل الإيمان، ما لا يعبر عنه اللسان.

ويتفكرون أيضا في الآيات الأفقية، كما في قوله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [سورة آل عمران: 190] إلى آخر الآيات.(3)

وقوله –تبارك وتعالى–: ﴿وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾، انظر إلى عبارة ابن كثير –رحمه الله–: "أي: يؤمنون بآياته الكونية والشرعية" وهذا جمع جيد وحسن؛ لأن الله –عز وجل– ذكر الآيات مطلقة، فالآيات تشمل الآيات الكونية والشرعية، وكلها تحتاج إلى إيمان.(5)

﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ٥٩﴾

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ أي: لا شركا جليا، كاتخاذ غير الله معبودا، يدعوه ويرجوه ولا شركا خفيا، كالرياء ونحوه، بل هم مخلصون

لله، في أقوالهم وأعمالهم وسائر أحوالهم.(3)

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ٦٠﴾

الكلمة	معناها (2)
وَجِلَةٌ	خائفة من عدل القبول.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا﴾ أي: يعطون من أنفسهم مما أمروا به، ما آتوا من كل ما يقدرون عليه، من صلاة، وزكاة، وحج، وصدقة، وغير ذلك، ﴿و﴾ مع هذا ﴿قُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ أي: خائفة ﴿أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ أي: خائفة عند عرض أعمالها عليه، والوقوف بين يديه، أن تكون أعمالهم غير منجية من عذاب الله، لعلمهم بربهم، وما يستحقه من أصناف العبادات (2) ، كما روى الإمام أحمد عن عائشة – رضي الله عنها– أنها قالت : يا رسول الله الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر وهو يخاف الله عز وجل؟ قال: (لا يا بنت أبي بكر ، لا يا بنت الصديق، ولكنه الذي يصلي ويصوم ويتصدق وهو يخاف الله –عز وجل–) وهكذا رواه الترمذي(4)

قوله –تبارك وتعالى–: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾، أي: خائفة من الله –عز وجل– لأنهم يعلمون أنهم راجعون إلى الله –تبارك وتعالى– فمجازيهم على أعمالهم، ومحاسبهم على ما اقترفوا.

وهذا في العمل الصالح، فيخشى المؤمن أن لا يتقبل الله منه، وإذا كان كذلك فهو أبعد عن الأسباب التي تنقص العمل أو تحبطه مثل العُجب، ومن ثَمّ لأنه لا يستكثر العمل على الله –عز وجل– ولا ينظر إلى جهده، وإنما ينظر إلى توفيق ربه فيزداد شكراً على هذا العمل والتوفيق إليه، وإذا كان هذا في الطاعات، فكيف تكون حالهم عند مواقعة المعصية ؟!، فهو مشفق عند عمل الطاعة، فهذا من باب أولى.(5)

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ٦١﴾

﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ أي: في ميدان التسارع في أفعال الخير، همهم ما يقربهم إلى الله، وإرادتهم مصروفة فيما ينجي من عذابه، فكل خير سمعوا به، أو سنحت لهم الفرصة إليه، انتهزوه وبادروه، قد نظروا إلى أولياء الله وأصفيائه، أمامهم، ويمنة، ويسرة، يسارعون في كل خير، وينافسون في الزلفى عند ربهم، فنافسوهم. ولما كان السابق لغيره المسارع قد يسبق لجده وتشميره، وقد لا يسبق لتقصيره، أخبر تعالى أن هؤلاء من القسم السابقين فقال:﴿وَهُمْ لَهَا﴾ أي: للخيرات ﴿سَابِقُونَ﴾ قد بلغوا ذروتها، وتبارزوا هم والرعيل الأول، ومع هذا، قد سبقت لهم من الله سابقة السعادة، أنهم سابقون.(3)

وهذا ثناء من الله –عز وجل– على هؤلاء وإخبار بأنهم بهذه المثابة ﴿يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾، يعني: إليها سابقون، يبادرون، ويسارعون، ويسبقون غيرهم ويتقدمون على غيرهم بالعمل الصالح، بمعنى: أن ذلك قد سبق لهم في علم الله –عز وجل–، وقدره فكتب الله لهم السعادة في الأزل، فأثر ذلك ونتج عنه هذه المسارعة في الخيرات، والله أعلم.(5)

﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾

يقول تعالى مخبراً عن عدله في شرعه على عباده في الدنيا أنه لا يكلف نفساً إلا وسعها، أي إلا ما تطيق حمله والقيام به، وأنه يوم القيامة يحاسبهم بأعمالهم التي كتبها عليهم في كتاب مسطور لا يضيع منه شيء، ولهذا قال: ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ﴾، يعني كتاب الأعمال، وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ، أي: لا يُبخسون من الخير شيئاً، وأما السيئات فيعفو ويصفح عن كثير منها لعباده المؤمنين.(5)

قوله –تبارك وتعالى–: ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ الوسع بمعنى الطاقة، ويقول في سورة البقرة: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ [سورة البقرة: 286]، فالشريعة ما جاءت بتكليف مالا يطاق، فكل التكاليف داخلة تحت قدرة المكلفين، وقد وضع الله الآصار وهي التكاليف الثقال التي كانت على من قبلنا قد وضعها الله – عز وجل– عنا وأخبر عن هذه الشريعة بأنه رفع فيها الحرج، ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [سورة الحج: 78] والأحاديث الواردة في هذا الباب أيضاً معروفة قال: ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، وهذا من حيث الإجمال بالنظر إلى أحكام الشريعة عموماً، فهي داخلة تحت قدرة المكلفين، وبالنظر إلى المعين فإنه إن عجز عن التكليف الذي يطيقه جنس المكلفين فإن ذلك إما أن يسقط عنه بالكلية، أو أن ذلك يصار معه إلى بدل، فالمريض إذا عجز عن الصيام فإنه يقضي، وإذا عجز عن الوضوء أو الاغتسال فإنه يتيمم، وهكذا.

وقوله –تبارك وتعالى–: ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾، فسر ابن كثير –رحمه الله– الكتاب بكتاب الأعمال، مسطور لا يضيع منه شيء، وهذا يدل عليه قوله –تبارك وتعالى–: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة الجاثية:29]، ومن أهل العلم من يقول: ﴿هَذَا كِتَابُنَا﴾ يعني: القرآن ينطق عليكم بالحق، وبعضهم يقول: هو اللوح المحفوظ، ولكن الأقرب هو الأول –كتاب الأعمال– والله تعالى أعلم.(5)

﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾

الكلمة	معناها (2)
غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا	ضلال عن هذا القرآن.

يخبر تعالى أن قلوب المكذبين في غمرة من هذا، أي: وسط غمرة من الجهل والظلم، والغفلة والإعراض، تمنعهم من الوصول إلى هذا القرآن، فلا يهتدون به، ولا يصل إلى قلوبهم منه شيء. ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا* وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [سورة الإسراء:45] فلما كانت قلوبهم في غمرة منه، عملوا بحسب هذا الحال، من الأعمال الكفرية، والمعاندة للشرع، ما هو موجب لعقابهم، ﴿و﴾ لكن ﴿لَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ﴾ هذه الأعمال ﴿هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾ أي: فلا يستغربوا عدم وقوع العذاب فيهم، فإن الله يمهلهم ليعملوا هذه الأعمال، التي بقيت عليهم مما كتب عليهم، فإذا عملوها واستوفوها، انتقلوا بشر حالة إلى غضب الله وعقابه.(3)

وقوله -تبارك وتعالى-: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ﴾ أي: في غفلة وضلالة، فالغمرة: الشيء الذي يغمر الإنسان، كالماء، يقال: غمره الماء، فكل ما غطاك فقد غمرك، فقوله: ﴿مِنْ هَذَا﴾ أي: القرآن، وهذا الذي رجحه ابن جرير -رحمه الله-، فقلوبهم في غمرة من القرآن وما تضمنه من الإخبار عن أهل الإيمان ومسارعتهم بالخيرات، وكذلك ما ذكره الله -جل جلاله- من خبر ذلك الكتاب الذي دونت فيه أعمالهم، وبهذا يمكن أن نجمع بين هذه الأقوال بهذه الطريقة، وأن القرآن يتضمنها جميعا، والله أعلم. قوله: ﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مّن دُونِ ذَلِكَ﴾ القول الأول ظاهر: أن المقصود بقوله: ﴿مّن دُونِ ذَلِكَ﴾ يعني: دون الإشراك الذي هو وصفهم، أي: لهم أعمال دون الكفر كما قال الله -عز وجل -: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ [سورة المدثر:42- 45]. ومن أهل العلم من يقول: ﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مّن دُونِ ذَلِكَ﴾ أي: من دون أعمال أهل الإيمان التي امتدحها الله -عز وجل- وأخبر أنهم يسارعون إليها، وهذا الذي اختاره ابن جرير – رحمه الله. وقال آخرون: ﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مّن دُونِ ذَلِكَ﴾، أي: قد كتبت عليهم أعمال سيئة لابد أن يعملوها قبل موتهم لا محالة.(5)

﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾

الكلمة	معناها (2)
يَجْأَرُونَ	يرفعون أصواتهم متضرعين.

﴿حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ﴾ أي: متنعميهم، الذين ما اعتادوا إلا الترف والرفاهية والنعيم، ولم تحصل لهم المكاره، فإذا أخذناهم ﴿بِالْعَذَابِ﴾ ووجدوا مسه ﴿إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ﴾ يصرخون ويتوجعون، لأنه أصابهم أمر خالف ما هم عليه.(3)

قوله: ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ﴾ لا شك أن العذاب واقع بجميع الكفار، فلماذا خص المترفين منهم؟

قد يكون هذا التخصيص ليبين الحالة التي صاروا إليها بعد الترف والنعمة والتوسع في ملاذ الحياة الدنيا فإذا أخذهم بالعذاب صاروا على حالة تخالفها تماماً، فهذا أبلغ في الزجر والتخويف من عذاب الله -تبارك وتعالى- فالعذاب لا يختص بالمترفين، وإنما العذاب عام، فتخصيص المترفين إنما ذلك من باب الزجر، والتخويف من عذاب الله -جل جلاله-، ومعنى: يَجْأَرُونَ، أي: يرفعون أصواتهم بالصياح إذا حل بهم العذاب.(5)

﴿لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾﴾

يستغيثون، فيقال لهم: ﴿لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ﴾ وإذا لم تأتهم النصرة من الله، وانقطع عنهم الغوث من جانبه، لم يستطيعوا نصر أنفسهم، ولم ينصرهم أحد.(3)

﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾﴾

الكلمة	معناها (2)
عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ تَنكِصُونَ	تنفرون من سماع الآيات كالذي يرجع إلى الوراء.

فكأنه قيل: ما السبب الذي أوصلهم إلى هذا الحال؟ قال: ﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ لتؤمنوا بها وتقبلوا عليها، فلم تفعلوا ذلك، بل ﴿كُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ﴾ أي: راجعين القهقري إلى الخلف، وذلك لأن باتباعهم القرآن يتقدمون، وبالإعراض عنه يستأخرون وينزلون إلى أسفل سافلين. (3)

قوله: ﴿فَكُنتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾، العقِب: هو مؤخر القدم، يعني: أنهم لا يُقبلون على الداعي ولا يستجيبون، ولا ينقادون، وإنما حالهم بعكس هذا.(5)

﴿مُسۡتَكۡبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرٗا تَهۡجُرُونَ ٦٧﴾

الكلمة	معناها (2)
مُسۡتَكۡبِرِينَ بِهِۦ	مستعلين على الناس بسبب الحرم تقولون: نحن أهله لا نغلب فيه.
سَٰمِرٗا تَهۡجُرُونَ	تسامرون حول الحرم بالسيء من القول.

﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ﴾ قال المفسرون معناه: مستكبرين به، الضمير يعود إلى البيت، المعهود عند المخاطبين، أو الحرم، أي: متكبرين على الناس بسببه، تقولون: نحن أهل الحرم، فنحن أفضل من غيرنا وأعلى، ﴿سَامِرًا﴾ أي: جماعة يتحدثون بالليل حول البيت ﴿تَهْجُرُونَ﴾ أي: تقولون الكلام الهجر الذي هو القبيح في هذا القرآن.(3)

﴿أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ أَمۡ جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٦٨﴾

فالمكذبون كانت طريقتهم في القرآن، الإعراض عنه، ويوصي بعضهم بعضا بذلك ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [سورة فصلت: 26] وقال الله عنهم: ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ* وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ* وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ﴾ [سورة النجم: 59-61] ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ﴾ [سورة الطور:33]. فلما كانوا جامعين لهذه الرذائل، لا جرم حقت عليهم العقوبة، ولما وقعوا فيها، لم يكن لهم ناصر ينصرهم، ولا مغيث ينقذهم، ويوبخون عند ذلك بهذه الأعمال الساقطة. ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ أي: أفلا يتفكرن في القرآن ويتأملونه ويتدبرونه، أي: فإنهم لو تدبروه، لأوجب لهم الإيمان، ولمنعهم من الكفر، ولكن المصيبة التي أصابتهم بسبب إعراضهم عنه، ودل هذا على أن تدبر القرآن، يدعو إلى كل خير، ويعصم من كل شر، والذي منعهم من تدبره أن على قلوبهم أقفالها.(3)

إذا تدبروا القول فإنهم بذلك يعرفون الله –عز وجل– وأسماءه، وصفاته، ويعرفون أن هذا القرآن لا يمكن أن يصدر من بشر، ولا يمكن أن يكون سحراً، ولا شعراً، وإنما هو كلام الله –عز وجل– وأن البشر لا يمكن أن يأتوا بمثله، وإذا تدبروا هذا القرآن أيضاً عرفوا دلائل الوحدانية، والحجج، والبراهين التي تتلاشى معها أوهامهم، وشبهاتهم، وما هم عليه من الباطل والكفر إلى غير ذلك مما يتبين لهم بتدبر القول، فيعرفون مصدر هذا القرآن من جهة –إذا تدبروه– وهذا مقصد من مقاصد التدبر للذين لم يؤمنوا بأن هذا القرآن من عند الله –عز وجل–، فإذا تدبروا عرفوا مصدره، وعرفوا أنه لا يمكن أن يقوله البشر، وكذلك يعرفون ما تضمنه هذا الكتاب وما حواه من دلائل الإيمان، والتوحيد وهذا أيضاً من مقاصد التدبر، وكذلك يعرفون ما تضمنه هذا الكتاب من ألوان الهدايات.(5)

﴿أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: أو منعهم من الإيمان، أنه جاءهم رسول وكتاب، ما جاء آبائهم الأولين، فرضوا بسلوك طريق آبائهم الضالين، وعارضوا كل ما خالف ذلك، ولهذا قالوا، هم ومن أشبههم من الكفار، ما أخبر الله عنهم: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ

﴿قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ [سورة الزخرف: 23] فأجابهم بقوله: ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ﴾ [سورة الزخرف:24] فهل تتبعون إن كان قصدكم الحق، فأجابوا بحقيقة أمرهم ﴿قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [سورة الزخرف:24].(3)

﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾

قوله: ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾ أي: أو منعهم من اتباع الحق، أن رسولهم محمدا صلى الله عليه وسلم، غير معروف عندهم، فهم منكرون له؟ يقولون: لا نعرفه، ولا نعرف صدقه، دعونا حتى ننظر حاله ونسأل عنه من له به خبرة، أي: لم يكن الأمر كذلك، فإنهم يعرفون الرسول صلى الله عليه وسلم معرفة تامة، صغيرهم وكبيرهم يعرفون منه كل خلق جميل، ويعرفون صدقه وأمانته، حتى كانوا يسمونه قبل البعثة " الأمين " فلم لا يصدقونه، حين جاءهم بالحق العظيم، والصدق المبين؟(3)

وقد عاش الأنبياء –عليهم الصلاة والسلام– بين أظهر قومهم قبل أن ينزل إليهم الوحي، وقد قال تعالى: ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ﴾ [سورة يونس: 16]، فلم يأتوا من مكان آخر لا يعرفه قومهم، وإنما نشئوا بينهم، وعرفوا أخلاقهم وصدقهم، وقد كان أهل قريش يلقبون النبي –صلى الله عليه وسلم– بالصادق الأمين. ولهذا قال جعفر بن أبي طالب –رضي الله عنه– للنجاشي ملك الحبشة: أيها الملك إن الله بعث فينا رسولاً نعرف نسبه وصدقه وأمانته، وهكذا قال المغيرة بن شعبة لنائب كسرى حين بارزهم وكذلك قال أبو سفيان صخر بن حرب لملك الروم هرقل حين سأله وأصحابَه عن صفات النبي –صلى الله عليه وسلم– ونسبه وصدقه وأمانته، وكانوا بعدُ كفاراً لم يسلموا، ومع هذا لم يمكنهم إلا الصدق فاعترفوا بذلك.(5)

﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ﴾ أي: جنون، فلهذا قال ما قال، والمجنون غير مسموع منه، ولا عبرة بكلامه، لأنه يهذي بالباطل والكلام السخيف. قال الله في الرد عليهم في هذه المقالة: ﴿بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ﴾ أي: بالأمر الثابت، الذي هو صدق وعدل، لا اختلاف فيه ولا تناقض، فكيف يكون من جاء به، به جنة؟! وهلا يكون إلا في أعلى درج الكمال، من العلم والعقل ومكارم الأخلاق، وأيضا فإن في هذا الانتقال مما تقدم، أي: بل الحقيقة التي منعتهم من الإيمان أنه جاءهم بالحق ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ وأعظم الحق الذي جاءهم به إخلاص العبادة لله وحده، وترك ما يعبد من دون الله، وقد علم كراهتهم لهذا الأمر وتعجبهم منه، فكون الرسول أتى بالحق، وكونهم كارهين للحق بالأصل، هو الذي أوجب لهم التكذيب بالحق لا شكا ولا تكذيبا للرسول، كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [سورة الأنعام: 33].(3)

قال ابن القيم –رحمه الله–: وقال الله سبحانه في إثبات نبوة رسوله باعتبار التأمل لأحواله وتأمل دعوته، وما جاء به ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ * أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ [سورة المؤمنون: 69-70] فدعاهم سبحانه إلى تدبر القول وتأمل حال القائل فإن كون القول للشيء كذباً وزوراً يعلم من نفس القول تارة وتناقضه واضطرابه، وظهور شواهد الكذب عليه، فالكذب بادٍ على صفحاته وبادٍ على ظاهر وباطنه. ويعرف من حال القائل تارة، فإن المعروف بالكذب، والفجور، والخداع لا تكون أقواله إلا مناسبة لأفعاله، ولا يتأتى منه من القول، والفعل ما يتأتي من البار الصادق المبرأ من كل فاحشة، وغدر، وكذب، وفجور، بل قلب هذا ،وقصده، وقوله، وعمله يشبه بعضه بعضاً، فدعاهم سبحانه إلى تدبر القول، وتأمل سيرة القائل وأحواله وحينئذ تتبين لهم حقيقة الأمر وأن ما جاء به في أعلى مراتب الصدق. ومما يوضح كراهيتهم للحق أنهم يمتنعون من سماع القرآن، ويستعملون الوسائل التي تمنعهم من أن يسمعوه، كما قال تعالى في قصة أول الرسل الذين أرسلهم بتوحيده، والنهي عن الإشراك به وهو نوح –عليه السلام–: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ [سورة نوح: 7]. وقال تبارك وتعالى في أمر آخر الأنبياء: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُم تَغْلِبُونَ﴾ [سورة فصلت: 26]، فترى بعضهم ينهي بعضاً عن سماع القرآن، ويأمرهم باللغو فيه كالصياح، والتصفيق المانع من السماع، لكراهتهم للحق، ومحاولتهم أن يغلّبوا الحق على الباطل.(5)

﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ ٧١﴾

الكلمة	معناها (2)
بِذِكۡرِهِمۡ	بما فيه عزهم وشرفهم وهو القرآن.

فإن قيل: لِمَ لَمْ يكن الحق موافقا لأهوائهم لأجل أن يؤمنوا و يسرعوا الانقياد؟ أجاب تعالى بقوله: ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾.

و وجه ذلك أن أهواءهم متعلقة بالظلم والكفر والفساد من الأخلاق والأعمال، فلو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض، لفساد التصرف والتدبير المبني على الظلم وعدم العدل، فالسماوات والأرض ما استقامتا إلا بالحق والعدل ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بذكرهم﴾ أي: بهذا القرآن المذكر لهم بكل خير، الذي به فخرهم وشرفهم، حين يقومون به، ويكونون به سادة الناس.

﴿فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ شقاوة منهم، وعدم توفيق ﴿نسوا الله فنسيهم﴾ [سورة التوبة: 67] ﴿نسوا الله فأنساهم أنفسهم﴾ [سورة الحشر:19] فالقرآن ومن جاء به، أعظم نعمة ساقها الله إليهم، فلم يقابلوها إلا بالرد والإعراض، فهل بعد هذا الحرمان حرمان؟ وهل يكون وراءه إلا نهاية الخسران؟.(3)

﴿ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾

الكلمة	معناها (2)
خَرْجًا	أجراً.
فَخَرَاجُ رَبِّكَ	ثوابه وعطاؤه.

أي: أو منعهم من اتباعك يا محمد، أنك تسألهم على الإجابة أجرا ﴿فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾ [سورة الطور: 40] يتكلفون من اتباعك، بسبب ما تأخذ منهم من الأجر والخراج، ليس الأمر كذلك ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ وهذا كما قال الأنبياء لأممهم: ﴿يا قوم لا أسألكم عليه أجرا إن أجري إلا على الله﴾ [سورة هود:51] أي: ليسوا يدعون الخلق طمعا فيما يصيبهم منهم من الأموال، وإنما يدعون نصحا لهم، وتحصيلا لمصالحهم، بل كان الرسل أنصح للخلق من أنفسهم، فجزاهم الله عن أممهم خير الجزاء، ورزقنا الاقتداء بهم في جميع الأحوال.(3)

وهنا: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا﴾ والمقصود هنا الأجرة، قال: ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾، أي: فرزق ربك خير، وذلك ما يعطيه الله –عز وجل– لعبده من الثواب والأجر، فما عند الله –عز وجل– خير من هذا العرض الزائل الدنيء الذي يؤخذ مقابل الدعوة إلى الله –عز وجل– والإيمان به.

وقد كان الرسل –عليهم الصلاة والسلام– يقولون: ﴿يَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [سورة هود:51] وهكذا ينبغي أن تكون الدعوة إلى الله –عز وجل– فتكون الدعوة من غير مقابل، وقد سبق الكلام على هذا المعنى، وأن الذي يدعو إلى الله ينبغي أن لا يأخذ على هذا أجراً من الناس وإلا فإن الكلمة تولد ميتة، ولا تصل موعظته إلى قلوب الناس ولا يحصل الانتفاع بها، وتنطفئ نور هذه الكلمة، وهذا شيء مشاهد، فينبغي سد هذا الباب وقطع دابر هذه الحيل الشيطانية التي يزينها الشيطان لبعض الناس مهما كان المبرر.(5)

﴿ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ ﴾

ذكر الله تعالى في هذه الآيات الكريمات، كل سبب موجب للإيمان، وذكر الموانع، وبين فسادها، واحدا بعد واحد، فذكر من الموانع أن قلوبهم في غمرة، وأنهم لم يدبروا القول، وأنهم اقتدوا بآبائهم، وأنهم قالوا: برسولهم جنة، كما تقدم الكلام عليها، وذكر من الأمور الموجبة لإيمانهم، تدبر القرآن، وتلقي نعمة الله بالقبول، ومعرفة حال الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وكمال صدقه وأمانته، وأنه لا يسألهم عليه أجرا، وإنما سعيه لنفعهم ومصلحتهم، وأن الذي يدعوهم إليه صراط مستقيم، سهل على العاملين لاستقامته، موصل إلى المقصود، من قرب حنيفية سمحة، حنيفية في التوحيد، سمحة في العمل، فدعوتك إياهم إلى الصراط المستقيم، موجب لمن يريد الحق أن يتبعك، لأنه مما

تشهد العقول والفطر بحسنه، وموافقته للمصالح، فأين يذهبون إن لم يتابعوك ؟(3)

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ٧٤﴾

الكلمة	معناها (2)
لَنَٰكِبُونَ	ماثلون.

فإنهم ليس عندهم ما يغنيهم ويكفيهم عن متابعتك، لأنهم ﴿عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ﴾ متجنبون منحرفون، عن الطريق الموصل إلى الله، وإلى دار كرامته، ليس في أيديهم إلا ضلالات وجهالات. وهكذا كل من خالف الحق، لا بد أن يكون منحرفا في جميع أموره، قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾ [سورة القصص: 50].(3)

﴿۞ وَلَوۡ رَحِمۡنَٰهُمۡ وَكَشَفۡنَا مَا بِهِم مِّن ضُرّٖ لَّلَجُّواْ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ٧٥﴾

الكلمة	معناها (2)
لَّلَجُّواْ	لتمادوا.
يَعۡمَهُونَ	يتحيرون ويتخبطون.

هذا بيان لشدة تمردهم وعنادهم، وأنهم إذا أصابهم الضر، دعوا الله أن يكشف عنهم ليؤمنوا، أو ابتلاهم بذلك ليرجعوا إليه. إن الله إذا كشف الضر عنهم لجوا، أي: استمروا في طغيانهم يعمهون، أي: يجولون في كفرهم، حائرين مترددين. كما ذكر الله حالهم عند ركوب الفلك، وأنهم يدعون مخلصين له الدين، وينسون ما يشركون به، فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بالشرك وغيره.(3)

﴿وَلَقَدۡ أَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ٧٦﴾

الكلمة	معناها (2)
ٱسۡتَكَانُواْ	خضعوا.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ﴾ قال المفسرون: المراد بذلك: الجوع الذي أصابهم سبع سنين، وأن الله ابتلاهم بذلك، ليرجعوا إليه بالذل والاستسلام، فلم ينجع فيهم، ولا نجح منهم أحد، ﴿فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ﴾ أي: خضعوا وذلوا ﴿وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ إليه ويفتقرون، بل مر عليهم ذلك ثم زال، كأنه لم يصبهم. (3)

قوله –تبارك وتعالى–: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ﴾ ظاهر السياق يدل على أن الضمير يرجع إلى كفار أهل مكة، الذين بعث فيهم النبي –صلى الله عليه وسلم– فآذوه وكذبوه، وهذه السورة من السور المكية كما هو معلوم. من أهل العلم من فسر العذاب بما ذكر الحافظ ابن كثير –رحمه الله– كما في الحديث أن النبي –صلى الله عليه وسلم– دعا عليهم حتى أصابتهم مجاعة وقحط، فأكلوا العلهز – وكانوا يطبخون في أوقات المجاعة والقحط الوبرَ مع الدم ثم يأكلونه –، ومن أهل العلم من يقول: العذاب هو كل ما يصيبهم من شدة كالمرض وغيره، وقد حمل ابن جرير –رحمه الله– ذلك على كل ما وقع لكفار أهل مكة من قحط وشدة. وقوله –تبارك وتعالى–: ﴿ فَمَا اسْتَكَانُواْ﴾ والاستكانة تدل على انكسار، أيْ: انكسار في الباطن، كما تدل –أيضاً– على سكون في الظاهر، ولهذا يقال للمسكين، كأنه قد سكن لشدة حاجته وفقره، فهؤلاء لما نزل بهم بأس الله –عز وجل– لا زالت نفوسهم مجترئة على الله –عز وجل– ولا زال الواحد منهم متوثباً في معصية ومحادة رسوله –صلى الله عليه وسلم.(5)

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا ذَا عَذَابٖ شَدِيدٍ إِذَا هُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ٧٧﴾

الكلمة	معناها (2)
مُبْلِسُونَ	آيسون من كل خير متحيرون.

لم يزالوا في غيهم وكفرهم، ولكن وراءهم العذاب الذي لا يرد، وهو قوله: ﴿حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ كالقتل يوم بدر وغيره، ﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ آيسون من كل خير، قد حضرهم الشر وأسبابه، فليحذروا قبل نزول عذاب الله الشديد، الذي لا يرد، بخلاف مجرد العذاب، فإنه ربما أقلع عنهم، كالعقوبات الدنيوية، التي يؤدب الله بها عباده. **قال تعالى** فيها: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [سورة الروم:41].(3)

وقوله: ﴿مُبْلِسُونَ﴾ أيسوا من كل راحة، وانقطعت آمالهم ورجاؤهم ، فالإبلاس هو التحير واليأس من كل خير، تقول فلان أبلس، أي: انقطع رجاؤه في حال لا يستطيع أن يدفع ما نزل به ولا أن يضع شيئاً، ولذلك إذا كان الإنسان قد تقطعت آماله ولم يجد سبيلاً إلى الخلاص فإنه يصير إلى هذه الحال أبلس، ولهذا يقولون: إن إبليس قيل له ذلك لقنوطه ويأسه وانقطاع رجائه من رحمة ربه –جل جلاله.(5)

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ٧٨﴾

يخبر تعالى بمنه على عباده الداعية لهم إلى شكره، والقيام بحقه فقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ﴾ لتدركوا به المسموعات، فتنتفعوا في دينكم ودنياكم، ﴿وَالْأَبْصَارَ﴾ لتدركوا بها المبصرات، فتنتفعوا بها في مصالحكم. ﴿وَالْأَفْئِدَةَ﴾ أي: العقول التي تدركون بها الأشياء، وتتميزون بها عن البهائم، فلو عدمتم السمع، والأبصار، والعقول، بأن كنتم صما عميا بكما ماذا تكون حالكم؟ وماذا تفقدون من ضرورياتكم وكمالكم؟ أفلا تشكرون الذي من عليكم بهذه النعم، فتقومون بتوحيده وطاعته؟. ولكنكم، قليل شكركم، مع توالي النعم عليكم. (3)

الفوائد على هذا المقطع (1):

- بيّنت الآيات أن الرسل صلوات الله عليهم ، أمة واحدة ، ذات كلمة واحدة ، وهي كلمة التوحيد ، و لكن الناس تفرقوا من بعد الرسل ، أحزابا متنازعة لا تلتقي على منهج و لا طريق ؛ لأن اتباع غير منهج الله يؤدي إلى التفرق و الضلال .
- استعمل القرآن أسلوب التهكم عليهم والسخرية من غفلتهم ، إذ يحسبون أن الإملاء لهم بعض الوقت ، وإمدادهم بالأموال والبنين في فترة الاختبار ، مقصود به المسارعة لهم في الخيرات و إيثارهم بالنعمة والعطاء ، وإنما هي الفتنة ، وإنما هو الاستدراج ، وهو نوع من الابتلاء بالخير .
- لا يجوز لأحد أن يغتر بكثرة طاعته وعبادته ، بل عليه الإخلاص في العمل ويرجو ربه قبوله ؛ فمن صفات المؤمنين أن قلوبهم وجلة .
- من صفات المؤمنين أنهم يسارعون في الخيرات، وهذا واجب كل مسلم، التنافس في فعل الخيرات، والبعد عن العجز والغفلة.
- تضرع الكفار عند العذاب و الشدة، ونسيان الطاعة وقت الرخاء، والواجب طاعة الله وشكره في السراء و الضراء .
- شريعة الإسلام يسيرة، سمحة، خالية من التعقيد، والله جعل التكاليف في حدود الطاقة، فلا عذر لأحد في ترك طاعة الله. وتمرد أهل المعاصي، ليس في تكليفهم فوق طاقتهم؛ إنما العلة أن في قلوبهم غمرة، لا ترى الحق الذي جاء به القرآن، ويتبعون منهجا آخر .
- المترفون أشد الناس استغراقا في المتاع و الانحراف و الذهول عن المصير، وهم أشد عداوة للرسل والدعاة.
- موقف المشركين من القرآن و الرسل و الدعاة يتكرر في كل زمان ومكان، في تهجمهم في نواديهم و في سمرهم، فتتخذ منه مادة للسخرية و الهزء و الاتهام. ومثل هؤلاء في كل زمان، وليست جاهلية العرب إلا نموذجا لجاهليات كثيرة خلت في الزمان، وما تزال تظهر الآن وبعد الآن !
- فنَّد القرآن الشبهات التي تصرفهم عن الإيمان – شبهة شبهة – وهذا أسلوب جيد في الرد على الخصوم، للدعاة أن ينتفعوا به .

- الحق لا يمكن أن يدور مع الهوى، وبالحق تقوم السماوات والأرض، وبالحق يستقيم الكون كله، فالحق واحد ثابت، والأهواء كثيرة متقلبة .
- هذه الأمة التي جاء لها الإسلام كانت أولى الأمم باتباع الحق الذي يتمثل فيه، وما كان لها من ذكر لولا الله في العالمين، وقد تضاءل ذكرها عندما تخلت عنه، فلم تعد في العير و لا في النفير، ولن يقوم لها ذكر إلا يوم أن تفيء إلى ربها.
- لا يجوز للدعاة طلب شيئًا من الناس على دعوتهم ، فهم يفرون مما تسألهم من أجر على الهداية، فما عند ربك خير مما عندهم، وهذا هو منهج الرسل عليهم الصلاة و السلام، لم يسألوا أقوامهم على دعوتهم أجرا .
- الابتلاء بالشدة أو الرخاء سنة من سنن الله، ينتفع بها المؤمنون، و الذين لا يؤمنون بالآخرة لا يفيدهم الابتلاء بالنعمة، ولا الابتلاء بالنقمة. فإن أصابتهم النعمة حسبوا أن الله يسارع لهم في الخيرات، وإن أصابتهم النقمة لم تلن قلوبهم، ولم تستيقظ ضمائرهم، ولم يرجعوا إلى الله يتضرعون له ليكشف عنهم الضر.

المقطع الخامس: مزيد من أدلة إثبات وحدانية الله و قدرته(1)

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾

تفسير الآيات:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾﴾

الكلمة	معناها (2)
ذَرَأَكُمْ	خلقكم وبثكم.

ثم أخبر تعالى عن قدرته العظيمة وسلطانه القاهر في برئه الخليقة وذرئه لهم في سائر أقطار الأرض على اختلاف أجناسهم ولغاتهم وصفاتهم، ثم يوم القيامة يجمع الأولين منهم والآخرين لميقات يوم معلوم، فلا يترك منهم صغيراً ولا كبيراً، ولا ذكراً ولا أنثى، ولا جليلاً ولا حقيراً إلا أعاده كما بدأه، ولهذا قال: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [سورة المؤمنون: 80].(5)

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾﴾

﴿وَهُوَ﴾ تعالى وحده ﴿الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ أي: المتصرف في الحياة والموت، هو الله وحده، ﴿وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أي: تعاقبهما وتناوبهما، فلو شاء أن يجعل النهار سرمدا، من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه؟ ولو شاء أن يجعل الليل سرمدا، من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تبصرون؟، ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ [سورة القصص:73].

ولهذا قال هنا: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ فتعرفون أن الذي وهب لكم من النعم، السمع، والأبصار، والأفئدة، والذي نشركم في الأرض وحده، والذي يحيي ويميت وحده، والذي يتصرف بالليل والنهار وحده، أن ذلك موجب لكم، أن تخلصوا له العبادة وحده لا شريك له، وتتركوا عبادة من لا ينفع ولا يضر، ولا يتصرف بشيء، بل هو عاجز من كل وجه، فلو كان لكم عقل لم تفعلوا ذلك.(3)

﴿بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾﴾

أي: بل سلك هؤلاء المكذبون مسلك الأولين من المكذبين بالبعث، واستبعدوه غاية الاستبعاد.(3)

﴿قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ٨٢﴾

قالوا: ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ أي: هذا لا يتصور، ولا يدخل العقل، بزعمهم.(3)

﴿لَقَدۡ وُعِدۡنَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٨٣﴾

﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ﴾ أي: ما زلنا نوعد بأن البعث كائن، نحن وآباؤنا، ولم نره، ولم يأت بعد، ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: قصصهم وأسمارهم، التي يتحدث بها وتلهى، وإلا فليس لها حقيقة، وكذبوا –قبحهم الله– فإن الله أراهم، من آياته أكبر من البعث، ومثله، ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [سورة غافر:57]، ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾[سورة يس: 78] الآيات ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [سورة الحج: 5] الآيات.(3)

﴿قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٤﴾

أي: قل لهؤلاء المكذبين بالبعث، العادلين بالله غيره، محتجا عليهم بما أثبتوه، وأقروا به، من توحيد الربوبية، وانفراد الله بها، على ما أنكروه من توحيد الإلهية والعبادة، وبما أثبتوه من خلق المخلوقات العظيمة، على ما أنكروه من إعادة الموتى، الذي هو أسهل من ذلك. ﴿لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا﴾ أي: من هو الخالق للأرض ومن عليها، من حيوان، ونبات وجماد وبحار وأنهار وجبال، المالك لذلك، المدبر له ؟(3)

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٨٥﴾

فإنك إذا سألتهم عن ذلك، لا بد أن يقولوا: الله وحده. فقل لهم إذا أقروا بذلك: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أي: أفلا ترجعون إلى ما ذكركم الله به، مما هو معلوم عندكم، مستقر في فطركم، قد يغيبه الإعراض في بعض الأوقات. والحقيقة أنكم إن رجعتم إلى ذاكرتكم، بمجرد التأمل، علمتم أن مالك ذلك، هو المعبود وحده، وأن إلهية من هو مملوك أبطل الباطل.(3)

﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾﴾

ثم انتقل إلى ما هو أعظم من ذلك، فقال: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ﴾ وما فيها من النيرات، والكواكب السيارات، والثوابت ﴿وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ الذي هو أعلى المخلوقات وأوسعها وأعظمها، فمن الذي خلق ذلك ودبره، وصرفه بأنواع التدبير؟.(3)

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾﴾

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ أي: سيقرون بأن الله رب ذلك كله. قل لهم حين يقرون بذلك: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ عبادة المخلوقات العاجزة، وتتقون الرب العظيم، كامل القدرة، عظيم السلطان؟ وفي هذا من لطف الخطاب، من قوله: ﴿أَفَلَا تذكرون﴾ [سورة يونس:3] ﴿أفلا تَتَّقُونَ﴾ والوعظ بأداة العرض الجاذبة للقلوب.(3)

﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾﴾

الكلمة	معناها (2)
يُجِيرُ	يحمي ويغيث من يشاء.
وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ	لا يغاث أحد ويحمى منه.

ثم انتقل إلى إقرارهم بما هو أعم من ذلك كله فقال: ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: ملك كل شيء، من العالم العلوي، والعالم السفلي، ما نبصره، وما لا نبصره؟. و "الملكوت" بصيغة مبالغة بمعنى الملك. ﴿وَهُوَ يُجِيرُ﴾ عباده من الشر، ويدفع عنهم المكاره، ويحفظهم مما يضرهم، ﴿وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ أي: لا يقدر أحد أن يجير على الله. ولا يدفع الشر الذي قدره الله. بل ولا يشفع أحد عنده إلا بإذنه.(3)

قوله: ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ بمعنى أن الله -تبارك وتعالى- لا يمنع أحد من عذابه، لهذا يقول الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [سورة البقرة:48]، فالله -تبارك وتعالى- يجير فإذا أجار أحداً لا يستطيع أحد أن ينتهك جواره، ولا يستطيع أحد أن يجير أحداً من الناس من الله -عز وجل-، فالخلق قد يجير بعضهم بعضاً، أما الله -تبارك وتعالى- فلا يجار عليه، ولا يستطيع أحد أن يمنع أحداً من بأس الله -عز وجل- ونقمته وعذابه، وهذا يدل على كمال عظمته -سبحانه وتعالى- وقوته وعزته فإن المخلوقين يجير بعضهم بعضاً، وقد يجير الواحد منهم ولكن هذا الجوار يُنتهك، أما

الله -تبارك وتعالى- فلا يحصل معه شيء من هذا.(5)

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾

الكلمة	معناها (2)
تُسْحَرُونَ	فكيف تذهب عقولكم وتخدعون عن توحيده؟

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ أي: سيقرون أن الله المالك لكل شيء، المجير، الذي لا يجار عليه. ﴿قُلْ﴾ لهم حين يقرون بذلك، ملزما لهم، ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ أي: فأين تذهب عقولكم، حيث عبدتم من علمتم أنهم لا ملك لهم، ولا قسط من الملك، وأنهم عاجزون من جميع الوجوه، وتركتم الإخلاص للمالك العظيم القادر المدبر لجميع الأمور، فالعقول التي دلتكم على هذا، لا تكون إلا مسحورة، وهي - بلا شك- قد سحرها الشيطان، بما زين لهم، وحسن لهم، وقلب الحقائق لهم، فسحر عقولهم، كما سحرت السحرة أعين الناس.(3)

﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾﴾

﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ﴾ وهو الإعلام بأنه لا إله إلا الله، وأقمنا الأدلة الصحيحة الواضحة القاطعة على ذلك ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ أي: في عبادتهم مع الله غيره ولا دليل لهم على ذلك، كما قال في آخر السورة: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [سورة المؤمنون:117]، فالمشركون لا يفعلون ذلك عن دليل قادهم إلى ما هم فيه من الإفك والضلال، وإنما يفعلون ذلك اتباعاً لآبائهم وأسلافهم الحيارى الجهال، كما قال الله عنهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [سورة الزخرف:23].(5)

﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾

الكلمة	معناها (2)
وَلَعَلَا	لغالب.
عَمَّا يَصِفُونَ	عن وصفهم إياه بالشريك والولد.

﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾ كذب يعرف بخبر الله، وخبر رسله، ويعرف بالعقل الصحيح، ولهذا نبه تعالى على الدليل العقلي، على امتناع إلهين فقال: ﴿إِذًا﴾ أي: لو كان معه آلهة كما يقولون ﴿لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ أي: لانفرد كل واحد من الإلهين بمخلوقاته، واستقل بها، ولحرص على ممانعة الآخر ومغالبته، ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ فالغالب يكون هو الإله، وإلا فمع التمانع لا يمكن وجود العالم، ولا يتصور أن ينتظم هذا الانتظام المدهش للعقول، واعتبر ذلك بالشمس والقمر، والكواكب الثابتة، والسيارة، فإنها منذ خلقت، وهي تجري على نظام واحد، وترتيب واحد، كلها مسخرة بالقدرة، مدبرة بالحكمة لمصالح الخلق كلهم، ليست مقصورة على مصلحة أحد دون أحد، ولن ترى فيها خللا ولا تناقضا، ولا معارضة في أدنى تصرف، فهل يتصور أن يكون ذلك، تقدير إلهين ربين؟

﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ قد نطقت بلسان حالها، وأفهمت ببديع أشكالها، أن المدبر لها إله واحد كامل الأسماء والصفات، قد افتقرت إليه جميع المخلوقات، في ربوبيته لها، وفي إلهيته لها، فكما لا وجود لها ولا دوام إلا بربوبيته.(3)

قوله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾، الولد هو شريك فهو جزء من والده، ولهذا النصارى الذين نسبوا له الولد أشركوا بالله –عز وجل– معه غيره، نفى عن نفسه الولد فقال: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾، والكون شاهد بأن شيئاً من ذلك لم يحصل؛ إذ لم يكن ولد، ولم يكن معه إله، إنما هو إله واحد – سبحانه وتعالى.(5)

﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٩٢﴾

كذلك، لا صلاح لها ولا قوام إلا بعبادته وإفراده بالطاعة، ولهذا نبه على عظمة صفاته بأنموذج من ذلك، وهو علمه المحيط، فقال: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾ أي: الذي غاب عن أبصارنا وعلمنا، من الواجبات والمستحيلات والممكنات، ﴿وَالشَّهَادَةِ﴾ وهو ما نشاهد من ذلك ﴿فَتَعَالَى﴾ أي: ارتفع وعظم، ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به، من لا علم عنده، إلا ما علمه الله.(3)

﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ٩٣ رَبِّ فَلَا تَجۡعَلۡنِي فِي ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٩٤﴾

لما أقام تعالى على المكذبين أدلته العظيمة، فلم يلتفتوا لها، ولم يذعنوا لها، حق عليهم العذاب، ووعدوا بنزوله، وأرشد الله رسوله أن يقول: ﴿قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ﴾ أي: أي وقت أريتني عذابهم، وأحضرتني ذلك، ﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي: اعصمني وارحمني، مما ابتليتهم به من الذنوب الموجبة للنقم، واحمني أيضا من العذاب الذي ينزل بهم، لأن العقوبة العامة تعم –عند نزولها– العاصي وغيره.(3)

﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾﴾

قال الله في تقريب عذابهم: ﴿وَإِنَّا عَلَى أَنْ نُرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ﴾ ولكن إن أخرناه فلحكمة، وإلا، فقدرتنا صالحة لإيقاعه فيهم.(3)

﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾﴾

هذا من مكارم الأخلاق، التي أمر الله رسوله بها فقال: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ﴾ أي: إذا أساء إليك أعداؤك، بالقول والفعل، فلا تقابلهم بالإساءة، مع أنه يجوز معاقبة المسيء بمثل إساءته، ولكن ادفع إساءتهم إليك بالإحسان منك إليهم، فإن ذلك فضل منك على المسيء، ومن مصالح ذلك، أنه تخف الإساءة عنك، في الحال، وفي المستقبل، وأنه أدعى لجلب المسيء إلى الحق، وأقرب إلى ندمه وأسفه، ورجوعه بالتوبة عما فعل، وليتصف العافي بصفة الإحسان، ويقهر بذلك عدوه الشيطان، وليستوجب الثواب من الرب، قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [سورة الشورى:40] وقال تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ* وَمَا يُلَقَّاهَا﴾ [سورة فصلت:34] أي: ما يوفق لهذا الخلق الجميل ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [سورة فصلت:35].

وقوله: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ أي: بما يقولون من الأقوال المتضمنة للكفر والتكذيب بالحق، قد أحاط علمنا بذلك، وقد حلمنا عنهم، وأمهلناهم، وصبرنا عليهم، والحق لنا، وتكذيبهم لنا، فأنت -يا محمد- ينبغي لك أن تصبر على ما يقولون، وتقابلهم بالإحسان، هذه وظيفة العبد في مقابلة المسيء من البشر، وأما المسيء من الشياطين، فإنه لا يفيد فيه الإحسان، ولا يدعو حزبه إلا ليكونوا من أصحاب السعير، فالوظيفة في مقابلته.(3)

﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾

﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ﴾ أي اعتصم بحولك وقوتك متبرئا من حولي وقوتي ﴿مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ* وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ أي: أعوذ بك من الشر الذي يصيبني بسبب مباشرتهم وهمزهم ومسهم، ومن الشر الذي بسبب حضورهم ووسوستهم، وهذه استعاذة من مادة الشر كله وأصله، ويدخل فيها، الاستعاذة من جميع نزغات الشيطان، ومن مسه ووسوسته، فإذا أعاذ الله عبده من هذا الشر، وأجاب دعاءه، سلم من كل شر، ووفق لكل خير.(3)

قوله هنا: ﴿هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ بعض أهل العلم يفسر ذلك يعني يقول: إن أصل معنى الهمز هو الدفع باليد أو بغيرها، ﴿هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ ومنهم من يفسره بما يليق بالسياق، ويصلح في هذا المقام فيفسر ﴿هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ يقول: الهمز بمعنى النغز، والنخس أو الوسوسة وهو ما يلقيه الشيطان يدفعه للانتقام والإساءة، ولهذا لما أمره الله -عز وجل- بالدفع بالتي هي

أحسن أمره بعده بأن يستعيذ من همزات الشياطين، ولهذا قال الله –عز وجل– في الآية الأخرى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾ [سورة الأعراف:200]، و [سورة فصلت:36] فهذا النزغ هو المذكور هنا في قوله: ﴿أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ النزغ﴾، والنخس وذلك أن الشيطان يحركه بمقابلة الإساءة بالإساءة أو الظلم والتجاوز ﴿هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ فيقول له: لا تترك حقك، انتقم لنفسك تركُ الحق والعفو يكون ضعفاً وعجزاً وما أشبه هذا، فيلقي الشيطان في قلبه هذه الأمور ليفعل ما لا يليق. ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ في أمر من أموري، لا عند الموت ولا عند الأكل، ولا عند دخول المنزل، ولا عند الجماع.(5)

الفوائد على هذا المقطع (1):

- الآيات لفتت أنظار الكفار إلى الدلائل الكونية ؛علّها توقظ وجدانهم إلى توحيد الله وحده ، ولو تدبر الإنسان خلقه وهيئته ، وما زوده من الحواس والجوارح، وما وهبه من الطاقات والمدارك لوجد الله، و لاهتدى إلية بهذه الخوارق الدالة على أنه الخالق الوحيد.
- الحياة والموت حادثان يقعان في كل لحظة ، وليس إلا الله يملك الموت والحياة ؛ فالذي يهب الحياة هو الذي يعرف سرها، و يملك أن يهبها و يستردها.
- البعث حق يجب الإيمان به ، و لا يجوز إنكاره كما أنكره الكفار ، و قصرت مداركهم عن إدراك حكمة الله ، وقدرته على البعث.
- وهب الله الإنسان السمع والبصر والفؤاد ؛ ليكون مسؤولا عن نشاطه وعمله ، مجزيا على صلاحه وفساده .
- الآيات تثبت العقيدة الصحيحة ، وترد على المشركين ؛ ليصحح فساد معتقداتهم ، ويردهم إلى التوحيد الخالص الذي تقود إليهم مسلماتهم ، لو كانوا يستقيمون على الفطرة ولا ينحرفون.
- توظيف الأدلة العقلية توظيف مهم لإقامة الحجة على الجاحدين، وهذا ما تم الرد به على الكافرين المعاندين : كنفي الشريك عن الله ، تقرير حقيقة ما جاءهم به الرسول صلى الله عليه وسلم من التوحيد.
- توجيهات للرسول صلى الله عليه وسلم ، للمفاصلة و الاستعاذة من الشيطان، والصبر على ما يقولون، وطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يجعله الله مع القوم الظالمين حين يحل بهم العذاب الأليم.
- استعاذة الرسول صلى الله عليه وسلم من همزات الشيطان و دفعاتهم – وهو معصوم منها – زيادة كذلك في التوقي، و زيادة في الالتجاء إلى الله، وتعليم لأمته وهو قدوتها وأسوتها، أن يتحصنوا بالله من همزات الشيطان في كل حين.

المقطع السادس: من مشاهد يوم القيامة(1)

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٠٠ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ١٠١ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٢ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ١٠٣ تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ ١٠٤ أَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ١٠٥ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ ١٠٦ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ١٠٧ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٠٨ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١٠٩ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ١١٠ إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ١١١ قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ١١٢ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ١١٣ قَٰلَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١٤ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ١١٥ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ١١٦ وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١١٧ وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١١٨﴾

تفسير الآيات:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩﴾

يخبر تعالى عن حال من حضره الموت، من المفرطين الظالمين، أنه يندم في تلك الحال، إذا رأى مآله، وشاهد قبح أعماله فيطلب الرجعة إلى الدنيا، لا للتمتع بلذاتها واقتطاف شهواتها وإنما ذلك يقول: ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ [سورة المؤمنون:100].(3)

هنا قال: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ بصيغة الجمع، وذلك يدل على التعظيم فهو لا يعظم نفسه وإنما يعظم المخاطب وهو الله -تبارك وتعالى- وهذا أحسن ما قيل في توجيهه، أي التعبير بصيغة الجمع.(5)

﴿لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٠٠﴾

الكلمة	معناها (2)
بَرۡزَخٌ	حاجز دون الرجعة.

أي من العمل، وفرطت في جنب الله. ﴿كَلَّا﴾ أي: لا رجعة له ولا إمهال، قد قضى الله أنهم إليها لا يرجعون، ﴿إِنَّهَا﴾ أي: مقالته التي تمنى فيها الرجوع إلى الدنيا ﴿كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ أي: مجرد قول باللسان، لا يفيد صاحبه إلا الحسرة والندم، وهو أيضا غير صادق في ذلك، فإنه لو رد لعاد لما نهي عنه. ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أي: من أمامهم وبين أيديهم برزخ، وهو الحاجز بين الشيئين، فهو هنا: الحاجز بين الدنيا والآخرة، وفي هذا البرزخ، يتنعم المطيعون، ويعذب العاصون، من موتهم إلى يوم يبعثون، أي: فليعدوا له عدته، وليأخذوا له أهبته.(3)

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ١٠١﴾

يخبر تعالى عن هول يوم القيامة، وما في ذلك اليوم، من المزعجات والمقلقات، وأنه إذا نفخ في الصور نفخة البعث، فحشر الناس أجمعون، لميقات يوم معلوم، أنه يصيبهم من الهول ما ينسيهم أنسابهم، التي هي أقوى الأسباب، فغير الأنساب من باب أولى، وأنه لا يسأل أحد أحدا عن حاله، لاشتغاله بنفسه، فلا يدري هل ينجو نجاة لا شقاوة بعدها؟ أو يشقى شقاوة لا سعادة بعدها؟ قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ* وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ* وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ* لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [سورة عبس:34-37].(3)

﴿فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٢﴾

الكلمة	معناها (2)
ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ	كثرت حسناته.

وفي القيامة مواضع، يشتد كربها، ويعظم وقعها، كالميزان الذي يميز به أعمال العبد، وينظر فيه بالعدل ما له وما عليه، وتبين فيه مثاقيل الذر، من الخير والشر، ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ بأن رجحت حسناته على سيئاته ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ لنجاتهم من النار، واستحقاقهم الجنة، وفوزهم بالثناء الجميل.(3)

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ بأن رجحت سيئاته على حسناته، وأحاطت بها خطيئاته ﴿فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ كل خسارة، غير هذه الخسارة، فإنها –بالنسبة إليها– سهلة، ولكن هذه خسارة صعبة، لا يجبر مصابها، ولا يستدرك فائتها، خسارة أبدية، وشقاوة سرمدية، قد خسر نفسه الشريفة، التي يتمكن بها من السعادة الأبدية ففوتها هذا النعيم المقيم، في جوار الرب الكريم، ﴿فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ لا يخرجون منها أبد الآبدين، وهذا الوعيد، إنما هو كما ذكرنا، لمن أحاطت خطيئاته بحسناته، ولا يكون ذلك إلا كافرا، فعلى هذا، لا يحاسب محاسبة من توزن حسناته وسيئاته، فإنهم لا حسنات لهم، ولكن تعد أعمالهم وتحصى، فيوقفون عليها، ويقررون بها، ويخزون بها، وأما من معه أصل الإيمان، ولكن عظمت سيئاته، فرجحت على حسناته، فإنه وإن دخل النار، لا يخلد فيها، كما دلت على ذلك نصوص الكتاب والسنة.(3)

﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾

الكلمة	معناها (2)
تَلْفَحُ	تحرق.
كَٰلِحُونَ	عابسون قلصت شفاههم وبرزت أسنانهم.

ثم ذكر تعالى، سوء مصير الكافرين فقال: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ أي: تغشاهم من جميع جوانبهم، حتى تصيب أعضاءهم الشريفة، ويتقطع لهبها عن وجوههم، ﴿وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ قد عبست وجوههم، وقلصت شفاههم، من شدة ما هم فيه، وعظيم ما يلقونه . (2)

﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾، كما قال تعالى: ﴿وَتَغْشَى وُجُوهَهُمْ النَّارُ﴾ [سورة إبراهيم:50]، وقال تعالى: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [سورة الأنبياء:39]. وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: يعني عابسون.(4)

قوله: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ فسره هنا بقوله: ﴿وتغشى وجوههم النار﴾ بمعنى أنها تحرقها وتصيبها، وذكر الوجوه مع أنها تصيب سائر الأجساد وخص الوجوه بذلك كما قال: ﴿حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ﴾ [سورة الأنبياء:39]؛ لأن الوجه أشرف شيء في الإنسان والعادة أن الإنسان يتقي بيديه عن وجهه، ولكن حينما لا يجد إلا وجهه ليتقي به لفح النار، ومس النار فإن هذا –نسأل الله العافية– يدل على شدة الحال، وسوء المآل الذي صار إليه هذا الإنسان، ﴿حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ﴾ لا يستطيع أن يتقيها بيديه، يتقيها بوجهه، فمن يتقون بوجوههم سوء العذاب –نسأل الله العافية– تلفح وجوههم النار وتلفح سائر الجسد لكن وجوههم

ليست بمنأى عن هذا، وهي أشرف شيء يتقيه الإنسان ويدفع عنه، قال: وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ قال ابن عباس: عابسون، وهكذا قول من قال بأن الكالح هو الذي تقلصت شفتاه عن فمه فبدت أسنانه، هذا مثل ما يذكر بعض السلف أن رأس البهيمة إذا وضع على النار وقلّب عليها ما الذي يحصل؟ يحصل تقلص، فتتقلص الشفاه فيبدو باسراً، تظهر الأسنان ﴿وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ ولذلك فسر بأنه -كما سبق- يكون باسراً قد بدت أسنانه من شدة الإحراق.(5)

﴿ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾

فيقال لهم – توبيخا ولوما -: ﴿أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ تدعون بها، لتؤمنوا، وتعرض عليكم لتنظروا، ﴿فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ ظلما منكم وعنادا، وهي آيات بينات، دالات على الحق والباطل، مبينات للمحق والمبطل، فحينئذ أقروا بظلمهم، حيث لا ينفع الإقرار.(3)

﴿ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾

﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ أي: غلبت علينا الشقاوة الناشئة عن الظلم والإعراض عن الحق، والإقبال على ما يضر، وترك ما ينفع، ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ في عملهم، وإن كانوا يدرون أنهم ظالمون، أي: فعلنا في الدنيا فعل التائه، الضال السفيه، كما قالوا في الآية الأخرى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [سورة الملك:10].(3)

و لهذا قالوا: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ أي: قد قامت علينا الحجة، ولكن كنا أشقى من أن ننقاد لها ونتبعها، فَضَللنا عنها ولم نُرْزَقْها. ثم قالوا: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ [سورة المؤمنون: 107]، أي: رُدَّنا إلى الدار الدنيا، فإن عدنا إلى ما سلف منا، فنحن ظالمون مستحقون للعقوبة، كما قالوا: ﴿فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ * ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ [سورة غافر:11-12] أي :لا سبيل إلى الخروج؛ لأنكم كنتم تشركون بالله إذا وحّده المؤمنون.(4)

قال العلامة الشنقيطي -رحمه الله-: "وقوله هنا ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ الظاهر أن معنى قوله: ﴿غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ أن الرسل بلغتهم، وأنذرتهم وتلت عليهم آيات ربهم، ولكن ما سبق في علم الله من شقاوتهم الأزلية غلب عليهم فكذبوا الرسل ليصيروا إلى ما سبق في علمه -جل وعلا- من شقاوتهم ونظير الآية على هذا الوجه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ * وَلَوْ جَاءتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾ [سورة يونس:96-97] ، وقوله عن أهل النار: ﴿قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [سورة الزمر:71] إلى غير ذلك من الآيات، ويزيد ذلك إيضاحاً قوله -صلى الله عليه وسلم-: (كلٌّ

ميسر لما خلق له) ، وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [سورة التغابن:2] ، وقوله: ﴿وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [سورة هود:118-119] على أصح التفسيرين".(5)

﴿ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ١٠٧ ﴾

﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ وهم كاذبون في وعدهم هذا، فإنهم كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [سورة الانعام: 28] ولم يبق الله لهم حجة، بل قطع أعذارهم، وعمرهم في الدنيا، ما يتذكر فيه [من] المتذكر، ويرتدع فيه المجرم.(3)

﴿ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٠٨ ﴾

الكلمة	معناها (2)
ٱخۡسَـُٔواْ	امكثوا أذلاء.

فقال الله جوابا لسؤالهم: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ وهذا القول – نسأله تعالى العافية– أعظم قول على الإطلاق يسمعه المجرمون في التخييب، والتوبيخ، والذل، والخسار، والتأييس من كل خير، والبشرى بكل شر، وهذا الكلام والغضب من الرب الرحيم، أشد عليهم وأبلغ في نكايتهم من عذاب الجحيم . (3)

قوله: ﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ أصل هذه الكلمة يقال للبعيد اخسأ بمعنى الإبعاد، ولهذا يقال للكلب ذلك ويراد به معنى الإبعاد، وما ذكره هنا قال: امكثوا فيها صاغرين مهانين أذلاء هو بهذا المعنى، يرجع إلى هذا المعنى، فإن هذا بمعنى الإبعاد، من بقي في النار صاغراً ذليلاً فهذا غاية الإبعاد. قال الشنقيطي رحمه الله–: قوله تعَالى: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ * قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [سورة المؤمنون: 107-108]، ذكر –جل وعلا– في هذه الآية الكريمة أن أهل النار يدعون ربهم فيها فيقولون: ربنا أخرجنا منها فإن عدنا إلى مالا يرضيك بعد إخراجنا منها فإنا ظالمون، وأن الله يجيبهم بقوله: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ أي: امكثوا فيها خاسئين أي أذلاء صاغرين حقيرين؛ لأن لفظة "اخسأ" إنما تقال للحقير، والذليل كالكلب ونحوه فقوله: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا﴾ أي: ذلوا فيها ماكثين في الصغار والهوان.(5)

﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾

ثم ذكر الحال التي أوصلتهم إلى العذاب، وقطعت عنهم الرحمة فقال: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ فجمعوا بين الإيمان المقتضي لأعماله الصالحة، والدعاء لربهم بالمغفرة والرحمة، والتوسل إليه بربوبيته، ومنته عليهم بالإيمان، والإخبار بسعة رحمته، وعموم إحسانه، وفي ضمنه، ما يدل على خضوعهم وخشوعهم، وانكسارهم لربهم، وخوفهم ورجائهم.(3)

﴿فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾﴾

الكلمة	معناها (2)
سِخْرِيًّا	اشتغلتم بالاستهزاء بهم.

فهؤلاء سادات الناس وفضلائهم، ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ﴾ أيها الكفرة الأنذال ناقصو العقول والأحلام ﴿سِخْرِيًّا﴾ تهزءون بهم وتحتقرونهم، حتى اشتغلتم بذلك السفه. ﴿حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ وهذا الذي أوجب لهم نسيان الذكر، اشتغالهم بالاستهزاء بهم، كما أن نسيانهم للذكر، يحثهم على الاستهزاء، فكل من الأمرين يمد الآخر، فهل فوق هذه الجراءة جراءة ؟!.(3)

﴿إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾﴾

﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا﴾ على طاعتي، وعلى أذاكم، حتى وصلوا إلي. ﴿أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ بالنعيم المقيم، والنجاة من الجحيم، كما قال في الآية الأخرى: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ الآيات.(3)

﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾﴾

الكلمة	معناها (2)
ٱلْعَآدِّينَ	الحُسّاب الذين يعدون الأيام.

﴿قَالَ﴾ لهم على وجه اللوم، وأنهم سفهاء الأحلام، حيث اكتسبوا في هذه المدة اليسيرة كل شر أوصلهم إلى غضبه وعقوبته، ولم يكتسبوا ما اكتسبه المؤمنون [من] الخير، الذي يوصلهم إلى السعادة الدائمة ورضوان ربهم.

﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ* قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ كلامهم هذا، مبني على استقصارهم جدا، لمدة مكثهم في الدنيا وأفاد ذلك، لكنه لا يفيد مقداره، ولا يعينه، فلهذا قالوا: ﴿فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ﴾ أي: الضابطين لعدده، وأما هم ففي شغل شاغل وعذاب مذهل، عن معرفة عدده.(3)

﴿قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾﴾

فقال لهم: ﴿إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ سواء عينتم عدده، أم لا ﴿لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.(3)

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾

أي: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ﴾ أيها الخلق ﴿أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ أي: سدى وباطلا، تأكلون وتشربون وتمرحون، وتتمتعون بلذات الدنيا، ونترككم لا نأمركم، و[لا] ننهاكم ولا نثيبكم، ولا نعاقبكم؟ ولهذا قال: ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ لا يخطر هذا ببالكم.(3)

أي: أفظننتم أنكم مخلوقون عبثا بلا قصد ولا إرادة منكم ولا حكمة لنا ؟! وقيل، للعبث، أي : لتلعبوا وتعبثوا، كما خُلِقت البهائم لا ثواب لها و لا عقاب، وإنما خلقناكم للعبادة وإقامة أوامر الله عز وجل، ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ ﴾ أي: لا تعودون في الدار الآخرة، كما قال تعالى ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة:36]، يعني هملا.(5)

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾

﴿فَتَعَالَى اللَّهُ﴾ أي: تعاظم وارتفع عن هذا الظن الباطل، الذي يرجع إلى القدح في حكمته. ﴿الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ فكونه ملكا للخلق كلهم حقا، في صدقه، ووعده، ووعيده، مألوها معبودا، لما له من الكمال ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الكريم﴾ فما دونه من باب أولى، يمنع أن يخلقكم عبثا.(3)

هذه قراءة السبعة بل عامة العشرة ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ فيكون الكريم هنا صفة للعرش، وفي قراءة أبي جعفر من العشرة بالرفع ﴿رَبُّ

الْعَرْشِ الْكَرِيمُ﴾ فيكون الكريم صفة الله –عز وجل– للرب، كما سبق في القاعدة أن تعدد القراءات بمنزلة تعدد الآيات، فعلى هذه القراءة يكون الكريم صفة للعرش وصفوه بأنه الكريم، وفي القراءة الثانية يكون ذلك من صفة الله –عز وجل– كما في قوله تعالى: **﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾** [سورة البروج:15].(5)

﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾

أي: ومن دعا مع الله آلهة غيره، بلا بينة من أمره ولا برهان يدل على ما ذهب إليه، وهذا قيد ملازم، فكل من دعا غير الله، فليس له برهان على ذلك، بل دلت البراهين على بطلان ما ذهب إليه، فأعرض عنها ظلما وعنادا، فهذا سيقدم على ربه، فيجازيه بأعماله، ولا ينيله من الفلاح شيئا، لأنه كافر، **﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾** فكفرهم منعهم من الفلاح.(3)

﴿ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾

﴿وَقُلْ﴾ داعيا لربك مخلصا له الدين **﴿رَبِّ اغْفِرْ﴾** لنا حتى تنجينا من المكروه، وارحمنا، لتوصلنا برحمتك إلى كل خير **﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾** فكل راحم للعبد، فالله خير له منه، أرحم بعبده من الوالدة بولدها، وأرحم به من نفسه.(3)

هذا إرشاد من الله تعالى إلى هذا الدعاء ، فالغَفْرُ إذا أُطلِقَ معناه: محو الذنب وستره عن الناس، والرحمة معناها: أن يُسدده ويوفقه في الأقوال و الأفعال.(5)

الفوائد على هذا المقطع (1):

- بعد تذكير الكفار بالأدلة العظيمة في أنفسهم وفي الآفاق ، بتركهم إلى مصيرهم المحتوم ، يتوجه بالخطاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليعلمه مكارم الأخلاق ، وألا يغضب لعنادهم ، وأن يدفع السيئة بالحسنى ، وأن يستعيذ بالله من الشياطين التي تقودهم إلى الضلال المبين ، وهذا تعليم لأمته صلى الله عليه وسلم بتفويض الأمر لله بعد الأخذ بالأسباب ، والدفع بالتي هي أحسن و الاستعاذة من همزات الشياطين .وهذه توجيهات ربانية يجب على كل مسلم أن يتحلى بها .
- الحث على التوبة قبل الموت ، وطلب الرجعة إلى الحياة ، لتدارك ما فات ، والإصلاح فيما ترك وراءه من أهل و مال ، وطلب الرجوع للدنيا ، كلمة لا معنى له ا، ولا مدلول وراءها ولا تنبغي العناية بها أو بقائلها . والندم بعد فوات الأوان لا ينفع .

- حياة البرزخ حق يجب الإيمان به و الاستعداد له ، والأموات لا هم من أهل الدنيا ، و لا هم من أهل الآخرة ، إنما هم في ذلك البرزخ بينهما إلى يوم يبعثون ، وعذاب القبر حق. فهلّا للعاقل أن يستعد للقاء ربه ، ويعلم أن الحياة الدنيا قصيرة !
- انقطاع الأنساب و الوشائج يوم القيامة ، فلا ينفع احد أحدًا ، إنما تتقطع الروابط وتسقط القيم التي كانوا يتعارفون عليها في الدنيا، و لا واسطة إلا العمل الصالح .
- يجب تنزيه الله سبحانه وتعالى عما يقولون ويصفون، فهو الملك الحق، والمسيطر الحق، الذي لا إله إلا هو.
- كل ما يراه الناس على الكافرين من نعمة ومتاع، وقوة وسلطان – في بعض الأحيان – ليس فلاحا في ميزان القيم الحقيقية ، إنما هو فتنة واستدراج ، ينتهي بالوبال في الدنيا ، فإن نجى بعضهم في الدنيا فالآخرة تنتظره ، والآخرة أشد و أنكى.
- يعرض ميزان الحساب وعملية الوزن في سرعة واختصار ، بالعدل التام ، فهنيئًا لمن ثقلت موازينه فهم المفلحون ، الذين ذُكِروا في مطلع السورة ، وتعسًا لمن خفت موازينه ، في جهنم خالدون ، وهؤلاء خسروا كل شيء .
- تصوير حال الكافرين يوم القيامة وهم تلفح النار وجوههم حتى تكلح ، وتشوه هيئتها ، ويُكَدَّر لونها ، على العاقل أن يرهب منه .
- أسلوب العذاب المعنوي ، فالعذاب الحسي – على فظاعته – أهون من التأنيب و الخزي الذي يصاحبه ، وهو اعتراف تتجلى فيه المرارة و الشقوة .
- الاستهزاء بالرسل و المؤمنين جريمة أخرى بعد جريمة الكفر ، تدخلهم النار.
- تنتهي السورة بتقرير الإلوهية الواحدة ، وتحذير من يدعون مع الله إلها آخر ، وإعلان الخسارة الكبرى لمن يشركون بالله ، في مقابل الفلاح في أول السورة الذي وعد الله به المؤمنين .
- لا يجوز الدعاء إلا إلى الله وحده ؛ لأنه لا يملك إجابة الدعاء إلا هو سبحانه ، ومن هنا وجهت هذه الآيات إلى الله في طلب الرحمة و الغفران ، وهو أرحم الراحمين . وبرحمته يتم الفلاح و الفوز .

المراجع

1- التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، إعداد/ نخبة من علماء التفسير و علوم القرآن (جامعة الشارقة).

2- السراج في بيان غريب القرآن، تأليف/ د. محمد بن عبد العزيز الخضيري.

3- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ / عبد الرحمن بن ناصر السعدي- رحمه الله-.

4- المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير، للإمام إسماعيل بن كثير، إعداد/ جماعة من العلماء بإشراف الشيخ صفي الرحمن المباركفوري.

5- تعليق الشيخ/د.خالد السبت على كتاب المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير
http://www.khaledalsabt.com/cnt/dros/tid/110

نادي النورين
بالقرآن والسنة تشرق حياتي

جامعة الدمام
UNIVERSITY OF DAMMAM

مسابقة

الوحيين

لحفظ القرآن الكريم والسنة النبوية

أحاديث كتاب الإيمان من صحيح البخاري
شرح الشيخ الدكتور عبدالله بن عبدالعزيز العنقري

إنّ صحيح البخاري–رحمه الله تعالى– ديوان عظيم من دواوين الإسلام ألفه هذا الإمام الجليل وأودعه ما ثبت عن النبي–صلى الله عليه وسلم– من الأحاديث التي رواها بسنده الذي هو على شرط أفضل من شروط المحدثين–رحمه الله وأجَلّ له المثوبة– وقد اخترنا هذا الكتاب تنبيها لطالب العلم لأهمية التأصيل.

فإن طالب العلم من المهم جدا أن يعي أمر التأصيل وأن مسائل الاعتقاد هذه مسائل قد دلت عليها الأدلة من كتاب الله تعالى ومن صحيح سنة رسول الله–صلى الله عليه وسلم– ومما جاء عن سلف الأمة–رضي الله عنهم وأرضاهم– ومن القصور الحقيقة أن يكون طالب العلم بعيدا عن الأدلة وعن النصوص فهذا أمر ينبغي أن يعيه طالب العلم، فإن طالب العلم إذا عرف الاعتقاد الحق وعرف الحكمة أيضا الفقهية في مسألة ما فينبغي أن يعي الدليل عليها فإن الله–عز وجل– يقول: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص:65].

فالأصل أن الناس لا يلزمهم شيئا في اعتقادهم إلا ما بيَّنه الرب في كتابه أو ثبت عن رسول الله–صلى الله عليه وسلم– إذ مجال الاعتقاد بشكل خاص مجال لا اجتهاد فيه ولا مجال للحسبان والظنون والتخرصات، ومن الأمور العظيمة التي ينبغي أن يعيها طالب العلم في تأصيله أن يلاحظ أمر الأدلة والنصوص فأمر الأدلة هو رأس المال وهو التجارة الرابحة وهو الأصل والأساس إذ لا يُلزم الناس باعتقاد إلا إذا دلت عليه النصوص.

فمما اخترنا هذا الكتاب وهو كتاب الإيمان وسنسعى بعون الله نسأله التيسير والسداد إلى أن ننجزه ليكون أنموذجا لما ينبغي أن نكون عليه في مسائل الإيمان، لأن مسائل الإيمان من المسائل العظيمة التي أصّلها أهل العلم من أهل السنة والجماعة وخالف فيها من خالف من أهل الإرجاء والمعتزلة والخوارج فهي من المسائل العظيمة وذات الأثر الكبير الذي أنبنى عليه مسائل كبار في أمور التكفير وفي مسائل حقيقة الإيمان وفي مسائل الأحكام عموما.

فكان من المهم أن يُراعى مثل هذا الجانب وأن يعيه طالب العلم، ونسأل الله–عز وجل– التوفيق.

قال الإمام البخاري–رحمه الله تعالى–:

كتاب الإيمان باب الإيمان

مقدمة

بدأ–رحمه الله تعالى– بالتبويب على موضوع الإيمان بما اعتاده أهل العلم– رحمهم الله– من المصنفين بقسم المسائل الكبار تحت كتب فيتحدثون عن الصلاة تحت كتاب، ويتحدثون عن الحج تحت كتاب، ثم يبوبون داخل هذا الكتاب أبوابا، وذلك أن الكتاب مصدر يدل على الجمع والضم ومنه سميت الكتيبة في الجيش ولهذا أيضا سُمي الخياط بأنه كاتب لأن الخياط يجمع من خلال الخياطة يجمع رقع الثوب أو الجلد ويضمها فالخياط بذلك سُمي كاتبا مع أنه قد لا يكتب، لكن لأن مادة الكتابة تعني الجمع والضم.

فقال–رحمه الله تعالى– كتاب الإيمان، والبخاري–رحمه الله تعالى– قَسّم المسائل الكبار إلى كتب داخل صحيحه، فبدأ–رحمه الله تعالى– باب بدء الوحي وثني بكتاب الإيمان ثم ذكر كتاب الوضوء ثم الصلاة وهكذا، ويجعل تحت كتاب عدة أبواب فقد تطول الأبواب وتكون كثيرة جدا كأبواب الصلاة فإن الصلاة الأبواب فيها كثيرة للغاية لأنه يجعل بابا مثلا لفضل الصلاة ويجعل بابا لصلاة العصر، ويجعل بابا للصلاة في وقتها، ويجعل بابا لوقت صلاة الظهر وهكذا فتطول، فالحاصل أن الكتاب يضم جملة من المسائل ومنه سموا هذه المسائل بالكتاب لأن أصل مادة الكتاب تدل على الجمع والضم.

ثم ذكر–رحمه الله– الإيمان، والإيمان عند السلف هو الذي دلت عليه النصوص من كتاب الله تعالى وسنة رسوله–صلى الله عليه وسلم– وأجمع عليه سلف الأمة أن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالأركان لا يحل لأحد أن يفصل بينها، هكذا جاءت النصوص دالة على هذا النحو وعلى هذا الحال قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح فمن خرم منها شيئا فقد خرم حقيقة من حقائق الإيمان ودلت على هذا النصوص الكثيرة ويأتي–بإذن الله عز وجل– شرح لها.

المخالفون في أمر الإيمان إما أن يكونوا من المرجئة بأن يُسقطوا شيئا من هذه الحقائق بأن يُسقطوا العمل أو أن يُسقطوا نطق اللسان أو حتى كالكرامية ممن اسقطوا حتى اعتقاد القلب واقتصروا على نطق اللسان فقالوا الإيمان هو مجرد نطق اللسان، وعكسهم من بالغ هذه المبالغة المنكرة من الخوارج، وشبهة الجميع من المرجئة والخوارج –وهذه من العجائب مع أنهم على طرفي نقيض– شبهة الجميع: أن الإيمان شيء واحد يرتفع كله أو يبقى كله ومن هنا سارعت الخوارج إلى التكفير لأنها جعلت الإيمان على هذا النحو ولم تجعله شُعَبا كما سيأتي فإن أي خصلة من خصال الإيمان بناء على مقولتهم هذه ستكون كفرا بخلاف مقولة أهل السنة، فإن أهل السنة يقولون الإيمان شُعَب ثم إن هذه الشُعَب على درجات منها شعب لا يتم الإيمان إلا بها كشعبة لا إله إلا الله وهي نطق باللسان، ومنها شعب هي على سبيل الوجوب ولا تكون على سبيل بحيث إذا ارتفعت ولم توجد يكون الكفر كما تقول الخوارج مثل صوم رمضان فإنه كما سيأتي إن شاء الله تعالى من شعب الإيمان بلا شك. لكن لو أن إنسانا فرط في صوم رمضان لا يقال إنه كافر ولكن يقال إنه عاصي وهذا الفرق بين مقولة أهل السنة وبين مقولة الخوارج، ويأتي بذلك مزيد بيان إن شاء الله تعالى داخل النصوص.

باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «بُني الإسلام على خمس»

1- حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى قَالَ أَخْبَرَنَا حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ عَنْ عِكْرِمَةَ بْنِ خَالِدٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالْحَجِّ وَصَوْمِ رَمَضَانَ).

باب أمور الإيمان

2- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْجُعْفِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ الْعَقَدِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: (الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الْإِيمَانِ).

باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده

3- حَدَّثَنَا آدَمُ بْنُ أَبِي إِيَاسٍ قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي السَّفَرِ وَإِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ عَنْ الشَّعْبِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ لَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ).

باب أي الإسلام أفضل؟

4- حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْقُرَشِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبِي قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو بُرْدَةَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: (قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ)

باب إطعام الطعام من الإسلام

5- حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ خَالِدٍ قَالَ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ يَزِيدَ عَنْ أَبِي الْخَيْرِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- (أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: تُطْعِمُ الطَّعَامَ وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ)

باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه

6- حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ قَالَ حَدَّثَنَا يَحْيَى عَنْ شُعْبَةَ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَعَنْ حُسَيْنٍ الْمُعَلِّمِ قَالَ: حَدَّثَنَا قَتَادَةُ عَنْ أَنَسٍ عَنْ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ).

باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان.

7- حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ قَالَ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ عَنْ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: (فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ).

8- حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ عُلَيَّةَ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ صُهَيْبٍ عَنْ أَنَسٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ح و حَدَّثَنَا آدَمُ قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ).

باب حلاوة الإيمان

9- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ الثَّقَفِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَيُّوبُ عَنْ أَبِي قِلَابَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنْ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: (ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ)

باب علامة الإيمان حب الأنصار

10- حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَبْرٍ قَالَ سَمِعْتُ أَنَسًا عَنْ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: (آيَةُ الْإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الْأَنْصَارِ)

باب من الدين الفرار من الفتن

11- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ عَنْ مَالِكٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي صَعْصَعَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنْ الْفِتَنِ).

باب من كره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقى في النار من الإيمان

12- حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: (ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَمَنْ أَحَبَّ عَبْدًا لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ، بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ، مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ).

باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال

13- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ قَالَ حَدَّثَنِي مَالِكٌ عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى الْمَازِنِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى أَخْرِجُوا مِنْ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا قَدْ اسْوَدُّوا فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الْحَيَا أَوْ الْحَيَاةِ شَكَّ مَالِكٌ فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي جَانِبِ السَّيْلِ أَلَمْ تَرَ أَنَّهَا تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً قَالَ وُهَيْبٌ: حَدَّثَنَا عَمْرٌو: (الْحَيَاةِ) وَقَالَ: (خَرْدَلٍ مِنْ خَيْرٍ).

14-حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلٍ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (بَيْنَما أَنَا نَائِمٌ، رَأَيْتُ النَّاسَ يُعْرَضُونَ عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ قُمُصٌ، مِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثُّدِيَّ، وَمِنْهَا مَا دُونَ ذَلِكَ، وَعُرِضَ عَلَيَّ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجُرُّهُ) قَالُوا: فَمَا أَوَّلْتَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ : (الدِّينَ).

باب الحياء من الإيمان

15- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ، وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الحَيَاءِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعْهُ فَإِنَّ الحَيَاءَ مِنَ الإِيمَانِ».

باب ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾

16- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ المسْنَدِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو رَوْحٍ الحَرَمِيُّ بْنُ عُمَارَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ وَاقِدِ بْنِ مُحَمَّدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ)).

باب من قال إن الإيمان هو العمل

17- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ، وَمُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، قَالاَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ شِهَابٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ المسَيِّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ: أَيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ :إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ . قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ :الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ :حَجٌّ مَبْرُورٌ.

باب إفشاء السلام من الإسلام

18- حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، قَالَ: حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ أَبِي الخَيْرِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: أَيُّ الإِسْلاَمِ خَيْرٌ؟ قَالَ: (تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ).

باب كفران العشير وكفر دون كفر

19- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ عَنْ مَالِكٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:(أُرِيتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ يَكْفُرْنَ) قِيلَ: أَيَكْفُرْنَ بِاللَّهِ، قَالَ: (يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ)

20- حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ أَبُو الرَّبِيعِ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا نَافِعُ بْنُ مَالِكِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ أَبُو سُهَيْلٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ».

21- حَدَّثَنَا قَبِيصَةُ بْنُ عُقْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُرَّةَ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ» تَابَعَهُ شُعْبَةُ، عَنِ الأَعْمَشِ.

باب قيام ليلة القدر من الإيمان

22- حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنِ الأَعْرَجِ. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يَقُمْ لَيْلَةَ القَدْرِ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

باب الجهاد من الإيمان

23- حَدَّثَنَا حَرَمِيُّ بْنُ حَفْصٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الوَاحِدِ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُمَارَةُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ بْنُ عَمْرِو بْنِ جَرِيرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «انْتَدَبَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لاَ يُخْرِجُهُ إِلَّا إِيمَانٌ بِي وَتَصْدِيقٌ بِرُسُلِي، أَنْ أُرْجِعَهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ، أَوْ أُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، وَلَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي مَا قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيَّةٍ، وَلَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ».

باب تطوع قيام رمضان من الإيمان

24- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

باب صوم رمضان احتسابًا من الإيمان

25- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلاَمٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

باب صوم رمضان احتسابًا من الإيمان

26- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلاَمٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

باب الدين يسر

27- وقول النبي صلى الله عليه وسلم: «أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة».

28- حَدَّثَنَا عَبْدُ السَّلاَمِ بْنُ مُطَهَّرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ مَعْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الغِفَارِيِّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ المَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ».

باب حسن إسلام المرء

29- قَالَ مَالِكٌ: أَخْبَرَنِي زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ، أَنَّ عَطَاءَ بْنَ يَسَارٍ، أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِذَا أَسْلَمَ العَبْدُ فَحَسُنَ إِسْلاَمُهُ، يُكَفِّرُ اللَّهُ عَنْهُ كُلَّ سَيِّئَةٍ كَانَ زَلَفَهَا، وَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ القِصَاصُ: الحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ، وَالسَّيِّئَةُ بِمِثْلِهَا إِلَّا أَنْ يَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهَا».

بابٌ أحب الدين إلى الله أدومه

30- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ المُثَنَّى، حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ هِشَامٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي، عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا امْرَأَةٌ، قَالَ: «مَنْ هَذِهِ؟» قَالَتْ: فُلاَنَةُ، تَذْكُرُ مِنْ صَلاَتِهَا، قَالَ: «مَهْ، عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ، فَوَاللَّهِ لاَ يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا» وَكَانَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَادَامَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ.

باب زيادة الإيمان ونقصانه

31- حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ» قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: قَالَ أَبَانُ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، حَدَّثَنَا أَنَسٌ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مِنْ إِيمَانٍ» مَكَانَ «مِنْ خَيْرٍ».

باب إتباع الجنائز من الإيمان

32- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ المَنْجُوفِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا رَوْحٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَوْفٌ، عَنِ الحَسَنِ، وَمُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنِ اتَّبَعَ جَنَازَةَ مُسْلِمٍ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، وَكَانَ مَعَهُ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا وَيُفْرَغَ مِنْ دَفْنِهَا، فَإِنَّهُ يَرْجِعُ مِنَ الأَجْرِ بِقِيرَاطَيْنِ، كُلُّ قِيرَاطٍ مِثْلُ أُحُدٍ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهَا ثُمَّ رَجَعَ قَبْلَ أَنْ تُدْفَنَ، فَإِنَّهُ يَرْجِعُ بِقِيرَاطٍ» تَابَعَهُ عُثْمَانُ المُؤَذِّنُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَوْفٌ، عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوَهُ.

بَاب خَوْفِ الْمُؤْمِنِ مِنْ أَنْ يَحْبَطَ عَمَلُهُ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ

33- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَرْعَرَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ زُبَيْدٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا وَائِلٍ عَنْ الْمُرْجِئَةِ فَقَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ».

بَاب سُؤَالِ جِبْرِيلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَالْإِحْسَانِ وَعِلْمِ السَّاعَةِ

34- حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا أَبُو حَيَّانَ التَّيْمِيُّ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: مَا الإِيمَانُ؟ قَالَ: «الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَبِلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ قَالَ: مَا الإِسْلاَمُ؟ قَالَ: الإِسْلاَمُ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ، وَلاَ تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، قَالَ: مَا الإِحْسَانُ؟ قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ، قَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: مَا المَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَسَأُخْبِرُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا: إِذَا وَلَدَتِ الأَمَةُ رَبَّهَا، وَإِذَا تَطَاوَلَ رُعَاةُ الإِبِلِ البُهْمُ فِي البُنْيَانِ، فِي خَمْسٍ لاَ يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ ثُمَّ تَلاَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾[لقمان: 34] الآيَةَ، ثُمَّ أَدْبَرَ فَقَالَ: رُدُّوهُ فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا، فَقَالَ: هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ يُعَلِّمُ النَّاسَ دِينَهُمْ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: جَعَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ مِنَ الإِيمَانِ.

بَاب فَضْلِ مَنْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ

35- حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، حَدَّثَنَا زَكَرِيَّاءُ، عَنْ عَامِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «الحَلاَلُ بَيِّنٌ، وَالحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى المُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ: كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلاَ إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ».

بَاب مَا جَاءَ إِنَّ الْأَعْمَالَ بِالنِّيَّةِ وَالْحِسْبَةِ

36- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَقَّاصٍ، عَنْ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَلِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ،

وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ».

37- حَدَّثَنَا الحَكَمُ بْنُ نَافِعٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَامِرُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ».

بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "الدِّينُ النَّصِيحَةُ... لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ"

38- حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ: حَدَّثَنِي قَيْسُ بْنُ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: «بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى إِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ».

(1) باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «بُني الإسلام على خمس»

حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى قَالَ أَخْبَرَنَا حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ عَنْ عِكْرِمَةَ بْنِ خَالِدٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالْحَجِّ وَصَوْمِ رَمَضَانَ).

هذا أول حديث أورده في كتاب الإيمان بسنده وفيه أن النبي-صلى الله عليه وسلم- قال بني الإسلام على خمس أي على خمس دعائم كما في رواية عبد الرزاق-رحمه الله- فالإسلام مبني على هذه الدعائم الخمس، أول هذه الدعائم الشعبة العظيمة الكبيرة من شعب الإيمان التي لا يمكن أن يكون الإيمان إلا بها وهي شهادة أن لا إله إلا الله.

شهادة أن لا إله إلا الله تُعتقد بالقلب ولا بد أن تُنطق باللسان ومن لم ينطقها باللسان وأبى أن يقولها فإنه لا يعد من المؤمنين إلا أن كان أخرص لا يستطيع أن ينطق ولهذا قال أهل العلم إن الذي يمكن أن يستثنى أحوال كالأخرس كالذي لا يستطيع أن ينطق ولكنه يشير كما في حديث الجارية لما سألها النبي-صلى الله عليه وسلم- أين الله؟ أشارت برأسها إلى السماء، فقال: من أنا؟ فأشارت إليه-صلى الله عليه وسلم- وإلى السماء يعني أنت رسول الذي في السماء، فقال أعتقها فإنها مؤمنة.

أما من كان ينطق فلا شك أنه لا بد أن يقول لا إله إلا الله، ولهذا قال-عليه الصلاة والسلام-: **(أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله)** وقال الله تعالى: ﴿قولوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة:136].. إلخ الآية، فهذه الدعامة العظيمة الأولى شهادة أن لا إله إلا الله، وهي التي تعرض على أحد يريد الإسلام لا يُعرض عليه أي شيء قبلها.

ففي حديث معاذ-رضي الله عنه- أن النبي-صلى الله عليه وسلم- لما بعثه إلى أهل اليمن وقال له: **(إنّك تأتي قوما أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإن هم أطاعوا فأعلمهم إن الله افترض عليهم خمس صلوات)** طيب وإن لم يطيعوا فلا تذكر الصلاة ولا تذكر الصوم ولا تذكر أي شيء من ذلك لأنهم كفروا بذلك فإن أقروا بلا إله إلا الله عُرض عليهم بقية أركان الإسلام وأمور الإسلام أما إن أبوا هذه الشعبة فإنه لا تصح أي شعبة من شعب الإيمان إلا بها، فأول هذه الأركان وأول هذه الدعائم شهادة أن لا إله إلا الله، ومن شعب الإيمان كما سيأتي إن شاء الله تعالى شعبة الصلاة، إقام الصلاة وهكذا إيتاء الزكاة وهكذا الحج وهكذا صوم رمضان ويأتي لها إن شاء الله تعالى أو بعضها أبواب مستقلة.

(2) باب أمور الإيمان

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْجُعْفِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ الْعَقَدِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: (الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الْإِيمَانِ).

هذا لفظ البخاري-رحمه الله تعالى- وهو الذي اختاره لأنّه ورد الإيمان بضع وسبعون، واختار-رحمه الله- رواية أبي عامر العقدي الذي لم يختلف عنه الرواة في أنه قال أن الإيمان بضع وستون، فاختارها البخاري ورجحها على الروايات الأخرى، قوله-صلى الله عليه وسلم- **(الإيمان بضع وستون شعبة)** ماذا يدل عليه؟ يدل على أنّه مجموعة من الأعمال القلبية والفعلية التي تُفعل بالجوارح.

وكذلك بنطق اللسان ولهذا هذا الحديث رواه مسلم بلفظ أوسع **(الإيمان بضع وستون شعبة فأعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها**

إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان)، فذكر-عليه الصلاة والسلام- في هذا الحديث ذكر ما يتعلق بالقلب وما يتعلق باللسان وما يتعلق بالجوارح ولهذا قال شيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز-رحمه الله- في لفظ مسلم هذا، (هذا واضح في أن الإيمان يطلق على كل هذه الخصال) فأدناها يعني أدنى هذه الخصال إماطة الأذى عمل فعلي.

وأعلاها عمل قولي لا إله إلا الله، والحياء عمل قلبي فهذه كلها، هذه الشعب هل هي جميعا واجبة؟ لا منها ما هي شعب واجبة محتمة بل لا يتم الإيمان إلا بها، مثل أعلى الشعب قول لا إله إلا الله ومنها شعب واجبة لكن لو أن الإنسان فرّط فيها فإنه يأثم ويكون عاصيا ولا يكون كافرا بخلاف الشعبة الأولى قول لا إله إلا الله فهذه إذا لم يقلها مع التمكن فإنه لا يعد مؤمنا، أما بقية الشعب مثل إماطة الأذى عن الطريق فلو أن إنسانا رأى أذى على الطريق فلم يمطه لا شك أنه لا يقال إنه في هذه الحالة قد ارتكب جرما مثل ما لو ارتكب جرم الإفطار في نهار رمضان، وقلنا إن صوم رمضان شعبة من شعب الإيمان، لكن من أماط الأذى عن الطريق لا شك أنه أكمل إيمانا منه لأن إماطة الأذى عن الطريق شعبة من شعب الإيمان فإذا أماطه فإنه يكون بذلك أزيد إيمانا ممن لم يمط الأذى عن الطريق.

فهذه شعب تتفاوت منها شعب لا يمكن أن يكون الإيمان مطلقا إلا بها وهي شعبة لا إله إلا الله وشعبة الصلاة على الصحيح من أقوال أهل العلم فهاتان الشعبتان على الصحيح، لأن الشعبة الأولى بإجماع أهل السنة أن من لم يقل لا إله إلا الله فليس بمسلم، وشعبة الصلاة على الصحيح وهو الذي دل عليه قول الصحابة-رضي الله عنهم- ومنهجهم وهو قول جمهور المحدثين كما نقله محمد بن نصر المروزي-رحمه الله تعالى- عن جماهير المحدثين أن شعبة الصلاة من الشعب التي إذا تُركت فإن صاحبها لا يكون من المسلمين كما دل على ذلك قوله-صلى الله عليه وسلم- (العهد) فجعلها نوعا من العهد الذي يُعرف به الإيمان من الكفر **(العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر)** وهذا أمر نقله عبد الله بن شقيق العقيلي-رحمه الله- عن جمهور الصحابة-رضي الله عنهم- فقال عن الصحابة جميعا-رضي الله عنهم- قال: (لم يكن أصحاب محمد-صلى الله عليه وسلم- يرون شيئا من الأعمال تركه كفر إلا الصلاة)، فتختلف الصلاة عن غيرها وضعها خاص ليس مثل الفطر في نهار رمضان فهو جرم لا يكفر العبد به إذا لم يكن مستحلا له.

أما الصلاة فإن تركها في ذاته يعد كفرا على الصحيح، ثم تتفاوت هذه الشعب فشعبة الصوم وشعبة الزكاة وشعبة الحج من الشعب العظام ولهذا قال-عليه الصلاة والسلام-: **(بني الإسلام على خمس)** على هذه الدعائم ثم ثمت شعب أخرى تكون على سبيل الكمال مثل ما جاء في الحديث **(أن من أعلى شعب الإيمان منيحة العنز)**، فإذا منح المؤمن أخاه عنزا يحتلبها فلا شك أنّه يرفع عنه شيئا عظيما من الجوع لأنه إذا وُجد عنده الحليب فإنه يرفع عنه شيئا كبيرا من الجوع ومنها شعبة إماطة الأذى عن الطريق فالشعب تتفاوت.

فكون الإيمان شعبا هذا كله يدل على أنه يتفاوت وعلى أنه يزيد وينقص لأن الناس يتفاوتون في هذه الشعب ويدل على أن الأعمال من الإيمان في قوله **(الإيمان بضع وستون شعبة)** فذكر هذه الأعمال الثلاثة.

ثم قال في رواية البخاري هنا **(والحياء شعبة من الإيمان)** يعني أن من ضمن هذه الشعب العظيمة شعبة الحياء ولا شك أن الحياء له ارتباط كبير بالإيمان فإن العبد إذا كان ضعيف الإيمان يكون وقحا جريئا على أشياء كثيرة لا يستحي من أمور كثيرة يعني ممكن أن يستحي منها غيره، ثم إذا دخل الإيمان في قلبه فكلما عظم الإيمان في قلبه عظم حياؤه ولهذا إذا نقص الإيمان في القلب نقص الحياء، فتجد إنسان مثلا قد لا يكترث من انكشاف شيء من عورته هذا لقلة حيائه ولقلة إيمانه في نفس الوقت.

ثم إنه إذا عظم إيمانه عظم حياؤه من مثل هذه الأمور وهكذا ما يُستحي منه، ولهذا لما كان الرسول-صلى الله عليه وسلم- أكمل الناس إيمانا كان-عليه الصلاة والسلام- أعظم الناس حياء، حتى قال أنس-رضي الله عنه- كان رسول الله-صلى الله عليه وسلم- أشد حياء من العذراء في خدرها، فالحياء شأنه عظيم الحياء شأنه عظيم جدا ولهذا لا تجد من يجترئ ويكون وقحا إلا من عنده ضعف في الإيمان، أما أن

تجد مؤمنا خيرا صالحا عنده قحة وقلة أدب فلا يمكن؛ لارتباط الحياء بالإيمان، إذا كمل الإيمان كمل الحياء وإذا قل الإيمان قل الحياء وهذا أمر مشاهد وواضح.

(3) باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده

حَدَّثَنَا آدَمُ بْنُ أَبِي إِيَاسٍ قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي السَّفَرِ وَإِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ عَنْ الشَّعْبِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ).

في هذا الحديث أولا ترجم-رحمه الله- بقوله بلفظ حديث: **(المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)** وهذه من طرائق البخاري تارة يترجم على الباب بآية باب قول الله تعالى، وتارة يترجم بلفظ الحديث نفسه كقول: **(المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)** هذا لفظ الحديث نفسه، وتارة يعبر بأسلوبه-رحمه الله تعالى-.

فقوله-صلى الله عليه وسلم-**(المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)** يقول شيخنا الشيخ عبد العزيز-رحمه الله- في بيان هذا الحديث: أي المسلم الكامل والمهاجر الكامل وكلها يدخلها النقص، فقوله-صلى الله عليه وسلم: **(المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)** الناس يمكن أن يؤذيهم العبد من طريقين: إما بلسانه بأن يتلفظ بألفاظ غير مناسبة وغير طيبة، وإما بأن يؤذيهم بشيء من جسده، وأبلغ ما يُؤذى به الناس هو اليد ولهذا ذُكرت وإن كان قد يؤذي بغير يده، لكن في العموم الأغلب الأذية تكون من اليد، فمن سلم المسلمون من لسانه بتلفظه عليهم بما لا ينبغي أو ظلمه لهم بيده فهو المسلم الحق والمسلم الكامل ، فقوله-صلى الله عليه وسلم-: **(المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)** المراد به المسلم الكامل.

وهكذا قوله-صلى الله عليه وسلم-: **(والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه)** الهجرة أصل الهجرة الانتقال وجاء الشرع بتشريع انتقال المؤمن من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام وهذه هجرة عملية واضحة، ذكر هنا-عليه الصلاة والسلام- الهجرة التي تكون بهجرة ما حرم الله تعالى على العبد فقال: **(والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه)** يعني هجر المعاصي، إذن فالهجرة هجرتان الهجرة المعروفة التي هي النقلة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام، والهجرة الثانية هي الهجرة للسوء والهجرة إلى المعاصي بأن يهاجر المسلم ويهجر هذه المعاصي ويتركها لله- تبارك وتعالى- فالمهاجر حقا من هجر ما نهى الله عنه، والمسلم حقا من سلم المسلمون من لسانه ويده فلا تجده مؤذيا لهم.

(4) باب: أي الإسلام أفضل؟

حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْقُرَشِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبِي قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو بُرْدَةَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: (قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ)

في هذا الباب ذكر أي خصال الإسلام أو أي المسلمين أي أهل الإسلام أفضل ؟ولذلك في رواية مسلم ترجم-رحمه الله- بقوله باب أي الإسلام أفضل؟ لما سئل-صلى الله عليه وسلم- أي الإسلام أفضل؟ فأجاب على قدر السؤال-صلى الله عليه وسلم- بقوله **(من سلم المسلمون من لسانه ويده)**، فسئل-عليه الصلاة والسلام- عن الإسلام وأجاب بما يدل على المسلمين أنفسهم ولهذا في رواية مسلم أي المسلمين أفضل؟

فأفضل المسلمين هم الذين يسلم الناس أي المسلمون تحديدا من ألسنتهم وأيديهم، من ألسنتهم بالأذى ويسلمون من أيديهم بالأذى، فمن سلم المسلمون من لسانه ويده فهذا هو المسلم الكامل، والذي يسلم المسلمون من لسانه ويده لا يكون كاملا إلا بالنظر إلى الأمور الأخرى بأن يكون مصليا بأن يكون قد قام بحق الله، لأنه إذا سلم المسلمون من لسانه ويده يكون قد أدى حق الناس، فليس المقصود أن يؤدي حق الناس ويفرط في حق الله، لأن من قال بحق الناس فمن باب أولى ينبغي أن يقوم بحق الله تعالى وليس المقصود ليسلم الناس من لسانك ويدك ولو فرطت في أوامر الله تعالى، لا ليس هذا هو المقصود، لكن من سلم الناس من لسانه ومن يده، وإن كان بترك أذيتهم يريد وجه الله ومخلصاً في ذلك فلا ريب أنه لا يكون كاملاً إلا أن يكون قد أدى الحق الأعظم وهو حق الله سبحانه وتعالى، وعلى رأس ذلك توحيده سبحانه وأداء الصلاة والزكاة والحج والصوم ونحو ذلك من الأوامر التي أوجبها الله وترك ما نهى الله عنه.

(5) باب: إطعام الطعام من الإسلام

حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ خَالِدٍ قَالَ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ يَزِيدَ عَنْ أَبِي الْخَيْرِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- (أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: تُطْعِمُ الطَّعَامَ وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ)

إطعام الطعام هذا جزء من الإيمان والبخاري رحمه الله له وجهة حاصلها أن الإسلام والإيمان عنده شيء واحد ولهذا يعبر هنا باب إطعام الطعام من الإسلام لأنه يرى أن الإسلام والإيمان شيء واحد، والذي عليه أكثر أهل العلم رحمهم الله تعالى أن الإيمان والإسلام يتفاوتان فإذا ذكرا في موطن واحد كان المراد بالإيمان الأعمال الباطنة كما في حديث جبريل لما سأل الرسول-صلى الله عليه وسلم- عن الإيمان ذكر له الأعمال الباطنة أن تؤمن بالله وملائكته.. إلخ، والإسلام يكون المراد به الأعمال الظاهرة وهي الشهادتان والصلاة والصوم والزكاة والحج، هذا إذا ذكرا معاً أما إذا ذُكر الإيمان وحده فإنه يدخل فيه الإسلام بلا شك لأنه لابد حتى يكون مسلماً أن يكون عنده إيمان يصح به الإسلام، وإذا ذُكر الإسلام وحده دخل فيه الإيمان، قالوا وهذا مثل الفقير والمسكين.

فالفقير مسكين في نفس الوقت كما أن المسكين فقير في نفس الوقت لكن متى هذا؛ هذا إذا ذكر الفقير وحده، فإن المساكين يدخلون في الفقراء لكن إذا ذكر الفقير والمسكين معا فالفقير له معنى والمسكين له معنى ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ﴾ [التوبة:60] لا شك أن المساكين هنا غير الفقراء في هذا الموطن لأنه ذكر سبحانه ثمانية أصناف فقال الصدقات للأصناف الآتية:

- الفقراء واحد.
- اثنين المساكين.

فيكون المراد بالفقراء من هم أشد حاجة قالوا: الفقير سُمّي بالفقير لأنه كالذي انقطع فقار ظهره، فلا يجد بتاتا شيئاً بخلاف المسكين، قالوا المسكين سمي مسكيناً من السكون كأنّ الحاجة قد جعلته مسكين من شدة الحاجة، لكن المسكين لديه شيء مع قلته بخلاف الفقير.

إذا ذكر الله عز وجل في الكفارات فكفارته إطعام مساكين، لو أعطيت الفقير يجزئ أو لا يجزئ؟ يجزئ لماذا؟ لأن الفقير يدخل في المسكين إذا لم يذكر معاً فإذا ذكرنا الفقير والمسكين معا كان لكل واحداً منهم معنى، وإذا ذكر الفقير مستقلاً دخل المسكين فيه كما أنه إذا ذكر المسكين مستقلاً دخل الفقير فيه. قالوا فالإسلام والإيمان كذلك إذا ذكر الإيمان والإسلام معاً صار المراد بالإسلام الأعمال الظاهرة وصار المراد بالإيمان الأعمال القلبية الباطنة وإذا ذكر الإيمان وحده كأن نقول ما حقيقة الإيمان فإنه يدخل فيه الإسلام بلا شك؛

لأنه لا يمكن أن يكون معنى الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الأخر وتؤمن بالقدر وتترك الصلاة والصوم والزكاة والصوم والحج ليس هذا هو المقصود لأن المؤمن لابد له من أعمال حتى يصح إيمانه تكون أساس.

وهكذا المسلم لابد له من إيمان يصح به إسلامه فالحاصل أنّ إطعام الطعام وهو عمل من الأعمال معدود في خصال الإيمان ولهذا لما سئل النبي-صلى الله عليه وسلم- أي الإسلام خير؟ قال تطعم الطعام، وإطعام الطعام هنا كما يقول شيخنا رحمه الله عام للفقراء وللضيوف أيضاً يدخل في قوله تطعم الطعام إطعام الفقير وإطعام الضيف أيضاً لأن إطعام الضيف من الإيمان **(مَن كان يؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخرِ فلْيُكرِمْ ضيفَه)** وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف، تلقي السلام لا يكون إلقاءك السلام من خلال انتقاء من تعرفهم فلا تسلم إلا على فلان إذا كنت تعرفه، لا، السلام الحقيقي بأن تلقي السلام على من عرفت وعلى من لا تعرف أيضاً فيُلقي السلام على الجميع وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف، أليس الناس يتفاوتون في هذا؟ في إطعام الطعام وقراءة السلام على من عرفوا ومن لم يعرفوا؟ أليس الناس يتفاوتون في أمر الأذى من سلم المسلمون من لسانه ويده؟ كل هذا يدل على ماذا؟ يدل على أن هذه أعمال من خصال الإيمان وتدل على أنّ الإيمان يزيد وينقص.

فمن الناس من هو يلقي السلام على كل أحد فيلقي السلام على الصغار ويلقي السلام على الفقير، على من قد يكون أقل شأناً في دنياه، على من هو أقل منه في أمر إلتزامه ودينه متواضعاً لله تعالى، ومنهم من قد يقل عنده هذا الأمر، فلما تفاوتوا في إلقاء السلام وكان إلقاء السلام خصلة من الخصال دل على أنّ الأعمال كما أنه تتفاوت فكذلك الإيمان يتفاوت.

(6) باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ قَالَ حَدَّثَنَا يَحْيَى عَنْ شُعْبَةَ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَعَنْ حُسَيْنٍ الْمُعَلِّمِ قَالَ: حَدَّثَنَا قَتَادَةُ عَنْ أَنَسٍ عَنْ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ).

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ترجم رحمه الله تعالى على هذا الباب مُقتَبِساً من معنى الحديث وهو قوله -صلى الله عليه وسلم -: **(لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)** هذا الحديث جاء في بعض الروايات ما يُجَلِّي المراد منه، فجاء في بعض الروايات **(لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه المسلم)** فدل على أن المقصود الأخ في الإسلام، ثم قال: ما يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير، فالمقصود ما يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير، فإذا كان يحب لنفسه التوفيق والسداد وتيسير الأمور، والزوجة الصالحة والذرية الطيبة وسعة الرزق والتوفيق في الأمور، وسعة الصدر، فإنه يحب مثل هذا لأخيه المسلم.

فلهذا قال -صلى الله عليه وسلم -: **(والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)** في هذا الحديث أيضاً أنه عليه الصلاة والسلام بَيَّن لنا بيانا واضحاً ما ينبغي أن يكون عليه أهل الإسلام فيما بينهم، من أنّ الواحد منهم ينبغي أن يكون متواضعاً لله تبارك وتعالى غير مؤثر لنفسه إيثاراً يكون من تبيعاته حسد أخيه المسلم.

ومن نعمة الله أنه لم يوجب علينا إلا هذا القدر، لأن الناس في هذه الأمور على أحوال ثلاثة؛ الحال الأول: من يحب لنفسه الخير ويتمنى لأخيه الشر، فهذا بأقبح المنازل وأردئها.

الحال الثاني: أن يحب لنفسه الخير وأن يكون فيه مميزاً على غيره وإن لم يحب لأخيه الشر، لكن يحب أن يستأثر هو بالخير دون غيره، ولاشك أن هذا أيضاً مذموم، والمراد بالحديث هنا الصنف الثالث، وهو الذي يحب لنفسه الخير ويقول خير الله واسع، يكون لي الخير ويكون لأخي مثل هذا يريد لأخيه مثل هذا الخير، ويكون لي أيضاً نفس هذا الخير، فهذه المقامات الثلاثة؛ المقام الأول مذموم، يتمنى لغيره من إخوانه المسلمين الشر والعياذ بالله، المقام الثاني تحدثنا أنه يريد أن يستأثر بالخير دون غيره، فهذا أيضاً مذموم وهو كثير جداً، قد لا يتمنى كثير من الناس الشر أو السوء لإخوانهم المسلمين لكن يحب أن يكون منفرداً، فإذا ربحت التجارة فإنه يربح وحده، إن كانت دراسة فإنه يتمنى أن يستأثر بأمور دون غيره من زملائه وهذا كله مذموم، وعليه قوله -عليه الصلاة والسلام-: **(لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)** وذلك أنه إذا ربحت تجارتك وربحت تجارة أخيك فما الذي يضرك أنت؟ الخير وصل إليك، ووصل إلى أخيك فخير الله واسع، وهكذا في الدراسة؛ إذا وُفقت إلى نتيجة عالية رفيعة، ووفق أخوك إلى نفس النتيجة ما الذي يضرك؟ لا يضرك شيء، إذن في الحاصل أن في هذا الحديث بيانه -صلى الله عليه وسلم- أن المؤمن إن لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير فإنه في هذه الحالة مذموم وعليه قوله: **(لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)**.

الفائدة في هذا الحديث تظهر في الدلالة على تفاوت في الإيمان وعلى أنه يزيد وينقص فإذا كان النبي -صلى الله عليه وسلم- قال لا يؤمن أحدكم يعني الإيمان الكامل حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، فمن المعلوم أن هذا الصنف الذي يحب لأخيه ما يحب لنفسه أنه للأسف هو الصنف القليل في الناس، وأن هذا الصنف الكامل هو قلة في الناس الذي يحبون لأنفسهم ما يحبون لإخوانهم من الخير، فدل على تفاوت الإيمان وعلى أنه يتفاوت بين العباد وأنه يزيد بين العباد وينقص.

ثم في هذا الحديث أيضاً نعمة من نعم الله -عز وجل- لو قال النبي -صلى الله عليه وسلم- لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه أكثر مما يحب لنفسه من الخير لكان المقام صعب جداً على النفوس.

لو رُبط كمال الإيمان بأن تحب لأخيك أكثر ما تحب لنفسك لكان هذا عسر جداً، لكن من فضل الله أن كمال إيمان هنا رُبط بأن تحب لأخيك نفس ما تحب لنفسك، وفي الحديث أيضاً أمر آخر دل عليه المقام وهو أن تُبغض لأخيك ما تبغض لنفسك من الشر، فإذا كنت تحب لأخيك ما تحب لنفسك فإنك أيضاً تُبغض أن يصيب أخاك شر تكره أن يصيبك أنت، فإذا كنت تكره أن لا توفق وألا ترزق وأن لا يتيسر أمرك فإنك تكره لأخيك أن يصاب بذلك أيضا، وهذا دل عليه المقام أنه من أحبّ لأخيه ما يحب لنفسه من الخير فإنه يبغض أن يصيب أخاه ما يصيبه من الشر.

(7) باب: حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان

لاحظ فقه البخاري رحمه الله تعالى وتسلسل الأبواب عنده، في الباب السابق (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)، في هذا الباب بيان أن حب الرسول -صلى الله عليه وسلم- الذي هو بأبي وأمي صلوات الله وسلامه عليه_ أعظم الناس حقاً على الأمة لاشك أن حبه من الإيمان، إذا كان حبك لأخيك ما تحب لنفسك من الخير من الإيمان، فلا ريب أن حب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من الإيمان، والشأن في هذا المقام يأتي إن شاء الله تفصيله لكن يلاحظ طالب العلم أن البخاري رحمه الله تعالى كما قيل فقه البخاري في تراجمه، هذه التراجم التي يسوقها البخاري رحمه الله تعالى تكون وفق منهج لديه -رحمه الله- وتكون وفق تسلسل وتكون وفق تنبيه، نبه عليه الشراح كثيراً، فهذا الآن على سبيل التدرج، في الباب السابق أنّ من الإيمان أن تحب لأخيك ما تحب

لنفسك، وفي هذا الباب بيان من هو أحق الناس بالمحبة وهو رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، فقال باب حب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من الإيمان.

1- حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ قَالَ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ عَنْ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: (فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ).

أولاً في السند أبو الزناد يروي عن الأعرج عن أبي هريرة، وهذا أيضاً مما يكثر في البخاري ومسلم ومزية معرفة مثل هؤلاء الرواة أنّه إذا مر بك سند فيه مثلاً شعبة عن قتادة و أبي الزناد عن الأعرج فتعلم بهذا أن هذا القدر من السند صحيح، ويبقى النظر فيمن سوى هؤلاء من الرواة، في هذا الحديث قوله -صلى الله عليه وسلم-: (والذي نفسي بيده)، وفي هذا فائدة هو أنه يمكن أن يحلف الإنسان في مقام لم يُستحلف فيه، وذلك لا ينافي قوله تعالى ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ [المائدة:89]

نعم الأصل عدم الإكثار من الحلف وعدم الإكثار من اليمين، لكن قد يقتضي المقام في بعض الأحيان الحلف من باب التأكيد من باب التوضيح فهنا ينبغي أن يُلاحظ أنه قد يحتاج إلى الحلف وإن لم يستحلف به، لأهمية المقام ولكبر وعظم شأن المقام وإلا في الأصل حفظ الإيمان كما قال الله تعالى، ولكن هذا المقام الذي يتحدث عنه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مقام عظيم لأنه يتعلق بالإيمان ويتعلق بالعقيدة فحلف صلوات الله وسلامه عليه، وهو الصادق المصدوق وهو فيه دلالة على أن الإنسان يمكن أن يحلف وإن لم يُستحلف بل ويمكن أن يحلف مع تصديق غيره له، لكن يحلف على سبيل التنبيه والتنويه على الشأن الذي يحلف عليه.

(لا يؤمن أحدكم) مثل ما تقدم أي لا يؤمن الإيمان الكامل مثل ما في الحديث السابق لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه أنه إذا لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه ليس معناه أنه يكفر، لا. المقصود أنه يأثم، لأن إذا قيل **(لا يؤمن)** معنى ذلك أنه وقع في إثم، وهذا يدل على أن الإنسان يجب أن يُكابد في مثل هذه الأمور، وعلى أن يجاهد نفسه فيها **(لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)** ثم في هذا الحديث بيان المرتبة التي ينبغي أن يكون فيها قدر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في النفوس فقال: **(لا يؤمن أحدكم)**، ما قال حتى يحبني بل قال: **(حتى أكون أحب إليه من والده وولده)** وفي الرواية الآتية **(والناس أجمعين)**.

محبة الله تعالى ومحبة الرسول -صلى الله عليه وسلم- على قسمين اثنين:

القسم الأول: أصل المحبة، أصل محبة الله وأصل محبة رسوله -صلى الله عليه وسلم- فهذه موجودة في نفس كل مسلم، أياً كانت درجته من الإيمان ومهما كانت درجته من المعصية، فأصل حب الله ورسوله موجود في نفس كل مسلم، والمحبة على درجتين:

الدرجة الأولى أصل المحبة أن يحب الله ورسوله هذا في نفس كل مسلم فمن لم تكن محبة الله ورسوله في نفسه فليس من المسلمين قطعاً ولا يُتصور مسلم يقول أنا مسلم أشهد أن لا اله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإنني لا أحب الله أو لا أحب رسول الله هذه لا تأتي من مسلم قطعاً لأن أصل حب الله وأصل حب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هذا موجود.

وقد ثبت عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه أُتي له بأحد أصحابه وكان شَرِبَ الخمر، فجلده -صلى الله عليه وسلم- فقال أحد الحاضرين من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-: لعنة الله عليك ما أكثر ما يؤتى به إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **(لا تلعنه إنه ما علمت يحب الله ورسوله)** مع أنه من شُرّاب الخمور، فنقول كل مسلم مهما بلغ بالعصيان حتى وإن قطع الطريق وشرب الخمر وزنى وعاق والديه فيستحيل استحالة تامة أن لا يكون أصل حب الله ورسوله فيه، لابد من

أصل المحبة، لأن أصل المحبة هذا موجود في نفس كل مسلمٍ بقطع النظر عن درجة إيمانه.

المرتبة الثانية: هي مذكورة في الحديث هنا، وهي أن يكون الله ورسوله أحب إليه ممن سواهما في هذا الحديث في موضوع حب الرسول –صلى الله عليه وسلم– قال: **(لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه)**، ولم يقل حتى يحبني؛ لأن محبته يقيناً موجودة في نفس كل مسلم لكن قال: حتى أكون أحب إليه، وهذه هي المرتبة الثانية: وهي أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، كما سيأتي في اللفظ الأخر.

في هذا اللفظ حتى أكون أحب إليه من والده، وولده والعادة أن الإنسان أحظى من يحظى عنده فروعه، أو أصوله. فروعه من الأولاد، وأصوله من الوالدين، فقال: **(حتى أكون أحب إليه من والده)**، سواءً كان ذكراً، أو أنثى أمه أو أباه، **(وولده)**، الولد تشمل الذكر، والأنثى (البنت، والابن)، ثم في الرواية الآتية قال: والناس أجمعين حتى يكون الرسول –صلى الله عليه وسلم– أحب إلى العبد من ولدهِ ووالده والناس أجمعين يعني كزوجته أو كصديق أو غيره لا يؤمن الإيمان الكامل حتى يكون الرسول –صلى الله عليه وسلم– أحب إليه من الولد والوالد ومن الزوجة والصديق بل كما في اللفظ الأخر حتى أكون أحب إليه من نفسه حتى يكون العبد محبا لرسول الله –صلى الله عليه وسلم– أكثر من نفسه، ولهذا جاء في اللفظ الآخر في الصحيح البخاري أن عمر –رضي الله عنه– قال: **(والله لأنت يا رسول الله أحب إلي من كل شيءٍ إلا من نفسي قال: حتى أكون أحب إليك من نفسك فقال: لأنت أحب إلي من نفسي قال فالآن يا عمر)**.

فالحاصل أنّ حب الرسول –صلى الله عليه وسلم– لا يصح أن يتقدمه شيء لا بحب الآباء، ولا الأمهات، ولا الأبناء، ولا البنات، ولا الزوجات، ولا الأخوة، والأخلاء، والأصدقاء، ولا النفوس حتى أكثر من حب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وذلك أنه –صلى الله عليه وسلم– أعظم الناس حقاً على الأمة، فأعظم الناس حقاً على الأمة هو رسول الله؛ لأن الله أخرجهم به من الظلمات إلى النور، فالله –عز وجل– أعظم من يحب على الإطلاق ثم الرسول –صلى الله عليه وسلم–، هذا ما يتعلق بفقه الحديث.

لكن الشأن كل الشأن أيها الإخوة في حقيقة حب رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، ليس المقصود المحبة المدعاة، التي يدعيها كل أحد، فيقول الرسول –صلى الله عليه وسلم– أحب إلي من نفسي، ثم إنه يستسهل أقل أمر وأيسر أمر من أموره –صلى الله عليه وسلم–، فتجد أنه يستثقل السنن فضلاً عن الفرائض، تجد أنه على سبيل المثال: لا يصلي الفجر إلا إذا ارتفعت الشمس، وخرج وقتها، وقام إلى عمله قام فصلى، ثم يصبح يقول: أنا أحب الله ورسوله، لو كنت صادقاً في محبتك لله ورسوله لما قدّمت النوم على أمر الله وأمر رسوله –صلى الله عليه وسلم–، فالمحبة ليست شيئاً يُدَّعى دعوى، وإنما المحبة كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[آل عمران:31].

المحبة أمر في القلوب، لا يعلمه إلا علام الغيوب سبحانه وتعالى، ولكن آثارها تظهر وتتجلى، فإذا كان العبد مُقدِماً على المعاصي ومُستثقلاً للواجبات، بل وربما ساعياً في إخماد سنة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وإبطائها ثم قال: أنا أحب الله ورسوله! قيل واقعك على خلاف ما تَدَّعي، أنت تَدَّعي شيئاً، وهو حب القلب الذي لا نعلمه، شيء في قلبك، ولكن الواقع منك ومن تصرفاتك لا يشجع على ما تَدَّعي فالحاصل على أن دعوى حب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أو دعوى حب آل بيت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أو دعوى حب الله –عز وجل– مع عصيان الله وعصيان ورسوله –صلى الله عليه وسلم– لاشك أن المقام لا يُسعف عليها، وأن الأمور ليس المقصود منها مجرَّد الدعوة.

وإنما المقصود ما بيَّن الله قال أهل العلم في قوله تعالى:﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾ [آل عمران:31] قالوا هذه علَم حقيقي يبين ويجلي محبة الله الصادقة من المحبة المدعى، فالمحب لله يتبع رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، والمحب لرسول الله –صلى الله عليه وسلم– يسعى لنشر سنته وقمع البدع التي تخالف سنته، وتفسد سنته.

أمّا أن يقول أنا أُحب الله ورسوله ثم يُخمد سنة رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، ويُحيي البدع والضلالات ويستثقل أوامر الله ورسوله فهذا كلامٌ فارغٌ إذ الأمر كما قيل في أمر المحبة هذه لو كان صادقاً لأطاعه إن المحبَ لمن يحبُ مطيعُ.

فالحاصل أن هذه المسألة مسألة كَثُر الكلام فيها وادّعاها أُناسٌ كُثر ممن عادوا سنة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وسعوا في إخمادها، وقالوا: نحن نحب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وزادوا الطينة بلة فقالوا: هؤلاء المستمسكين بسُنتِه –صلى الله عليه وسلم– المحافظون على صغيرها وكبيرها الناشرون لها قدر ما يستطيعون قالوا: هؤلاء لا يحبون الرسول –صلى الله عليه وسلم– فجمعوا البليتين:

البلية الأولى:دعوى حب الرسول –صلى الله عليه وسلم– مع السعي في إخماد سنته، ثم الزعم بأن المحيين بسنته –صلى الله عليه وسلم– مبغضون لرسول الله –صلى الله عليه وسلم– وهكذا يفعل من لا يخاف الله، ولا يتقيه فإنه يتميز بكثرة الدعاوى يدَّعي أصحاب ادعاءات فإذا جاء الإثبات الحقيقي للدعوى، وإذا به يدل على بطلان ما ادعوه.

فالحاصل أنّ هذا حديثٌ يدل على أن الواجب على كل مسلمٍ أن لا تكون حتى نفسه التي بين جنبيه مُقدَّمةً بحبها على حب رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، بل رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أعظم من يُحبُ من البشر، ولا تقدمه أي محبة إلا محبة الله تعالى فحُب الله في المقام الأول ثم حب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولهذا أخذ الصحابة رضي الله عنهم من هذه المحبة بالنصيب الوافر الجليل الكبير، ففدوا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بأنفسهم وقاتلوا دونه وحموه حماية عظيمةً جداً، ولهذا لو قرأت ما حدث في أُحد من صرعى الصحابة رضي الله عنهم الذين قُتِلوا بين يديه –عليه الصلاة والسلام– لعَلِمت معنى حقيقة المحبة، ومعنى حقيقة الاتباع فإنّهم –رضي الله عنهم وأرضاهم–كان الواحد منهم لما كانت النِبال تتجه إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يترس على الرسول –صلى الله عليه وسلم– ما معنى يترس؟ يعني أنه يثني جسمه هكذا حتى تكون النبلُ في ظهره بدل من أن تصيب الرسول –صلى الله عليه وسلم–، وهكذا قاتل دونه الأنصار دفاعاً عنه حتى صُرِعَ سبعة كلهم بين يديه –عليه الصلاة والسلام– في أُحد أيضاً حتى لا يُنال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–.

فالمحبة شيء يدل عليها الواقع، أمّا أُمور القلوب فإلى علام الغيوب سبحانه وتعالى فمن سعى في حماية سنة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ونشرها، وبذل نفسه وماله ووقته في ذلك فذلك الصادق بإذن الله –عز وجل– في محبته، ومن ادعاه دعوى قلبية محضة مع سعيه في خلاف ما تقتضيه هذه المحبة فالأمور كما قيل

والدعاوى إن لم تُقيموا بيناتٍ عليها أصحابه أدعياءُ.

2– حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ عُلَيَّةَ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ صُهَيْبٍ عَنْ أَنَسٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ح و حَدَّثَنَا آدَمُ قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ).

الحديث لما ذكر البخاري رحمه الله هذه طريقة من طرق المحدثين إذا وصل إلى سند فإنّ من طرائقهم أن يحولوا إلى سند آخر وهذا معنى قوله بعد أن روى الحديث السند السابق عن النبي –صلى الله عليه وسلم– (ح) هذه الـ (ح) تحويل من سند إلى سند آخر، في هذا اللفظ زيادة وهي أنه قال –صلى الله عليه وسلم– **(لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده)** ففي حديث أنس هنا زيادة على حديث أبي هريرة السابق وهو قوله **(والناس أجمعين)**، لأن من النّاس من قد يكون من هو أحب إليهم من والده ووالده كمن يحب

مثلاً زوجته، أو من يحب صديقاً محبة شديدة قد تفوق والده وولده، فجاء هذا الحديث المهم وهو قوله **(والناس أجمعين)**، فلا يحب أحدكم قبل رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أياً كانت جهة محبته من جهة بنوة من جهة أبوة من جهة أمومة من جهة عمومة من جهة صداقة من جهة زواج أو من غيرها، فيكون رسول الله –صلى الله عليه وسلم– هو أحب الناس إليك قبل أي شيء سواه.

(8) باب: حلاوة الإيمان

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ الثَّقَفِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَيُّوبُ عَنْ أَبِي قِلَابَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– عَنْ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ: (ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ)

في هذا الحديث أو قبله في الترجمة كما قلنا في ترجمة البخاري وتسلسلها ذكر في الباب السابق ما يتعلق بحب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ثم ذكر هنا ما الذي يترتب على هذه المحبة؟ وهو حلاوة الإيمان وهذا من تسلسل التبويب عنده رحمه الله. في هذا الحديث ذكر حلاوة الإيمان، باب حلاوة الإيمان، حلاوة الإيمان هذه تكون بالصدق في الإيمان، لو صدق في إيمانه وجد حلاوة الإيمان، وجعل النبي –صلى الله عليه وسلم– هذه الأمور الثلاث العظام من اتصف بها وجد حلاوة الإيمان، الحلاوة معلوم، يعلم الناس الحلاوة الحسية الحلاوة الحسية معلومة عند الجميع كحلاوة العسل ونحوه، فهذه الحلاوة الحسية، حلاوة الإيمان: يدركها المؤمن من قلبه بانشراح صدره وطيب نفسه واطمئنان قلبه، وذلك أن هذه الأمور الثلاثة إذا وجدت في العبد فقد بلغ رتبة كبيرة، ولكن كما قلنا إذا وجدت لا على سبيل الدعوى ولكن على سبيل الحقيقة.

الأمر الأول: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما فلا أحد يحب أعظم من محبة الله جل وعلا ومحبة الرسول –صلى الله عليه وسلم– ثم إن محبة الله ورسوله معلومة عند كل مسلم أن الله تعالى يُحب محبة لا يُحبها أحد، لا الرسول –صلى الله عليه وسلم– ولا غيره، لأن حب الله –عز وجل– حب عبادة، ولهذا يقول أهل العلم في محبة الله إنها المحبة التي لا تصلح إلا لله. بضابطٍ هو أن تتضمن (كمال الخضوع ونهاية الذل)، فمحبة الله تعالى على هذا الحد هي محبة تتضمن الخضوع لله –عز وجل– وأي خضوع كمال الخضوع وقمة الخضوع ونهاية الذل، فهذه لا تكون إلا لله، ثم لحبه لله تفرّعت عليه جميع المحاب، فمحبة الرسول –صلى الله عليه وسلم– على عظم قدرها فرع عن محبة الله، فإنك تحب الرسول –صلى الله عليه وسلم– فرعاً عن محبتك لله فمع أن محبة الرسول –صلى الله عليه وسلم– هي أعظم المحاب البشرية إلا أن الأصل هو حب الله، فيتفرع عن حب الله –عز وجل– أن تحب ما أحب الله، فمحبة الرسول –صلى الله عليه وسلم– فرع عن حب الله –عز وجل–، إذ أن حب الله –عز وجل– هو حب العبادة المتضمن كمال الذل ونهاية الخضوع، فهذه الأمور الثلاثة إذا اتصف بهن العبد وجد حلاوة الإيمان **(أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما)** من جميع المحاب الأخرى كما تقدم **(وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله)** إذا أحب إنساناً فإنه لا يحبه إلا لله وهذا الحديث يبين لنا معنى الحب في الله فالحب في الله يوضحه لفظ الحديث أن لا يحب المرء إلا لله لا يكون هدفه في محبة هذا العبد إلا أنه مطيع لله ملتزم سنة رسول الله–صلى الله عليه وسلم– فيحبه لأجل ذلك لا يحبه لأجل مطمع يطمع فيه ولا يحبه لمجرد هدف من الأهداف الدنيوية المادية يرجوا أن ينالها على يديه أو يكون الحب لأجل أنه فقط أحسن إليه لكن أصل حبه أنه أحبه لله تعالى وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله.

ثم ذكر الأمر الثالث وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله تعالى منه كما يكره أن يُقذف في النار، المؤمن يبغض الكفر بغضاء شديدة إلى الحد الذي يكون كما في اللفظ الآخر أن يكون إلقاءه في النار أهون عليه وأحب إليه من أن يعود إلى الكفر فقوله **(أن يعود إلى الكفر)** ليس معنى ذلك فقط من كان كافراً ثم أسلم يكره أن يعود إذ اللفظ أشمل بل الذي نشأ في الإسلام ولم يكفر قط يكره أن يرتد على عقبيه عياذاً بالله يكره هذا كراهية شديدة إلى الحد الذي يسهل عليه لو خُير بين أمرين وهو أن يعود إلى الكفر أو يقذف في النار لكان الأسهل عليه أن يقذف في النار ولا يعود إلى الكفر، فإذا كان العبد بهذه المثابة من التشبث بدين الله والبغض العظيم لما خالفه وهو الكفر فإنه يجد حلاوة الإيمان.

في هذا الحديث يمكن استنباط فضيلة من ثبت حين عرض عليه الكفر أو أن يقتل أن ثباته أفضل، من أُكره على الكفر إكراهاً إمّا أن يقتل أو أن يكفر فمن المعلوم أن الله قد رخّص له سبحانه وتعالى ﴿مَن كَفَرَ بِاللهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾ فإذا أُكره على الكفر عياذًا بالله وقلبه مطمئن بالإيمان فإنّه إذا تلفظ بالكفر لا يضره لكن هل الأولى أن يثبت ويرغم أنف الكافر الذي يريد أن يعيده إلى الكفر ولو تحت الجبر؟ لا شك أن هذا هو الأفضل، ولكن الترخيص له بالكفر في هذه الحالة مع اطمئنان قلبه الترخيص له في الحقيقة بإظهار الكفر وإلا فليس هناك كفر لكن تحت وطأة التهديد الشديد الترخيص له مجرد توسعة لكن لو أنه ثبت حتى قتل لكان ذلك أفضل، فالمقام من مقامين.

المقام الأول: مقام جواز وتوسعة بشرط اطمئنان القلب بالإيمان

والمقام الثاني: مقام فضيلة فالثابت كما ثبت الأنصاري–رضي الله عنه– الذي أراده مسيلمة على أنه يقول أنه رسول الله فأبى فقطعه مسيلمة قطعاً وأبى أن يشهد لمسيلمة أنه رسول الله.

فالحاصل أنّ من هذا الحديث استنبط فضيلة الثبات في مثل هذه الحال وإرغام الكافر وعدم إقرار عينه بأنّ هذا المسلم قد أطاعه في العود إلى الكفر .

فهذه الأمور الثلاث من وجدها من وُفق لها وجد حلاوة الإيمان، الأولى: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما محبة حقيقية لا مُدعية ،والثانية: محبته لغيره محكومة بالشرع فلا يحب الناس لمجرد كون ألوانهم تروق له أو لأن بلدانه تروق له، أو لأنّ ألسنتهم تروق له أو لأن قبائلهم تروق له وإنما يحبهم لله عز وجل في المقام الأول، إذا جمع هذه في الألسنة المتفرقة والألوان المتفاوتة والقبائل المختلفة جمعها طاعة الله ورسوله ولزوم سنته سنة نبيه–صلى الله عليه وسلم–، فأحبّ من هذه الزاوية كما أنّه أيضاً يُبغض من هذه الزاوية فلا يبغض إلا لله تعالى فمن وجد هذا الأمر إضافة إلى الأمر الثالث وهو أن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار فمن وفق لذلك وجد حلاوة الإيمان.

(9) باب: علامة الإيمان حب الأنصار

حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَبْرٍ قَالَ سَمِعْتُ أَنَسًا عَنْ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ: (آيَةُ الْإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الْأَنْصَارِ)

في هذا الحديث أيضاً علامة من علامات الإيمان وهو المراد بقوله–صلى الله عليه وسلم–: **(آية الإيمان)** أي علامته، آية الإيمان وعلامته ودليله الشاهد عليه حب الأنصار –رضي الله عنهم وأرضاهم–وذلك أن الأنصار وهم الأوس والخزرج من أهل المدينة نصروا النبي–صلى الله عليه وسلم– وآووه وقدموا في سبيل رفع هذا الدين شيئاً عظيماً من نفوسهم –رضي الله

عنهم- وأموالهم وتعريضهم أنفسهم للاستئصال على يد الكفار من القرشين ومن سائر العرب في ذلك الوقت كل ذلك نصرة لله -عز وجل- ولدينه ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أوتوا﴾ [الحشر:9] إلى أن ذكر الله عز وجل فقال: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ هذه الآية في الأنصار ، فحب الأنصار -رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم- علامة من علامات الإيمان وذلك أن الأنصار -رضي الله تعالى عنهم- فعلوا كل هذا برسول الله-صلى الله عليه وسلم- فقد هاجر إليهم-صلى الله عليه وسلم- ورماهم العرب عن قوس واحدة وعادوهم لأجل نصرتهم لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- وقُتل منهم يوم أحد مقتلة عظيمة جداً في بني عبد الأشل، وقتل منهم مقتلة كبيرة جداً من الأنصار -رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم- في أحد وفي غيرهم من المشاهد كل ذلك نصرة لله ورسوله فلأجل ذلك كان حُبهم علامة من علامات الإيمان وفي الوقت نفسه كان بغضهم علامة من علامات النفاق.

بغض الأنصار علامة على أن مبغضهم منافق وذلك أن مبغض الأنصار على أي شيء يُبغضهم؟ لماذا يُبغض الأنصار؟، ما الذي في الأنصار يحمل على بغضائهم أناس آمنوا وناصروا-صلى الله عليه وسلم- وبذلوا أموالهم -عليهم رضوان الله- بذلوا أموالهم لإخوانهم المهاجرين حتى قال سعد ابن الربيع لعبد الرحمن ابن عوف -رضي الله عنهما-: (إنّ لي زوجتين أُطلق إحداهُما فإذا اعتدت فتزوجها، وإنّي من أكثر الأنصار مالاً فأُقاسمك مالي أُعطيك النصف من مالي، فقال: بارك الله لك في أهلك ومالك وأبى ولكن دُلني على السوق) فأعطوا المهاجرين رضي الله عنهم وأرضاهم ما استطاعوا من أموالهم وآووا رسول الله-صلى الله عليه وسلم- فكان بغضهم دلالة على قبح مبغضهم وعلى أنه منافق لأنّ ما الذي يحمل على بُغضِ الأنصار؟

هؤلاء القوم الذين آمنوا وناصروا -صلى الله عليه وسلم- لما يُبغضهم المبغض؟ لا يبغضهم إلا لدغل في قلبه على رسول الله لأنّهم أي ذنب لهم؟ أيكون إيواء رسول الله-صلى الله عليه وسلم- وإيواء أصحابه والجهاد في سبيل الله حتى إذا تُزهق النفوس أيكون سبباً للحب أو للبغض؟ لا شك أنه سبب للحب فمن أبغضهم مع هذا دل على أنه منافق.

ثم أنّ هذا الحديث فيه فائدة عظيمة جداً وهي: أنّه إذا قيل هذا في الأنصار مع أن المهاجرين أفضل من الأنصار بلا ريب فبغض المهاجرين من باب أولى دلالة على النفاق ولهذا كان بغض الصحابة-رضي الله عنهم- من المهاجرين والأنصار جميعاً علامة من علامات الزندقة كما قال أهل العلم : بغض الصحابة والدغل على الصحابة هو علامة من علامات كون الإنسان منافقا زنديقا، وذلك أنّ الصحابة -رضي الله عنهم وأرضاهم- هم الذين حملوا الإسلام إلى الأمة وجاهدوا حتى نشروه في أنحاء الأرض وكانوا المعين بعد الله -عز وجل- لرسول الله-صلى الله عليه وسلم- فيما أمره الله -عز وجل- به من أداء دينه وتبليغ رسالته حتى ترك المهاجرون -رضي الله عنهم وأرضاهم- بلادهم وأموالهم وعادوا صعاليك فقراء في المدينة في مكان غربة وأموالهم ليست معهم قد نأوا وأبعدوا عنهم ولهذا سموا بالمهاجرين لأنهم هجروا بلادهم فما الذين يحمل على بُغض الصحابة؟ فهؤلاء الذين فعلوا كل هذه الأمور. أولاً هؤلاء الصحابة -رضي الله عنهم وأرضاهم كما قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ فهم أسعد الناس بهذه الآية، أسعد الناس بهذه الآية هم الصحابة لأنها نزلت فيهم في المقام الأول والأمة تبع لهم في هذه الخيرية فهذه الأمة هي خير الأمم وسادة الأمة هم الصحابة بعد رسولها-صلى الله عليه وسلم- في هذه الخيرية فمن أبغض الصحابة -رضي الله عنهم وأرضاهم- لا شك أنه قد أفصح عن دخيلة خبيثة في نفسه.

والأمر كما قال أبو زرعة-رضي الله عنه- (إذا رأيت الرجل يبغض أصحاب النبي-صلى الله عليه وسلم- فاعلم أنّه زنديق) لماذا؟ قال (لأن هؤلاء هم الذين نقلوا لنا القرآن ونقلوا لنا السنن فأرادوا أن يقدحوا في شهودنا حتى يبطل المشهود به)، لأنّ إذا طعن في الصحابة- رضي الله عنهم- فمن الذي بلّغ الناس القران؟ ومن الذي بلغهم الإسلام والأحكام؟ إذا طعن بالشهود طعن في المشهود به نفسه بحيث لا يبقي ثقة لا في القران ولا في السنن ولا في الأحكام والحاصل أنّ من العلامات الجليّة الواضحة للإيمان حب الأنصار ومن باب أولى حب

المهاجرين ومن علامة النفاق بغض الأنصار ومن باب أولى بغض المهاجرين فإن جمع الشر كله فأبغض المهاجرين والأنصار فقد أفصح عن دخيلة في نفسه عياذاً بالله ودل على نفاقه ولهذا تجد الذين يبغضون الصحابة هم المنافقون لا تجد مبغض للصحابة إلا وهم من أهل النفاق، فبغض الصحابة –رضي الله عنهم– وأرضاهم عكس ما أمر الله من الاستغفار لهم في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ وعكس ما يقتضيه اختيار الله –عز وجل– واصطفائه لهم وشهادته بخيريتهم: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ فهذا يقول هم شر الأمة والله يقول هم خير الأمة فلا ريب أن هذه علامة جلية ومن أحسن ما في هذه العلامة أنها باقية إلى قيام الساعة تُظهِر وتُجلي وتوضح حقيقة المنافقين من حقيقة المؤمنين فإن أهل الإيمان في هذا الوقت وإلى قيام الساعة ومن قبلنا قد طوقت أعناقهم مِنَّة الصحابة–رضي الله عنهم– وأرضاهم الذين نقلوا القران إليهم وعلَّموهم أحكام الله في الصلاة والزكاة والصوم والحج وغيرها من الأحكام فلهم على من بعدهم المنَّة بعد الله تعالى إلى قيام الساعة وكل فضل وكل خير في الأمة فقد وقع على يد رسول الله– صلى الله عليه وسلم– وبلَّغه أصحابه، فللنّبي–صلى الله عليه وسلم– أجور الأمة كلها من الصحابة إلى آخر مؤمن إلى قيام الساعة وللصحابة–رضي الله عنهم– بعد رسول الله–صلى الله عليه وسلم– أجر الأُمة لأنهم علَّموا التابعين والتابعون علَّموا أتباعهم ثم علَّموه إلى بقية الأمة إلى قيام الساعة وقد ثبت عن النبي–صلى الله عليه وسلم– أنه قال: **(مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ)** فالصحابة قد دلوا على هذا الهدى علَّموا الناس القران والأحكام والإسلام وجاهدوا في ذلك حق الجهاد وبالتالي فلهم أجر كل من عمل إلى قيام الساعة.

فأي موجب لبغض الصحابة إلا النفاق والدلالة على هذا في الأنصار متعينة في المهاجرين، بغض الأنصار علامة من علامات النفاق فكذلك بغض المهاجرين فإذا أبغض المهاجرين والأنصار معاً فما حمله على بغضهم إلا بغضه لمن رباهم–صلى الله عليه وسلم– هؤلاء هم نتاج تربية النبي–صلى الله عليه وسلم– أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والعشرة والمهاجرون والأنصار من رباهم؟ من علمهم؟ كانوا مشركين يعبدون الأوثان في الجملة في العموم لا يعرفون شيئاً كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.

ثم بعث الله هذه الرحمة المهداة محمد ابن عبد الله–صلى الله عليه وسلم– فأطاعوه وفدوه بأنفسهم وأموالهم وقدَّموه على كل شيء، ولهذا قال بعضهم: إنّ الصحابة–رضي الله عنه– أصلا يعدُّون ماذا؟ علامة من علامات النبوة أن يوجد لرسولٍ مثل هؤلاء الصحابة علامة. علامة على ماذا؟ على أنّ الذي رباهم نبي هذه التربية لا تكون إلا من نبي، أن ينشأ رجل مثل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي بهذه المرتبة العظيمة الكبيرة هذه تربية نبي لا تكون تربية شخص عادي، قالوا فهم يعدُّون علامة على نبوة محمد–صلى الله عليه وسلم– لعِظم قدرهم لأنّك مهما رَبيت وبَذلت وفعلت فلن تُربي أُناس يكونوا كالصحابة فإذا قدح فيهم قدح فيهم قدح في مربيهم–صلى الله عليه وسلم– وهذا وجه النفاق.

الطعن في الصحابة يعود إلى الطعن في الرسول–صلى الله عليه وسلم– لأنّ إذا قيل أنّهم منافقون وكَذبة وفَجرة وفيهم، وفيهم، وفيهم فمن ربّاهم ومن علَّمهم إلا رسول الله–صلى الله عليه وسلم– كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ فإذا كان رسول الله–صلى الله عليه وسلم– قد رَبَّاهم هذه التربية وقُدح فيهم فالقدح في المربي في المقام الأول عياذاً بالله من هذا ، وهذا وجه كونه نفاقاً ؛ لأن القدح في الصحابة لزاماً سيعود إلى القدح في مُربيهم–صلى الله عليه وسلم– ولهذا لا تجد قادحاً في الصحابة إلا وهو مغموس على النفاق قاتلهم الله أنى يؤفكون.

ولهذا جاء في الحديث **(من أحب الأنصار فبحبي أحبهم ، ومن أبغض الأنصار فببغضي أبغضهم)** لأنّه إذا أحب الأنصار لا يحبهم إلا لحبه لرسول الله–صلى الله عليه وسلم– وإذا أبغضهم فإنه لا يبغضهم إلا لبغضه لرسول–صلى الله عليه وسلم– وهكذا المهاجرون – رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم–.

(10) باب: من الدين الفرار من الفتن

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ عَنْ مَالِكٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي صَعْصَعَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنْ الْفِتَنِ).

ترجم -رحمه الله تعالى- على هذا الباب بما يدل على قوة إيمان العبد، وذلك أن البلاد والبقاء فيها عند الأهل ولديك مالك واطمئنانك وراحتك هذا أمر تميل إليه النفوس بلا شك ولكن إذا وجدت الفتن والعياذ بالله التي لا يمكن البقاء معها ، فالدين أحرى من كل شيء فالدين مُقدَّم على كل شيء هو المقدم على الأوطان هو المقدم على المال و هو مقدم على النفوس [فإذا وجدت الفتنة ولم يكن هناك ملجأ ولا مهرب إلا بالبُعد فإنّه لا حيلة للعبد في ذلك، هذا يقع والعياذ بالله في أحوال الفتن فإذا وقعت الفتنة واشتدت فرّ الإنسان بدينه من الفتنة] وقد لا يجد موضعاً أن يكون من المواضع السليمة أن ينتقل من بلد إلى بلد فقد تكون والعياذ بالله عامة ولهذا جاءها حديث: **(يُوشك أن يقرب أن يكون خير مال المسلم غنماً يتبع بها شعف الجبال)** يعني: رؤوس الجبال **(ومواقع القطر)** يعني: حيث المطر يرعى هذه الأغنام، من الذي حَمَله على الخروج من بلده وأخذ الغنم والذهاب في هذه البراري مع قلة من يسلك وترك البلاد؟ قال: **(يفر بدينه من الفتن)** وهذا من كمال الإيمان العظيم لأنّه إذا لم يكن مجال للمكث في البلد في أحوال الفتن فلابد أن يحظى الإنسان بدينه ولهذا جاء في حديث حذيفة-رضي الله عنه- لما سأل النبي-صلى الله عليه وسلم- عن الشر الذي يقع قال: **(كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ ؟ قَالَ: (نَعَمْ وَفِيهِ دَخَنٌ) قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ ؟ قَالَ: (قَوْمٌ يَسْتَنُّونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي وَيَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ) ، فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ ؟ قَالَ: (نَعَمْ دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا) فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: صِفْهُمْ لَنَا، فقَالَ: (نَعَمْ قَوْمٌ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا)، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ:فَمَا تَرَى إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ قَالَ: (تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُم)** إذا وجد الاختلاف والتفرق فعلى المسلم أن يلزم الحق وأن يلزم جماعة المسلمين وإمامهم القائم عليهم، **(فقلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟)** فذلك والعياذ بالله في أحوال يكون فيها هرج ويكون فيها اضطراب، **(قال: فاعتزِل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يُدركك الموت وأنت على ذلك)**، وذلك بأن يفر الإنسان من هذه الخلافات التي صار فيها هذا الهرج وخبت فيها السنة، ولكن هذا في أحوال لا شك أنها أحوال عسرة لا يذهب الإنسان من موضع يستطيع أن يأمر فيه بالمعروف وينهى عن المنكر، يُعلِّم الجاهل، يُذكِّر الناسي، ينفع الله به وفيه خير وفيه سُنّة وفيه علم، يقول سأفر إلى البر، لا. لا تفر يا أخي الناس في حاجة إليك؛ لأنك ما دمت تنفع فابقى وأصبر على الناس وفي الحديث **(المؤمنُ الَّذي يخالطُ النَّاسَ ويصبرُ على أذاهم أعظمُ أجرًا منَ المؤمنِ الَّذي لاَ يخالطُ النَّاسَ ولاَ يصبرُ على أذاهم)**.

فيبقى المسلم يُعلِّم هذا يرشد هذا، لكن إذا اضطربت الأحوال اضطرابا شديداً كما جاء أيضاً في الحديث: **(إذا رأيتَ شحًّا مطاعًا وهوى متَّبعًا ودُنْيَا مؤثرةً وإعجابَ كلِّ ذي رأيٍ برأيِهِ ورأيتَ أمرًا لا بدَّ لكَ منهُ فعليكَ بنفسِكَ ودع أمرَ العوامِّ)** إذا لم يجدي ولم ينفع بتاتاً ولم يكن لك نفع ولو مع مجموعة قليلة في هذه الحالة عليك بخاصة نفسك.

والحاصل أن هذا من دلائل الاهتمام بالدين، وهو من دلائل قوة الإيمان أو ضعفه فإن من الناس من قد يبقى في الفتن بل قد يغص في الفتن ويجاري أهل الفتن على حساب دينه يقول لا أريد أن أتحمل تكلفة الخروج من بلدي، النبي-صلى الله عليه وسلم- يقول: **(يوشكُ أن يكونَ خيرَ مالِ المسلمِ غنَمٌ يتبعُ بها شعَفَ الجبالِ ومواقعَ يفِرُّ بدينِه من الفتنِ)**.

إذا لم يكن مجالاً للفرار من الفتن إلا بمثل هذا الأسلوب بالخروج بغنيمة إلى البرية والبعد عن الناس فلا حيلة في ذلك لأن النبي-صلى الله عليه وسلم- يقول: **(رأس الأمر الإسلام)** دينك، إسلامك هو رأس الأمر مقدم على مالك على ولدك على بلدك على نفسك على كل شيء، فرأس الأمر هو الإسلام، وما سواه فإنه لا يمكن أن يبلغ قدره ولهذا يجب على المسلم أن يكون دينه أحظى شيء عنده لا تقدم عليه الدنيا ولا العشائر ولا النفوس ولا شيء سواه.

(11) باب من كره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقى في النار من الإيمان

هذا الباب تضمّن مبتدأً وخبرًا، (باب من كره) هنا المبتدأ ثم قوله: (من الإيمان) هذا خبره يعني أن كراهة العبد أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقى في النار الخبر يأتيك الآن من الإيمان يعني هذه الكراهة من الإيمان.

حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: (ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَمَنْ أَحَبَّ عَبْدًا لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ، بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ، مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ).

قلنا إن هذا الحديث تقدم في باب ترجمة على حلاوة الإيمان -رحمه الله- فلماذا أعاد الحديث؟ قلنا من طريقة البخاري -رحمه الله- أنه إذا أعاد الحديث لا يعدم قارئ كتابه من فائدة، هذه الفائدة إما أن تكون في السند كما تقدّم فقد ساق هنا بسند غير السند السابق، أو أن تكون فائدة في المتن بأن يتضمن المتن زيادة على المتن السابق فيكون فيه نوع فائدة.

ثم ترجم هنا على خصوص مسألة محددة وهي: كراهة العبد أن يعود إلى الكُفر هذه الكراهة الشديدة كما يكره أن يُقذف في النار، فهذه مما يجد بها العبد الإيمان، وقلنا إنّ العبد أيضًا إذا منَّ الله عليه بلزوم السنة بعد أن كان على بدعة، وبلزوم الطاعة بعد أن كان على معصية فإنه يكره كراهة شديدة أن يعود إلى بدعته بعد أن هداه الله للسنة أو أن يعود لمعصيته بعد أن هداه الله سبحانه وتعالى إلى الطاعة وإلى التزام ما أُمر به وترك ما نهي عنه، فهذه الكراهة لا شك أنها من الإيمان هذا مجمل ما قيل في الباب السابق.

(12) باب: تفاضل أهل الإيمان في الأعمال

1- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ قَالَ حَدَّثَنِي مَالِكٌ عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى الْمَازِنِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى أَخْرِجُوا مِنْ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا قَدْ اسْوَدُّوا فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الْحَيَا أَوْ الْحَيَاةِ شَكَّ مَالِكٌ فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي جَانِبِ السَّيْلِ أَلَمْ تَرَ أَنَّهَا تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً قَالَ وُهَيْبٌ: حَدَّثَنَا عَمْرٌو: (الْحَيَاةِ) وَقَالَ: (خَرْدَلٍ مِنْ خَيْرٍ).

هذا الحديث عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، استفاد منه البخاري الترجمة السابقة وهي تفاضل أهل الإيمان، تفاضلهم في إيمانهم وأنهم ليسوا على درجة واحدة، وإذا تفاضل الإيمان دل على ماذا؟ دل على أنه يزيد وينقص وهذا هو المقصد من الترجمة، ثم إنّه استدل

بهذا الحديث العظيم الذي تلقّاه أهل السنة بالقبول وهو من الشعارات العظيمة الدالة على لزوم السنة، وعكسه دال على البدعة والضلالة فيما يتعلق بأمر الشفاعة، فهذا الحديث فيه بيانُه -عليه الصلاة والسلام- أن الله -تبارك وتعالى- بعد أن يقضي بين الخلائق يدخل أهل الجنة الجنة ويدخل أهل النار النار، ثم إنّ من أهل النار صِنفًا وهم الموحدون الذين ماتوا على الإسلام يأذن الله بعد ما شاء -سبحانه وتعالى- أن يُخرج هؤلاء بإذنه -سبحانه وتعالى- من النار، يخرج هؤلاء بشفاعة الشافعين، فتشفع الملائكة ويشفع النبيون ويشفع الصالحون ويشفع الأفراد، ولا يشفعونه إلا بإذن الله-سبحانه وتعالى-، ولهذا كان النبي عليه الصلاة والسلام لما أراد أن يشفع سجد -صلى الله عليه وسلم- بين يدي ربه تعالى وبقي مدة عظيمة (مدة جمعة) يعني مدة أسبوع ساجدًا، لا يشفع مباشرة -عليه الصلاة والسلام-.

أول ما يرد الخلائق يبقون فترة عظيمة في يوم كان مقداره خمسون ألف سنة لا يشفع أحد، ثم إنَّ الناس يأتون آدم -عليه الصلاة والسلام- فيقولون أنت أبو البشر خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما بنا؟، فيأبى آدم أن يشفع -عليه الصلاة والسلام-، هذه الشفاعة التي طلبوها من الأنبياء من آدم ثم من نوح ثم من إبراهيم ثم من موسى ثم من عيسى ثم من محمد صلى الله عليهم جميعًا وسلم تسليمًا كثيرًا هذه شفاعة مأذون فيها، لأن هذه الشفاعة بحي إذ الناس إذا وردوا القيامة يردونها أحياء وإنما المنهي عنه أن يؤتى إلى الموتى وتطلب منهم الشفاعة، أو تطلب الشفاعة ممن لا يشفع، فإذا ورد الناس القيامة وردوها أحياء ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ فالنّاس يحيون حياة عظيمة يوم القيامة، فيكون طلب الشفاعة على بابه لا إشكال فيه، فيأتون آدم فيعتذر ويذكر خطيئته فيحيلهم إلى نوح، ونوح يحيلهم إلى إبراهيم، وإبراهيم يحيلهم إلى موسى، وموسى يحيلهم إلى عيسى، وعيسى يحيلهم إلى محمد صلى الله عليه وعليهم وعلى سائر أنبياء الله وسلم تسليمًا كثيرًا.

محمد صلوات الله وسلامه عليه أعلم الناس بالله كما تقدم لا يشفع مباشرة، لأن الله يقول: ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ فالشفاعة لله هو الذي يملكها سبحانه وهو الذي يأذن فيها فيذهب -صلى الله عليه وسلم- فيخر ساجدًا بين يدي ربه -سبحانه وتعالى-، في بعض الروايات أنّه يمكث جمعة يعني أسبوعًا -صلى الله عليه وسلم- ساجدًا ويفتح الله -عز وجل- عليه بمحامد لم يكن يعرفها قبل، ثم يُقال له: يا محمد ارفع رأسك، وسَل تُعطى واشفع تُشفّع، هنا أعطاه الإذن الآن لأنّ الله تعالى يقول: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ إذ الشفاعة ملكه سبحانه وتعالى فلا يشفع أحد ابتداءً هكذا وإنّما يشفعون إذا أذن الله سبحانه وتعالى.

ثم إن الشفاعة لها شرط ثاني، وهي أنّها لا تكون إلا لمن ارتضى الرب سبحانه وتعالى، قال سبحانه وتعالى:﴿ولا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى﴾ وقال الله سبحانه وتعالى:﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ فلا بد من الأمرين أن يأذن الله سبحانه وتعالى بالشفاعة، ولهذا الأنبياء ومحمد -صلى الله عليه وسلم- هو صاحب الشفاعة العظمى لا يشفع طوال الفترة الأولى حتى يؤذن له لاحقًا، إذ الشفاعة ملك الله، وهذا يدل على أن طلب الشفاعة من النبي -صلى الله عليه وسلم- في الدنيا بعد أن مات غلط عظيم، وأنّ قياس أمر الدنيا على أمر الآخرة لا يصلح، وإنما يطلب من النبي صلى الله عليه وسلم الشفاعة حين كان حيًّا، كما كان الصحابة رضي الله عنهم يطلبون هذا وأمثاله، فيطلبون منه -صلى الله عليه وسلم- أن يكونوا رفقاؤه في الجنة، فلما توفي -صلى الله عليه وسلم-كفّ الصحابة عن هذا، لأنّ الشفاعة لا تُطلب منه بعد أن مات، وإنما تُطلب إذا التقاه الناس في القيامة، ثم إنّه -عليه الصلاة والسلام- يعلم أنّ الشفاعة لا تكون إلا بإذن فلا يشفع حتى يؤذن له، إذ الشفاعة لها هذان الشرطان:

1. إذن الله بالشفاعة.
2. ورضاه -سبحانه وتعالى- عن الشافع والمشفوع وهذا عليه أدلة كثيرة.

هذا النوع من الشفاعة في أُناس من هذه الأمة، من عُصاتها، النبي -صلى الله عليه وسلم- له عدة شفاعات:

الشفاعة الأولى المتقدمة : وهي الشفاعة العظمى وهي الشفاعة إلى الله بأن يقضي بين الخلائق بعد أن قاموا في ذلك المقام

العظيم:﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾.

وله شفاعات أخرى –صلى الله عليه وسلم– من ضمنها: الشفاعة في أناس دخلوا النار من عُصاة هذه الأمة يشفع لهم إلى ربه أن يخرجوا منها، وهذه الشفاعة له ولغيره من الأنبياء، وله ولغيره من الصالحين، حتى الأفراد الذين ماتوا صغارًا يشفعون لآبائهم، فهذه الشفاعة بإذنه سبحانه وتعالى.

ثم إنّ الله –سبحانه وتعالى– بعد أن تنتهي الشفاعات يقول شفعت الأنبياء وشفعت الملائكة وشفع الصالحون ولم يبق إلا رحمة أرحم الراحمين –سبحانه وتعالى– فيخرج سبحانه وتعالى بحمده من النار من شاء أن يخرج فضلًا منه ورحمة ومِنة بعد أن قضت الشفاعات.

في هذا الحديث أنّ هؤلاء القوم من عصاة الأمة يخرجون من النّار وفي بعض الروايات أنهم يخرجون وقد امتحشوا قد اسودّوا وأصابهم من قشب النار وشدّتها شيء عظيم، حتى يكونوا حُمما يعني كالفحم عياذًا بالله من شدة ما أصابهم، فيُلقون في هذا النهر، يلقون في هذا النهر، هذا النهر يُسمى نهر الحياة، أو نهر الحيا، الحيا: المطر، شكّ مالك وهذا من أمانته –رضي الله عنه ورحمه– وهكذا الرواة، الرواة من طبعهم وعادتهم إذا تردد الواحد منهم في كلمة أن يقول مثل ما مالك ما قال نهر الحياة أو الحيا حتى يُخلي عهدته.

الشاهد في الحديث في قوله –عليه الصلاة والسلام– يقول الله: **(أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان)** المثقال: مثقال الشيء هو وزنه، الذي يعرف به وزنه، الخردل: حب في غاية الصغر حب صغير جدًا، من كان في قلبه من الخير والإيمان ما يزن هذه الحبة الصغيرة فإنه يُخرج من النار، فهذه الحبة التي في غاية الصغر والدقة يكون في قلوب بعض المؤمنين، وهذا يدل على ماذا؟ على التفاضل في يقين القلب نفسه، فرسول الله –صلى الله عليه وسلم– كم في قلبه من مثاقيل ومقدار الإيمان، لا يحصيه إلا الله سبحانه وتعالى وهذا العاصي من المؤمنين لم يبق في قلبه إلا مثقال حبة من خردل من إيمان، وهذا يرد على المرجئة ردًا عظيمًا في قولهم إنّ اليقين شيء واحد في القلب، هل يقول عاقل إنّ يقين الرسول–صلى الله عليه وسلم– مثل يقين هذا العاصي؟ لا يقول هذا عاقل.

فهذا العاصي لم يبق معه من الخير بعد التوحيد إلا هذا مثقال حبة من خردل من إيمان، بينما هناك من المؤمنين من الإيمان في قلوبهم مثل الجبال الراسيات، وأجلّهم وأعظمهم رسول الله –صلى الله عليه وسلم –كم في قلبه من وزن الإيمان، فهذا دليل على ما ترجم عليه البخاري في قوله باب تفاضل أهل الإيمان، يتفاضلون وليسوا على حال واحد.

ثم في الحديث فائدة عظيمة: وهو أنّ من النصوص ما يرد على طائفتين من طوائف الضلال في وقت واحد، فهذا الحديث فيه رد على المرجئة من جهتين، وفيه رد على الخوارج.

ففيه رد على المرجئة من جهتين:

الجهة الأولى: زعمهم أنّ الإيمان شيء واحد في القلب فيُقال بل يتفاوت تفاوتًا عظيمًا، فها هو في قلب هذا المؤمن لم يوجد منه إلا مثقال حبة من خردل من إيمان، وغيره يكون الإيمان في قلبه ما هو أعظم وأثقل من الجبال الراسيات.

الجهة الثانية: في قول المرجئة أو قول بعض المرجئة إنّ المعاصي لا تضر، فيقال ها هي ضرت حتى دخل أهلها النار، ومكثوا فيها ما شاء الله أن يمكثوا وقد يبقون فترة طويلة، لأن الحديث ما الذي فيه؟ **(يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار ثم)** الله أعلم كما يبقون؟ لأن ثم تفيد الترتيب مع التراخي تباطؤ فكم يبقى هؤلاء الله أعلم يبقون فترة طويلة، فزعم المرجئة أنّ المعاصي لا تضر زعم باطل، ها هي أوردتهم النار وهاهم مكثوا فيها هذه المدد الطويلة حتى أخرجهم الله عز وجل منها لاحقًا، فهذا الوجه الأول والثاني من وجوه الرد على المرجئة.

من جهة أخرى فيه رد على الخوارج وعلى المعتزلة أيضًا، الخوارج قالوا أنّ صاحب الكبيرة يخلد في النار، فيُقال الحديث وغيره من النصوص المماثلة نص صريح في أن العاصي من هذه الأمة ومن عصاه الموحدين عمومًا لا يخلدوا في النار خلود الآبدين وأنّ بقاءه في النار

وإن كان بمكث وخلود طويل إلا أن له حدًا وغاية ينتهي عندها.

فليس العاصي الذي مات مثلًا وهو يشرب الخمر مثل فرعون وأبي جهل، ومثل إبليس يمكثون المكث الدائم، من قال هذا فقد قال شططًا وقد بالغ وقد أساء بلا شك، فالذي يقول إنّ العاصي من المسلمين إذا مات شاربًا للخمر يكون مثل إبليس ومثل فرعون يمكثون المكث الدائم المستمر الذي لا ينقطع فلا شك أنّه قال قولا عظيمًا، بل يُقال عصاة المؤمنين يختلفون حتى في النار، حتى إذا دخل أهل التوحيد النار، فطريقة تعذيبهم في النار فيها فروق بينها وبين طريقة تعذيب الكفار، عياذًا بالله من حال أهل النار جميعًا.

فمثلًا، العصاة من الموحدين لا تأكل النار مواضع السجود منهم، المواضع التي كانوا يسجدون فيها، يسجدون عليها لله سبحانه وتعالى تشريفًا للصلاة، وهذا دليل على عظم شأن الصلاة، يعني حتى العاصي الذي يدخل النار يكون من آثار صلاته أن النار، لا تصيب مواضع السجود، كجبهته وأنفه التي كان يسجد عليه، بينما غيرهم والعياذ بالله تتلهبهم تلهبا، وهكذا عذاب الكفار أشدّ وأنكى وأعظم من عذاب عصاه الموحدين، لكن في نهاية المطاف لا ريب أنّ المعاصي تضر، القول بأن الموحد لا يكون عذابه مثل عذاب الكافر لا يعني التسهيل من المعاصي، لأن العاصي قد يمكث في النار مدة طويلة عياذًا بالله.

يعني إذا كان الإنسان قد يمكث 60 سنة في الدنيا أو 70 سنة، ثم قد يمكث في النار ما شاء الله عز وجل فأقل من لحظة في النار ما مقدار الدنيا كلها بأسرها عند هذه اللحظة العظيمة من العذاب، ففي هذا الحديث العظيم رد على هاتين الطائفتين.

وهناك نصوص تتضمن ردودًا على طائفتين معًا مثل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ هذه رد قبل أن توجد الممثلة وقبل أن توجد المعطلة والجهمية وأضرابهم، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ رد على الممثلة، ﴿وهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ رد على المعطلة، لأن الآية جمعت بين النفي وبين الإثبات، وهكذا هذا الحديث فيه الرد على هاتين الطائفتين، رد على المرجئة ورد على المعتزلة والخوارج، الخوارج يقولون إنّ صاحب الكبيرة إذا دخل النار لا يخرج منها، وإن مُكثه فيها مُكث الآبدين إذ الميت على المعاصي على الكبائر عندهم كافر نسأل الله العافية والسلامة.

والمعتزلة تأثّرت بالخوارج، وفيها أكثر من شُعبة من شُعب الخوارج، فمن الشُعب التي تأثّرت بها المعتزلة بالخوارج ما يتعلق بالعاصي، فإنهم قالوا إنّ العاصي وصاحب الكبيرة في منزلة زعموها بين منزلتين لا هو بمسلم ولا هو بكافر هذا في الدنيا، وهذا قول انفردت به المعتزلة عن جميع الطوائف لا يُعرف هذا القول إلا فيهم، فإذا ورد القيامة فإنّه يكون خالدًا في النار مثله مثل الكافرين، وهذا من أعجب التناقض أن يكون له في الدنيا حال ويكون في الآخرة على حال آخر.

فالحاصل أنّ هذا الحديث فيه الرد الصريح على هذه الطوائف كلها، على طائفة المرجئة وعلى طائفة المعتزلة والخوارج، وهذا من بركة النصوص، بركة السنة بركة القرآن وتدبره وبركة هذه النصوص النبوية التي تكون فيها الكلمة الواحدة اليسيرة التي قد لا تبلغ سطرًا أو سطرين يكون فيها ما هو الله به عليم من العلم والفوائد، والرد على أهل الباطل. نعم.

قوله (الحِبة)هنا بكسر الحاء، الحِبة هي البذور التي تنبت، يعني أنّ هؤلاء بأمر الله إذا جعلوا في هذا النهر ينبتون كما تنبت تلك البذور في الدنيا إذا كانت بجانب السيل، نعم.

2-حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلٍ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (بَيْنَما أَنَا نَائِمٌ، رَأَيْتُ النَّاسَ يُعْرَضُونَ عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ قُمُصٌ، مِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثُّدِيَّ، وَمِنْهَا مَا دُونَ ذَلِكَ، وَعُرِضَ عَلَيَّ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجُرُّه) قَالُوا: فَمَا أَوَّلْتَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ : (الدِّينَ).

في هذا الحديث أيضًا بيان لما ترجم عليه –رحمه الله– هذا الحديث في باب تفاضل أهل الإيمان، رؤيا الرسول –صلى الله عليه وسلم– حق ليست مثل رؤيا غيره، فالأنبياء –صلى الله عليهم وسلم– إذا رأوا رؤيا فلا يتطرق إليهم ما يتطرق إلى رؤانا من تلبيس الشيطان أو نحوه، رؤيا الأنبياء نوع من أنواع الوحي لهم، ولهذا لما رأى إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنه يذبح ابنه إسماعيل عليه الصلاة والسلام نفّذ، نفّذ أمر الله، ولهذا قال له إسماعيل لما قال له: ﴿يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي المَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾، ماذا قال إسماعيل؟ ﴿قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ لأنّ رؤيا الأنبياء وحي فقد أُمر أمرًا، ولا يمكن ولا يجوز بحال من الأحوال لو رأى أحد أنه رأى نفسه وهو يذبح ابنه في المنام لا يجوز بتاتًا أن يذبح، ما الفرق؟ الفرق أن رؤيا الأنبياء وحي تختلف عن رؤيا غيرهم.

فهذه الأحاديث التي فيها رؤاه –صلى الله عليه وسلم– لا شك أنها حق ووحي، فمن ذلك هذا الحديث قوله –عليه الصلاة والسلام–: **(بينَما أنا نائمٌ رأيتُ النَّاسَ يعرَضونَ عليَّ)**، الناس يتفاوتون في هذه الرؤيا **(وعليهم قُمُصٌ)**: جمع قميص، **(منها ما يبلغُ الثُّديَّ)** الثُّدي: يعني الثديين وهذا يدل على قصره قصير جدا، قميص لا يبلغ إلا الثديين لا شك أنه قصير، وذلك يعني أن باقي جسده عاري، **(ومنها ما يبلُغُ أسفَلَ من ذلكَ)** قال **(فعُرِضَ عليَّ عمرُ وعليهِ قميصٌ يجرُّهُ)** يعني أنّ عليه قميصًا سابغًا قد ستر جميع جسده، حتى إنّه له بقية في الأرض فقالوا **(قالوا فما أوَّلتَهُ يا رسولَ اللَّهِ)** يعني ما تعبير هذه الرؤيا؟ **(قالَ الدِّين)** يعني الناس يتفاوتون على إيمانهم ودينهم على هذا الحال، فدين عمر وإيمان عمر –رضي الله عنه– سابغ كبير عظيم بينما غيره ما دون ذلك.

حتى إنّ من النّاس من ليس له من الإيمان إلا الشيء القليل مثله مثل من عليه قميص لا يبلغ إلا ثدييه، وهذا يدل على تفاوت أهل الإيمان كما ترجم –رحمه الله تعالى– قال باب تفاوت أهل الإيمان، في ماذا؟ في إيمانهم، فيتفاوتون هذا التفاوت ولهذا أيضًا يتفاوتون في الآخرة ﴿وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾ فالتفاوت في الدنيا بحسب الإيمان وكذلك يكون التفاوت في الآخرة الدرجات في الآخرة أعظم وأكبر.

قال شيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى تعليقًا على هذا الحديث ما معناه: (أنه يدل على أن اللباس يُكنى به عن الدين ويدل على أن العُري في المنام ليس بحسن، العُري في المنام ليس بطيب وليس بحسن، لأن هؤلاء الذين عليهم هذه القنصلة التي لا تبلغ إلا الثُدي لا شك أنها قصيرة جدًا، بينما عمر –رضي الله عنه– عليه هذا الثوب السابغ ولهذا من الأمور الطيبة والبشارات الطيبة أن يُرى أن الإنسان عليه ثوب سابغ يستره ما يُرجى أن يكون من البشارة بسبوغ دينه وكون دينه سابغًا ساترًا.

(13) بابٌ: الحياء من الإيمان

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ، وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الحَيَاءِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعْهُ فَإِنَّ الحَيَاءَ مِنَ الإِيمَانِ».

في هذا الحديث في هذا الباب ترجم رحمه الله على الحياء، وقد تقدم أنّ الحياء من الإيمان في قوله عليه الصلاة والسلام: **(الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان)**، فالحياء لا شك أنّه من الإيمان، والمقصود بالحياء الشرعي، فليس المقصود بالحياء أن يرى الإنسان تعظيم غير الله عز وجل وعبادته من دون الله ثم يقول أنا أستحي أن أقول إن هذا من الشرك، أو أن يرى الخمور تشرب والفواحش ثم يقول أنا أستحيي أن أنهى الناس عنها أنا عندي حياء، هذا ليس هو الحياء المقصود، وليس هو الحياء الذي هو شعبة من

الإيمان، هذا لا شك أنه ليس بمقصود بل هذا جبن وخور.

فالمقصود بالحياء الحياء الشرعي المعروف الذي يجده المؤمن يستحي من أمور معينة، وكان صلوات الله وسلامه عليه أعظم الناس حياءً حتى قال الصحابة إنّه أشد حياءً من العذراء في خِدرها، من شدة حيائه صلوات الله وسلامه عليه، وذلك كما تقدم لشدة إيمانه.

في هذا الحديث أنّ النبي –صلى الله عليه وسلم– مرّ على رجل من الأنصار رضي الله عنهم وله أخ يعظه في الحياء يعني أنّه ينهاه عن حاله التي هو عليها، هذا المنهي فيه حياءٌ عظيم اكتسبه من إيمانه، فأخوه يقول له لا تكن على هذا الحال وغيّر هذا الوضع الذي أنت عليه، تستحي هذا الحياء فيعظه في الحياء بمعنى أنّه يطلب منه أن يغيّر المسلك الذي يسلكه من حيث كونه يستحي.

الأنصاري هذا في بعض الطرق أنه قال: (إنك لتستحي حتى أنّه كأن يقول قد أضر بك يعني أضر بك الحياء) فقال–عليه الصلاة والسلام–: **(دَعهُ)** اتركه يعني اتركه على حالته هذه، ما السبب؟ **(فَإِنَّ الحَيَاءَ مِنَ الإِيمَانِ)**.

وهذا يدل على أن الإيمان كما قلنا منه ما يتضمن أعمال قلوب منه ما يتضمن نطق اللسان، منه ما يتضمن أعمال الجوارح منه ما يتعلق بأصل الاعتقاد، فهو ليس شيئًا واحدًا كما تزعم المرجئة مثلا، تقول إنّه هو شيء واحد يرتفع كله أو يبقى كله، هذا الآن عنده حياء، والناس يتفاوتون في الحياء منهم من هو مثل هذا الأنصاري الحيي الذي يستحيي، ومنهم من لديه حياء أقل، ومنهم عياذًا بالله من يقل حيائه حتى يقول الناس أنه صاحب قحة وقلة أدب، ليس فيه حياء، وهذا يدل على تفاوت الإيمان، ما دام الناس في الحياء ليسوا على حد واحد.

ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: **(الحَيَاءَ مِنَ الإِيمَانِ)** إذا فالإيمان أيضا ليس على حد واحد، ليس شيئًا واحدًا كما تزعم المرجئة تقول إنّه شيء واحد، ولهذا قالوا إنّه يرتفع كله أو يبقى كله، يقال لا بل هو شُعّب، فمن الناس من توجد به تلك الشعب ومنهم من يوجد به بعضها ومنهم من يتفاوت ولهذا أيضًا يتفاوتون في الآخرة، فلهذا الحياء لما كان شعبة من شعب الإيمان دل على أن الإيمان أيضًا يتفاوت.

(14) باب: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ المسْنَدِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو رَوْحٍ الحَرَمِيُّ بْنُ عُمَارَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ وَاقِدِ بْنِ مُحَمَّدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ)).

هذا الحديث من أحاديث الأصول العظام التي فيها أنّ الله –تبارك وتعالى– أمر نبيه –صلى الله عليه وسلم– بقتال الناس إلى غاية هي أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنّ محمد رسول الله ويلزموا ما أمر الله بلزومه من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وهكذا ما يترتب على ذلك، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماؤهم وأموالهم إلا بحق في الإسلام.

فمن فعل ذلك فإنّه معصوم الدم والمال، وليس لنا منه إلا الظاهر فقط، أما الباطن فحسابه على الله سبحانه وتعالى، فجاءت هذه الشريعة في التعامل مع الذي يظهر وترك الباطن الذي لا يظهر إلى الله.

(أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله) فلا بد من النطق، لا بد أن ينطقوا أن لا إله إلا الله أما أن يقولوا الإيمان في قلوبنا ونحن لا ننطق. فيُقال: أمر رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بقتالكم حتى تنطقون، ومن الذي يعلم ما في القلوب، فلو قال قائل أنا عندي إيمان وكان كافرًا، يكون من أهل الكفر ثم يقال له هل أسلمت يقول أنا عندي إيمان ولكن لا

أقول لا إله إلا الله يقال أمرنا بقتالك حتى تقول لا إله إلا الله محمد رسول الله، فمن لم يقلها فإنه لا يعصم من دمه وماله، وكيف يعلم من لا يعلمون الغيب من البشر كيف يعلمون، أن قلب ذاك الشخص قد دخله الإيمان فالقلوب أمرها إلى الله ونحن مأمورون بالتعامل بحسب الظاهر، وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعامل الناس.

أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ويقيموا الصلاة، لا بد من هذا أيضًا، أن الله جعل الكف عنهم مشروطًا بهذا، فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم، ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾، بدون هذه الأمور الظاهرة وإظهارها فإنّه لا يكف عنهم.

فإذا أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وشهدوا شهادة الحق وأظهروا شعائر الإسلام المعروفة فإن شأنهم على الله ولا شأن لك أنت فيما يدور في قلوبهم، ويمكن أنّهم أسلموا تحت الخوف، ويمكن أنهم أسلموا رغبة في الجزية أو في العطية، أو في هبة أهل الإسلام هذا أمر إلى الله سبحانه وتعالى يحيط به علام الغيوب وقد أمرنا بالتعامل مع ما يظهر حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماؤهم وأموالهم، وهذا يدل على أنّه لا بد لتعصم الدماء لا بد من الأعمال لا بد من صلاة لا بد من زكاة لا بد من قول، ويكون هذا كله مبني على اعتقاد في القلب يعلمه الله تعالى، فإذا لم تفعل هذه الأمور الإيمانية العظام من الأعمال المتعلقة بالجوارح ومن نطق اللسان مبنيًا على اعتقاد القلب فإنّ الإنسان لا يُعد من أهل الإسلام.

ولهذا أمروا بما أمروا به أمر النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الأمر أن يقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنّه رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك فإنهم يكونوا قد عصموا دماؤهم يعني من أن تراق وقد عصموا أموالهم من أن تُسبى، وتستلم منهم والحساب الحساب في هذه الأمور على الله تعالى.

(15) بابٌ: من قال إن الإيمان هو العمل

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ، وَمُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، قَالاَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ شِهَابٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ المُسَيِّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ: أَيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ :إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ . قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ :الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ :حَجٌّ مَبْرُورٌ.

في هذا الحديث أنّ النبي –صلى الله عليه وسلم– سُئل أي الأعمال أو أي العمل أفضل، مباشرة بما أجاب النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(الإيمان)** وهذا الذي ترجم عليه البخاري باب من قال إنّ الإيمان هو ماذا؟ هو العمل، النبي –صلى الله عليه وسلم– هنا يسأل عن العمل فأجاب بأنّ أفضل العمل هو الإيمان، وهذا يدل على أن الإيمان عمل، يدل على أن الإيمان لا شك أنّه لا بد فيه من العمل إذ السائل يسأل عن العمل فجعل –عليه الصلاة والسلام– هذه الأعمال الثلاثة، وبدأ بأعظمها وأهمها وهو الإيمان بالله في جواب السؤال عن العمل، أي العمل أفضل؟ قال: **(الإيمان)**، الإيمان بالله ورسوله، فدلّ على أن الإيمان لا شك أنه يتضمن العمل إيمان بالله ورسوله، قيل ثم ماذا؟ قال: **(الجهاد في سبيل الله)**، قيل ثم ماذا؟ قال: **(حج مبرور)**.

وهذا يدل على أنّ من أبواب العلم معرفة فضائل الأعمال ما العمل الأفضل؟ وعلى أنّه من المناسب أن يسأل على أفضل الأعمال، ما أفضل الأعمال لأن العمر قصير وقد يكون لدى الإنسان وقت محدود لا يتسع فيه للإحاطة بأعمال كثيرة، فيطلب أفضل الأعمال ليحصل على أفضل الأجور، فأفضل الأعمال والذي لا يمكن أن يُقبل عمل بدونه هو الأول وهو **(إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ . قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟**

قَالَ :الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ :حَجٌّ مَبْرُورٌ).

وفي بعض الروايات أنّه –صلى الله عليه وسلم– ذكر بِر الوالدين، فدل على أن بر الوالدين أعظم من الجهاد في سبيل الله، وهذه من الأمور التي ينبغي أن يقف عندها طالب العلم كثيرًا، ويُنبِّه نفسه وإخوانه عليها، أنّ بر الوالدين بهذا القدر العظيم الكبير، وهو الحقيقة بر الوالدين جهاد ضرب من ضروب الجهاد، لهذا قال الرسول –صلى الله عليه وسلم– **(ففيهما فجاهد)**، فالذي يريد أن يصل أن يبر والديه لا شك أنه يحتاج أن يجاهد، يحتاج أن يجاهد حتى يصل إلى ما فيه درجة البر للوالدين، وهكذا بقية الأعمال.

فالجهاد في سبيل الله كما في الحديث هو ذروة سنام الإسلام فذروة سنام الإسلام هو الجهاد في سبيل الله وهو ولا ريب من أعظم وأجل الأعمال بشرط أن يقع موقعه بالجهاد الذي أراد الله، بالأسلوب الشرعي، فإذا وقع كما ينبغي كما أمر الله فلا شك أنه من أعظم الأعمال، ولهذا جعل الله عز وجل في الجنة المجاهدين مائة درجة هذه الدرجات للمجاهدين وحدهم، ما بين الدرجة والدرجة التي تليها كما بين السماء والأرض، وهذا يدل على عِظَم شأن الجهاد في سبيل الله، لكن الجهاد في سبيل الله يحتاج إلى بصيرة، حتى يفرق المؤمن بين الجهاد في سبيل الله وبين ما يُخلط بالجهاد من أمور التعدي أو التجاوز لحدود الله التي قد تسمى جهادًا.

لكن إذا وقع الجهاد في سبيل الله دفعًا أو طلبًا، يعني دفعًا عن الأمة أو طلبًا للعدو على النهج الشرعي فلا شك أن هذا من أعظم الأعمال التي يتقرب بها إلى الله.

(قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ :حَجٌّ مَبْرُورٌ) ، حج مبرور السليم البعيد عن الآثام هذا أيضًا من أعظم الأعمال، فالحاصل أن الحديث فيه دلالة على ما ترجم عليه باب من قال إنّ الإيمان هو العمل.

(16) بابٌ إفشاء السلام من الإسلام

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، قَالَ: حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ أَبِي الخَيْرِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: أَيُّ الإِسْلاَمِ خَيْرٌ؟ قَالَ: (تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ).

نعم هذا مثل ما تقدم أنّ النبي –صلى الله عليه وسلم– سُئِل أي الإسلام خير، فأخبره بشيء مما هو من خير الإسلام، قد يُسأل النبي –صلى الله عليه وسلم– عن شيء من الأعمال فيجيب ببعض الأعمال لبعض الصحابة، ويجيب لبعض آخر لسائل آخر، يقول أهل العلم هذا بحسب حاجة السائل، قد يأتي سائل، فلا ينبهه –عليه الصلاة والسلام– إلى أمر الجهاد في سبيل الله مثلا، لأنه ليس بمن يجب عليه الجهاد في سبيل الله، قد يأتي سائل يكون من الأغنياء فينبهه النبي –عليه الصلاة والسلام– إلى إطعام الطعام، بينما الفقير المسكين الذي لا يكاد يجد قُوتَه بالكاد أن يجد الطعام ينبهه عليه الصلاة والسلام إلى ما في مقدوره من الأعمال فأعمال الخير وأبواب الخير كثيرة جدًا، فيُنبه الإنسان إلى ما يليق به ويناسبه منها.

قَالَ: **(تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ)**كما تقدم أما إلقاء السلام لا يكون انتقاءً أعرف هذا وهذا وأسلم عليه وأترك الآخرين لا أسلم عليهم! بل الأمر سهل، تمر بأخيك فتقول السلام عليكم، أو السلام عليكم ورحمة الله، أو السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الثلاث ليست بصعبة.

جاء في بعض الروايات: **(من قالَ السَّلامُ عليكُم كُتِبَ لَه عشرُ حسناتٍ ، ومن قالَ : السَّلامُ عليكم ورحمةُ اللَّهِ ، كُتِبَ لَه عشرونَ حسنةً ، ومن قالَ : السَّلامُ عليكم ورحمةُ اللَّهِ وبرَكاتُه كُتِبَ لَه ثلاثونَ حَسنةً)**

وهذا معنى أنّ الإنسان قد يكسب من السلام ألوف الحسنات بل قد يكسبها في اليوم الواحد، لأنّه إذا كان مر في أثناء ذهابه إلى المسجد في ذهابه إلى العمل في طريقه في سوقه يجد أناس كثيرين ممن يلقى عليهم السلام فإذا أفشاه كسب هذا الأجر إضافة إلى إبقائه للسنة العظيمة.

من المهم أن تبقى بين المسلمين هذه السنة العظيمة ولا تستبدل سنة السلام، ولا تستبدل بشعار آخر من الشعارات التي تستخدم من أهل الكفر من الشرق أو من الغرب.

فقوله: أي الإسلام خير؟ ثم جوابه صلى الله عليه وسلم بأنّه **(إطعام الطعام وإفشاء السلام)**، من المعلوم أنّ المراد أنّ هذا من أفضل أعمال الإسلام وليس المراد أنّه أفضل الأعمال على الإطلاق لأنّ التوحيد هو أفضل عمل على الإطلاق، كما نبه شيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله.

المقصود أنّ هذه من أفضل أعمال الإسلام، فليس معنى ذلك أنّ إفشاء السلام أفضل من جميع الأعمال وإنما المقصود أن هذا من أفضل أعمال الإسلام إذ أفضل ما يلقى العبد به ربه هو التوحيد، أعظم الأعمال على الإطلاق هو التوحيد.

(17) بابه كفران العشير وكفر دون كفر

هذا الباب أراد به المصنف رحمة الله عليه أن يُبَيِّن أنّه كما أنّ الإيمان شُعَب فإن الكفر أيضًا شُعَب، وبَيّن أنَ الكفر بناء على هذا سيكون كفرا دون كفر، ليس بالضرورة كل ما وجدت نصًا فيه ذكر الكفر أن يكون المراد الكفر المخرج من الملة، فقد أطلق الشرع على بعض الأعمال أطلق عليها اسم الكفر مع أنها قطعًا قد يتلبس بها المسلم، وذلك أن الكفر ليس على درجة واحدة، فمنه كفر أكبر وهو المخرج من الملة، ومنه كفر دون ذلك.

ويأتينا إن شاء الله تعالى بيان الباب الذي بعده إن شاء الله تعالى، في بيان أنّ القتال من أعظم الكبائر وإراقة دم المسلم من أعظم الكبائر، إذا لم يكن في موضعه وفي محله، ومع ذلك بَيّن تعالى أنّ القتل هذا ممكن أن يقع بين مسلمين، كما سيأتي في بابه بحول الله عز وجل.

﴿وإن طَائِفَتَانِ مِنَ المؤْمِنِينَ﴾ وصفهم بالإيمان ﴿وإن طَائِفَتَانِ مِنَ المؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾فذكر الإيمان وذكر الاقتتال.

ثم قال –عليه الصلاة والسلام– **(سباب المسلم فسوق وقتاله كفر)**، فعرفنا بذلك أنّ قوله –صلى الله عليه وسلم– وقتاله كفر ليس معناه أنّ من قاتل أخاه كفر يقينا ليس هذا معناه ؛ لأنّ الله تعالى ذكر أنّ القتال يقع بين المؤمنين ﴿وإن طَائِفَتَانِ مِنَ المؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾ إذاً ما معنى إطلاق الكفر عليه، معناه: أنّ القتال شعبة من شعب الكفر، وعمل من أعمال الكفر فإذا فعله العبد يقال فيه هذه الخصلة من خصال الكفر وليس معنى ذلك أنّه كافر، هذا باب في غاية الأهمية أن يُتقنه طالب العلم، كما أنّا نقول الإيمان شعب، فليس كل من كانت فيه هذه الشعبة بالضرورة يكون مُسلمًا، فعلى سبيل المثال: إماطة الأذى عن الطريق شعبة من شعب الإيمان المنصوص عليه، هذه الشعبة قد توجب بكافر فيميط الأذى عن الطريق، أو منيحة العنز أن يمنح عنزا لتحلب قد توجد في كافر، لكن هذه الخصلة وحدها لا يكون بها الكافر مؤمنًا قد توجد به خصلة من خصال الإيمان وفي الوقت نفسه قد توجد خصلة من خصال الكفر في مسلم ولا يكون كافرًا، كما سيأتي في باب آخر إن شاء الله تعالى يوجد في بعض المسلمين خصلة من خصال النفاق كالكذب في الحديث مثلا، ولا يكون بذلك منافقًا خالصًا يكون بمعنى أنّه يكون قد نافق النفاق الاعتقادي الذي يخرج به من الملة، وذلك

أنّ الكفر على درجتين فمنه كفر مخرج من الملة ومنه كفر دون ذلك، وهكذا الظلم، الظلم على درجتين: ظلم أكبر مخرج من الملة، وظلم دون ذلك، وهكذا الفسق، فسق أكبر يخرج من الملة ومنه فسق دون ذلك.

الفسق ذكره الله تعالى عن إبليس قال تعالى:﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ فسق إبليس فسق أكبر بلا شك وذكر الله الفسق عن بعض عصاة المسلمين، كما في قوله:﴿إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ يعني من المسلمين.

فالحاصل أنّ الفسق على نوعين والظلم على نوعين والشرك على نوعين، والكفر على نوعين، كلها منه أكبر وأصغر.

ولهذا ينبغي على طالب العلم أن يعي موارد النصوص، وألا يحمل كل حديث فيه ذكر الكفر على الكفر الأكبر، وإنما الكفر كفر دون كفر، إذا قيل إنّ هذا الكفر دون الكفر معناها أنه ليس الكفر المخرج من الملة الأكبر، بل هو كفر دونه و أقل منه، هذا من الأمور التي ينبغي أن يتفطن لها، لأن عدم التفطن لها يجعل العبد يظن أنّ كل خصلة ورد فيها اسم الكفر تجعل العبد كافرًا وهذا ليس بصحيح.

لأنّ الكفر خِصال فقد يتصف العبد بخصلة منها ولا يكون كافرًا، كما أنّ الإيمان شُعَب وقد توجد شعبة من هذه الشعب في كافر، فلا يكون مؤمن، وإن وجدت فيه شعبة من شعب الإيمان لأنه لا ينتفع بهذه الشعبة الكافر لا ينتفع بهذه الشعبة إلا إذا أسلم قبل ذلك.

فإذا أسلم وعمل بشعب الإيمان نفعته هذه الشعبة، أما مجرد أن يكون لديه مثلا محبة للفقراء وعطف عليهم فيمنحهم منح ويعطيهم أعطيات فمثلا قد يمنح منيحة العنز يقال هذه شعبة لا ينتفع بها في الآخرة لأنه ليس بمؤمن ولم يحقق الشرط الذي ينتفع به من الأعمال هذه فإذا حققها نفعته هذه الشعبة وعد من أهل الإيمان.

فكذلك قد توجد خصلة من خِصال الكفر في مسلم خصلة، فلا يكون بها كافرًا يخرج من الملة لأن الخروج من الملة لا يكون لمجرد معصية من المعاصي كما سيأتي الباب المخصص لذلك إن شاء الله.

قوله هنا كفران العشير، العشير المراد به الزوج، الزوج له حق كبير جدًا على المرأة ولهذا قال -عليه الصلاة والسلام- **(لو كنتُ آمِرًا أحد أن يسجُدَ لأحدٍ لأمَرتُ المرأةَ أن تسجُدَ لزوجِها)** لو على سبيل الأمر الممتنع، **(لو كنتُ آمِرًا أحد أن يسجُدَ لأحدٍ لأمَرتُ المرأةَ أن تسجُدَ لزوجِها)** وذلك لما له من عظيم حق، فكفران العشير معناه أنّ المرأة تجحد ذلك المعروف الكثير الذي أدّاه إليها الزوج وكأنّه لم يفعل شيئًا كما سيأتي في الحديث.

1-حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ عَنْ مَالِكٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:(أُرِيتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ يَكْفُرْنَ) قِيلَ: أَيَكْفُرْنَ بِاللَّهِ، قَالَ: (يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ)

أولا قوله فيه عن أبي سعيد يعني في هذا الباب يدخل حديث أبي سعيد وهو قوله -عليه الصلاة والسلام-: **(تصدقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار)** فسألنه سبب كون النساء أكثر أهل النار نسأل الله العافية، فأخبرهنّ أنّ من أسباب ذلك هاتان الخصلتان **(تكثرن اللعن)** هذا يدل على أن إكثار اللّعن من أسباب دخول النار، ولهذا جاء في الحديث **(أن اللّعانين لا يكونون شهداء ولا شفعاء يوم القيامة)**، إكثار اللّعن يجعلك [ممن يستحق دخول النار....].

2- حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ أَبُو الرَّبِيعِ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا نَافِعُ بْنُ مَالِكِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ أَبُو سُهَيْلٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ».

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فذكر رحمه الله تعالى في هذا الباب ما هو ضدٌ للإيمان من أصله، أو ما هو منقصٌ للإيمان، وهو النفاق، والنفاق معناه؛ إظهار شيء وإسرار ضده، يظهر شيئًا من الأشياء ويضمر، ويخفي ضده، كما قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح:11] فالقول الذي باللسان شيء، والذي في القلب شيء آخر، فهذا معنى النفاق من حيث العموم، قالوا وهو من نافق اليربوع، لأن اليربوع يضع له أكثر من جحر فبينما يريد الشخص اصطياده من هذه الجهة، وإذا به يخرج من جهة أخرى، لأن المنافق هكذا مراوغ، فيظهر شيئًا بخلاف حقيقته، والنفاق بلاءٌ عظيم، ووبيل، لهذا اشتد غضب الله على المنافقين حتى جعلهم في الدرك الأسفل من النار نسأل الله العافية والسلامة.

وهذا في النفاق الأكبر، ولكن من النفاق نفاق أصغر، وهو نفاقٌ عملي، وهو المذكور في هذا الحديث والذي بعده، ما مناسبة ذكر النفاق أثناء الكلام على أمور الإيمان؟

مناسبته ظاهرة جلية، فإن الإيمان ينبغي أن يعرف من حيث أقواله، وأفعاله، واعتقاداته بحيث لا يؤثر فيه، ويخل به، أو ينقصه ولهذا جاء هذا الحديث جاءت هذه الترجمة فيما يتعلق بالنفاق، وهذه الأمور قد تقع للعبد حتى وإن كان من المسلمين، وهنا علامة كما ترجم البخاري رحمه الله تعالى باب علامة النفاق، قال عليه الصلاة والسلام: (آيَةُ الْمُنَافِقِ) يعني علامته عياذًا بالله، (ثَلَاثٌ) وفي بعض الروايات أكثر، وكل ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من هذه العلامات فإنه يقبل على الرأس والعين، علامات ولهذا تجدها في أهل ضعف الإيمان، (آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ) أول هذه الآيات وهي أشهرها فيهم، (إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ) تجد أنه كذاب المنافق كذاب، ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ وهذه خصلة ينبغي على المسلمين عمومًا، وعلى طلبة العلم بشكل خاص أن يتنزهوا عنها الكذب في الحديث، (إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ) عياذًا بالله، فإن الكذب في الحديث من أردأ وأسوأ ما يكون، ومن الخصال التي تجعل الناس في ريبة من هذا العبد والتعامل معه، لا يدرون هو صادق أو كاذب، حتى لو أخبر بخبرٍ مجرد لا يدرى لأنهم اعتادوا فيه الكذب.

وهي من علامات المنافقين، فينبغي على المسلمين أن يتنزهوا عنها، (إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ) يعد بأمر من الأمور فيخلفه، وهذه علامة ثانية من علامات النفاق، لكن لو أنه وعد والله يعلم من قلبه أنه يريد أن يفي، ولكن حال دون هذا الوعد شيءٌ ليس في يده، فإنه لا يكون من أهل هذه الخصلة، ولهذا ورد في بعض الطرق ما يدل على أنه إذا وعد وهو ينوي أن يخلف، قد أسس سوء الخلفة من البداية، فهذه من صفات المنافقين، خلف الوعود.

(وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ) هذه فصلة أخرى إذا أؤتمن الواحد منهم على أمانة معينة فإنه يخون فيها فذلك لضعف إيمانه، لأن

المنافق حتى وإن كان من المسلمين عنده هذه الخصال فإنّه ضعيف الإيمان بلا شك، تجد أنه خوّان، يخون الأمانات، سواء كان أمانة متعلقة بغيره من الكبار ونحوهم، أو بالأمانات المتعلقة بمن تحت يده كأيتامٍ ونحوه تجد أنّه يخون عياذًا بالله، **(وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ)** الناس ائتمنوه، ائتمنوه على أمر لكن خانهم، فهذه الصفات تجعل الإنسان في غاية البلادة وفي غاية الصعوبة، يكون التعامل معه صعبًا للغاية، إن تحدّث لا تأمنه فيكون كاذبًا، إن وعد ما تأمن أن ينفذ، إن ائتمنته على أمر ووثقت فيه خانك، فهذه صفاتٌ لا شك أنها تنقص الإيمان وتضعفه، وإذا اجتمعت هذه الخصال في إنسان مع الخصال الآتية فلا شك أنّها شديدة الخطورة كما سيأتي عند الكلام على الحديث الآتي، ولكن مع ذلك مجرد خصلة واحدة منها لاشك أنها سيئة للغاية، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: **(حتى يدعها)** لابد أن يدعها الإنسان فإذا لم يدعها فإن فيه خصلة من خصال المنافقين وهذا شاهد لما قلنا أنّ الإنسان يمكن أن تجتمع فيه أو يكون فيه خصلة من خصال النفاق أو كما في باب سابق خصلة من خصال الكفر، لا يكون بها كافرًا وهذا يكون فيه خصلة من خصال النفاق ولا يكون بها كافرًا، فإنّه إذا كذبَ لا يكون كافرًا، أو منافقًا النفاق الأكبر.

لكن يقال فيه خصلة من خصال المنافقين، وهكذا قوله عليه الصلاة والسلام **(سباب المسلم فسوقٌ وقتالهُ كفر)** فقتال المسلم خصلة من خصال الكفر، ولا يعني بذلك أنه يكون بها كافرًا.

3-حَدَّثَنَا قَبِيصَةُ بْنُ عُقْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُرَّةَ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ» تَابَعَهُ شُعْبَةُ، عَنِ الأَعْمَشِ.

نعم في هذا الحديث أن النبي عليه الصلاة والسلام أخبر عن هذه الخصال الأربع التي إذا اجتمعت في الإنسان كان منافقًا خالصًا، وإذا وجدت فيه خصلة كانت فيه خصلة من خصال النفاق إلى أن يدعها، **(إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ)** وهذا تقدم الكلام عليه، **(وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ)** أيضًا تقدم الكلام عليه، جاءت هنا هاتان الخصلتان **(إِذَا عَاهَدَ غَدَرَ)** وذلك لأنّه كذّاب يعاهد الناس بالله عز و جل ويعطيهم هذا العهد العظيم الذي يلزم معه الوفاء ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء:34] لكنه يغدر، فيغدر في العهود وهذا يقع للأسف الشديد من الذين لا يتقون الله ويستضعفون هؤلاء المساكين، فيأتي بمن يكون بينه وبينه عقد كعقد العمل، عقد محدد ما الذي لصاحب العمل وما الذي عليه، وما الذي للعامل وما الذي عليه، ثم أنّه يبخسه حقه، هذا العمل مبني على نوع من أنواع العقود، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة:1] يجب عليه أن يفي، فإذا هو لم يف به فقد غدر، **(وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ)** ذهب عند القضاة **(فَجَرَ)** يفجر في الخصومة، وتجد أنه يعلم أن الحق ليس معه.

ولكن مع ذلك يخاصم مخاصمةً الفاجر، يخفي الذي عليه وليلزم خصمه بالذي لا يجب عليه، فمن اجتمعت فيه هذه الخصال فإنه يكون منافقًا خالصًا، (وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا) يبقى السؤال، هل من اجتمعت فيه هذه الخصال يكون كافرًا مرتدًا؟ هذا هو موضع السؤال.

الجواب لا، لأنّ هذه كلها كما قررنا في الباب السابق ما قال البخاري رحمه الله: (بابٌ المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر بها)، ولكن قال أهل العلم أنّه يخشى على من اجتمعت فيه هذه الخصال أن تنقله إلى النفاق الاعتقادي، وأن تخرجه عياذًا بالله، وأن تجره إلى الوقوع في الكفر.

كما أن الشرك الأصغر يمكن أن يجر صاحبه إلى أن يصل إلى حد الشرك الأكبر فكذلك يقال في مثل هذه الأعمال النفاقية هذه يمكن أن تجر صاحبها إلى النفاق الأكبر عياذًا بالله وإلا فالأصل أنّه لو وجدت مثل هذه الخصال في إنسان وتحققنا وجودها فيه يقينًا، بل حتى لو تكررت فإنا لا نقول إنّه كافر، لأن هذه معاصي ولكن نقول إنّ هذا في النفاق العملي، كما قرره غير واحد من أهل العلم، نعم ولكن يخشى عليه أن يجره ذلك إلى النفاق الأكبر، ولهذا قال أهل العلم: إن المعاصي بريد الكفر، حتى المعاصي إذا استمر عليها الإنسان واستمرأها، واستحلاها يخشى عليه أن تجره إلى الكفر، أو أن يختم له بخاتمة يكون بها كافرًا عياذًا بالله، نعم.

(18) باب قيام ليلة القدر من الإيمان

في هذا الباب والباب الذي يليه وأبواب أخرى أيضًا تأتي بعدُ يبدأ يتحدث عن كون الأعمال من الإيمان، ففي أمر ليلة القدر يكون بالصلاة فيها، وما يتعلق بليلة القدر المعروف، فيقول: بابٌ قيام ليلة القدر من الإيمان، يعني أن هذا العمل معتبر من الإيمان، وهكذا صيام رمضان، وهكذا قيام رمضان، وهكذا أيضًا الصلاة كما سيأتي، وهكذا الزكاة كما سيأتي إن شاء الله كل هذه من الإيمان، وهكذا أداء الخُمس، كل هذه أعمال، فيقرر هنا رحمه الله تعالى أنها من الإيمان ردًا على المرجئة، ويستدل عليها بالنصوص الدالة على أنّها من الإيمان، وعلى عدها من الإيمان..

1-حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنِ الأَعْرَجِ. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يَقُمْ لَيْلَةَ القَدْرِ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

هذا السند يثبت أيضًا في البخاري رحمه الله تعالى شعيب عن الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه، كثير جدًا في الصحيح فطالب العلم إذا رأى مثل هذا السند يعلم أنه على سند البخاري رحمه الله تعالى.

دلنا على الباب بهذا الحديث **(مَنْ يَقُمْ لَيْلَةَ القَدْرِ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا)** هذه الليلة العظيمة التي في رمضان في العشر الأخيرة من رمضان من قامها وكان الباعث له على القيام الإيمان، إيمانًا واحتسابًا، الاحتساب هو؛ طلب الثواب، يطلب ثواب قيامه من الله تعالى، فهذا معنى الاحتساب، ثم إنه عليه الصلاة والسلام قال: **(مَنْ يَقُمْ لَيْلَةَ القَدْرِ، إِيمَانًا)** فدل على أنّ إيمانها وهي عملٌ من الأعمال دل على أنه من الإيمان، وهذا الشاهد لما يقرره أهل السنة من أنّ الإيمان قولٌ، واعتقادٌ، وعمل، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم قيام ليلة القدر من الإيمان دالٌ على أنّ الأعمال تدخل في الإيمان، ثم قلنا أنّ هذه الأعمال الداخلة في الإيمان على نوعين:

منها أعمالٌ هي مستحبات، كقيام ليلة القدر، فمن لم يقم ليلة القدر أبدًا لا يقال أنه أثم، لماذا؟ لأن هذا عملٌ من أعمال الإيمان المستحبة.

النوع الثاني من أنواع الأعمال: أعمالٌ هي واجبة، كأداء الزكاة كصيام رمضان، وأعظم الأعمال الواجبة: -الأعمال العملية- هذا العمل العظيم وهو الصلاة كما تقدم، فكل هذه أعمال من أعمال الإيمان.

في هذا الحديث أخبر عليه الصلاة والسلام أن الذي يقم على هذا الشرط يغفر له ما تقدم من ذنبه، وهذا من فضل الله الواسع، وهل يغفر له ما تقدم من ذنبه بما في ذلك من الكبائر؟ ففي الحديث عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: **(من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه)** ونحو ذلك من الأحاديث اختار بعض أهل العلم أن بعض هذه النصوص يدل على مغفرة الصغائر والكبائر، ولكن المعروف أن تلك الأعمال لا تكفّر الكبائر، وذلك أن الله تبارك وتعالى شرط شرطًا في الكبائر، قال تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء:31] فالكبائر تحتاج إلى توبة خاصة، وإلا فلو قتل مسلمًا ثم قام ليلة القدر، لا يقال إنه في هذا الحالة قد غفر له ذنبه لأن ذنبه هذا عظيم يحتاج إلى توبة مستقلة، وهكذا لو زنا وشرب الخمر، وقام ليلة القدر أو حج حتى، الصحيح إن شاء الله أنّه لا يغفر له ذنبه من الكبائر إلا بتوبة مستقلة؛ لأن الله شرط هذا الشرط، وأيضًا شرطه رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: **(الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر)** فدل على أن التكفير والمغفرة هنا لا تشمل الكبائر، لأن الكبائر كاسمها كبيرة مستقلة، تحتاج إلى ذنبٍ وتوبة لكن فرق بين هذا الكلام، وبين الكلام الآتي:

وهو أنه قد يلقى الله بالكبائر فيغفرها، هذا إلى الله، الأمر هذا على الله، كون الله يغفر للقاتل، أو للزاني، هذا إلى الله، لا يدخل العباد فيه، ولكن الذي ينبغي أن يقرر أنّ الكبائر تحتاج إلى توبة مستقلة فإزهاق النفس وقتلها ظلمًا كبيرة عظيمة جدًا وهي أعظم الذنوب بعد الشرك.

فلابد أن يتوب العبد منها، أما إذا لقي الله فتلقاه برحمته فالعباد لا شأن لها ولا دخل، الله تعالى يقول: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء:48] لكن من حيث التأصيل للمسألة يقال: الكبائر بحاجة إلى توبة مستقلة، فقوله: **(غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)** ينبغي أن يفهم على هذا الأساس لأن بعض الناس قد يستسهل الكبائر ويظن أن أمرها يسير، بالنظر أنها تكفرها مثل هذه

الأمور، ولهذا بعض الجهلة دأبه وهمه أن يصلي من الجمعة إلى الجمعة، فيزعم أن تركه للصلاة بين الجمعتين معصية وأن الجمعة الآتية تكفرها، وهذا فهم خاطئ لا شك فيه هذا الفهم غير سوي للنصوص .

(19) باب: الجهاد من الإيمان

حَدَّثَنَا حَرَمِيُّ بْنُ حَفْصٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الوَاحِدِ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُمَارَةُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ بْنُ عَمْرِو بْنِ جَرِيرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «انْتَدَبَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لاَ يُخْرِجُهُ إِلَّا إِيمَانٌ بِي وَتَصْدِيقٌ بِرُسُلِي، أَنْ أُرْجِعَهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ، أَوْ أُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، وَلَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي مَا قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيَّةٍ، وَلَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ».

في هذا الباب بوَّب رحمه الله تعالى على الجهاد، والجهاد لاشك أنّه عمل لا ريب أنّه عمل من الأعمال، هو بذل الجهد، فقال: الجهاد من الإيمان، الجهاد كما هو معلوم على نوعين:

إمّا أن يكون واجبًا، وإما أن يكون مستحبًا، يجب إذا حضر العدو إلى بلاد المسلمين فهنا يجب الجهاد على كل أحد، لا يُمكّن أعداء الله من الدخول إلى بلاد الإسلام، فيجب على أهل البلاد أن يقاتلوهم حتى أنّه يقاتل كل أحد، كل من يستطيع القتال يقاتل في هذه الحال، وكذلك يجب عليه إذا انتدبه أو عينه إمامًا، ويجب عليه إذا حضر الصف، حضر صف المسلمين وهم يقاتلون الكفار يجب عليه أن يقاتل في هذه الحال، وما سوى ذلك فإنّه من القتال في سبيل الله عز و جل الذي هو على سبيل الاستحباب، فدل على أن العمل من الإيمان.

وكيف لا يكون الجهاد من الإيمان والنبي صلى الله عليه وسلم الله عليه وسلم يقول: **(رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله)** إذا كان ذروة سنام الإسلام كيف لا يكون من الإيمان؟ فلا شك أنه من الإيمان لاشك أن الجهاد عملٌ من أعمال الإيمان، في هذا الحديث يقول صلى الله عليه وسلم: **(انتدب الله لمن خرج في سبيله)** في رواية أخرى قال صلى الله عليه وسلم: **(تكفل الله)** وإذا تكفل الله بأمر فلاشك أنه يقع ويتحقق، فيُبين معنى **(انتدب الله)** يبين هذا اللفظ يبينه قوله صلى الله عليه وسلم: **(تكفل الله لمن خرج في سبيله، لا يخرجه إلا إيمانٌ بي)** قد تقول كيف قال انتدب الله لمن خرج في سبيله، هذا الآن ضمير الغيبة، **(لا يخرجه إلا إيمان بي وتصديق برسلي)**، يقال هذا في اللغة يسمى الالتفات، الالتفات معناه أن تستخدم أسلوبًا ثم تنتقل من هذا الأسلوب إلى أسلوب آخر، كأن تستخدم أسلوب الغيبة، ثم تستخدم أسلوب المتكلم، وذلك موجود حتى في القرآن في أكثر من موطن، تأمل هذه الآية وهي قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ﴾[يونس:22] الآن الكلام إلى الآن وهو في المخاطب ﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾ جَرَيْنَ بِهِمْ؛ هذا انتقال من ضمير المخاطب إلى ضمير الغيبة، جرين بهم كان بداية الكلام في المخاطبين، ﴿يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ﴾ ما قال: "وجرين بكم" يعني هذا يسمى في اللغة الالتفات، بأن انتقل من أسلوب إلى

أسلوب آخر، ففي أول الحديث استخدم أسلوب الغيبة **(انتدب الله لمن خرج في سبيله)** في سبيل الله، ثم قال: **(لا يخرجه إلا إيمان بي)** هذا انتقال إلى أسلوب المتكلم، **(لا يخرجه إلا إيمان بي)**، أي بالله عز و جل.

صار الحديث الآن عن الله تبارك وتعالى، **(وتصديق برسلي)**، تكفل الله لمن خرج في سبيله بهذين الأمرين: إمّا أن يرجع بأجر وثواب إضافة إلى الغنيمة التي يغنمها المسلمون من الكفار، أو أن يدخله الجنة، فقد يُقتل فيكون من أهل الجنة، وقد يَغنم ويَسلم فيرجع بالأجر، وبالغنيمة، ثم قال صلى الله عليه وسلم: **(وَلَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي مَا قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيَّةٍ)** بعث النبي صلى الله عليه وسلم عددًا كثيرًا من السرايا، مثل سرية أبي عبيدة إلى سيف البحر، مثل سرية ابن جحش، سرايا عدة، فكان عليه الصلاة والسلام إذا خرج في أصحابه سمي هذا البعث الذي خرج يسمى غزوة، مثل : غزوة بدر، غزوة أحد، والعدد الذي يخرج وليس فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى سرية، فبين عليه الصلاة والسلام أنه يحب أن يخرج في كل مرة يبعث فيها أحدًا، ولكن يخشى من المشقة على أمته، **(وَلَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي مَا قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيَّةٍ وَلَوَدِدْتُ)** يعني يحب صلى الله عليه وسلم الشهادة، **(وَلَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)** ليس هذا فقط ود عليه الصلاة والسلام أن يستشهد، ثم يحييه الله عز و جل حتى يستشهد مرة أخرى ثم يحييه الله تعالى حتى يستشهد ثانية، وذلك لعظيم فضل الشهادة.

ولهذا لما قتل من قتل من السبعين من الصحابة رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، وسألهم ربهم تبارك وتعالى عن طلبيتهم، طلبوا من ربهم عز و جل أن يردوا إلى الدنيا ليقتلوا مرة أخرى، وذلك لما رأوا من كرم الشهادة، نسأل الله الكريم من فضله، فدل هذا كله على عظم فضل الجهاد الشرعي السليم، المنضبط بالضوابط الشرعية، وعلى عظم فضل الشهادة التي تمناها عليه الصلاة والسلام، وقال بعض أهل العلم أن النبي صلى الله عليه وسلم نال الشهادة وذلك أن اليهود –أخزاهم الله– سموه عام خيبر، وضعوا له السم في شاةٍ أضافوه بها، وأخبره الله عز و جل بعد أن نال منها عليه الصلاة والسلام، قالوا والدليل على أن موته كان بهذا السم قوله عليه الصلاة والسلام: **(لازالت أكلة خيبر تعادني فهذا أوان انقطاع أبهري)** وذلك في أثناء موته صلى الله عليه وسلم أخبر أن تلك الأكلة لم تزل تعاده إلى أن انقطع أبهره عليه الصلاة والسلام.

والله أعلم، فالحاصل أن هذا كله دالٌ على أن العمل من الإيمان، وعلى صحة ما ترجم عله البخاري رحمه الله، بابٌ الجهاد من الإيمان، وأنه عملٌ من الأعمال الإيمانية، وهذا كله ردٌ على المرجئة..

(20) بابٌ: تطوع قيام رمضان من الإيمان

حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

في هذا الباب تكلم عن قيام رمضان كله، لأننا في الباب السابق أو قبل السابق قال: باب قيام ليلة القدر من الإيمان، يعني الباب السابق يتحدث عن ليلة واحدة من ليالِ رمضان وفي هذا الباب نتحدث عن قيام رمضان كله، ولا شك أن الذي يقوم رمضان كله من أول الشهر إلى آخره لاشك أنه يدرك ليلة القدر، بل إذا قام العشرة الأخيرة من رمضان أدرك ليلة القدر وإن كان الذي ينبغي على المسلم، ويندب إليه ندبًا أكيدًا أن يقوم رمضان كله، أن لا يفرط فيه، وأن يقوم أيضًا مع الإمام حتى يحصل على ما قال عنه عليه الصلاة والسلام **(من قام مع إمام حتى ينصرف كتب له صيام ليلة)**.

ففي هذا الباب شأنٌ آخر وهو قيام رمضان كله، فقيام رمضان على سبيل الاحتساب، الاحتساب يعني طلب الأجر يكون من الإيمان، أما لو قام تقول: لماذا؟ قال: قيام رمضان احتسابًا من الإيمان لأنّه قد يقوم غير محتسب، بل يقوم إما مراءاة للناس، أو يزعم أنّ في الصلوات شيئًا من الفائدة، والصحة لجسده فيكون هذا هو مراده فقط، ففي هذه الحالة لا يكون محتسبًا لا يحصل على هذا الثواب إلا من قام على هذين الاعتبارين، إيمانًا واحتسابًا، فمن قام رمضان إيمانًا واحتسابًا أيضًا غفر له ما تقدم من ذنبه، وهذا يدل على أن أسباب مغفرة المتقدم من الذنوب من فضل الله عز و جل كثيرة، وهذا من فضل الله عز و جل أن يفتح الله عز و جل هذه الأبواب لمغفرة الذنوب حتى قال عليه الصلاة والسلام: **(لو وافق تأمينه تأمين الملائكة بقول آمين غفر له ما تقدم من ذنبه)** فينبغي التماس مثل هذه الأسباب التي يكن من آثارها مغفرة الذنوب.

(21) بابٌ: صوم رمضان احتسابًا من الإيمان

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلاَمٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

كل هذه الأحاديث المتعلقة بقيام ليلة القدر، وبقيام رمضان، وبصيام رمضان، كل هذه يرويها أبو هريرة رضي الله تعالى عنه وأرضاه، وفي بعض الروايات الجمع بين قيام رمضان، وصيامه، أو قيام ليلة القدر وصيامه ونحو ذلك، البخاري رحمه الله تعالى يجعل ترجمته، ويأخذ من الحديث ما يدل على الترجمة، تارة قد يورد الحديث كاملًا، وتارةً يورد الموضع الدال على الترجمة، هذا أيضًا مثل غيره المتقدم، الجهاد، صيام رمضان، صيام رمضان لاشك أنه عمل، وإن كان تركًا فالترك يعدُ عملًا ، فإن الترك إذا كان على سبيل الاحتساب لله تعالى يعد نوعًا من أنواع العبادة، كما أنّك تترك الغش، تترك كذب، فهذا الترك داخلٌ في العبادة، ولذلك صيام رمضان هو التعبد لله عز و جل بترك مفطرات في الوقت المخصوص هذا بنية التقرب إلى الله عز و جل فصيام رمضان احتسابًا من الإيمان.

أما لو صام رمضان غير محتسب فإنّه لا يحصل على هذا الثواب، كأن يصومه خوفًا من أن يراه الناس مفطرًا، أو أن يصومه لما في الصحة والفائدة، ولأنّ الأجسام تصح فيه، كل هذا لا يكون للعبد فيه في هذه الحالة من هذا الحديث نصيب حتى يصوم إيمانًا واحتسابًا، ثم كونه يأتي فائدة في جسده أو غيره هذا فضل آخر من فضل الله، لكن أساس والمقصد من صيام رمضان، أو قيام

رمضان يجب أن يكون إيمانًا، واحتسابًا، يكون العبد بين عينيه هذا الأمر، الإيمان والاحتساب في مثل هذه الأمور فمن وفق لهذا غفر له ما تقدم من ذنبه..

(22) باب: الدين يسر

1-وقول النبي صلى الله عليه وسلم: «أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة».

في هذا الباب يُبيّن رحمه الله تعالى أن دين الله عز و جل قد شرعه علام الغيوب أرحم الراحمين قد شرعه ميسرًا بفضله، ومنته، والمؤمن يدرك هذا، ويعي هذا أن هذا الدين ولله الحمد يُسر، ليس فيه آصار، وليس فيه أغلال، بل جاء النبي صلى الله عليه وسلم بوضع هذه الآصار والأغلال، كما قال تعالى في وصفه: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ﴾ [الأعراف:157] في شأن بني إسرائيل ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾.

فهذا الدين بفضل الله يسر، وجوانب اليسر فيه كثيرة جدًا يصعب أن يحاط بها، ولكن من نماذج ذلك مثلًا:إذا قُتل الإنسان في بعض شرع من قبلنا ليس هناك دية، إنّما القصاص فجاء الله عز و جل في هذا الدين بالقصاص وبالدية، بحيث يمكن أن يفدى القاتل، وهكذا أمور كثيرة جدًا مما حرم الله عز و جل على بني إسرائيل مثلما ذكرنا في قوله: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ﴾[الأنعام:146] فجعل الله هذه الشرائع تشديدًا عليهم، فهي بفضل الله في هذه الشريعة ميسرة مباحة، وهكذا أشياء حرمها تعالى على من قبلنا وأباحها لنا فضلًا منه ومنة، فهذا الدين يُسر .

وبهذه المناسبة لهذا الترجمة، ينبغي أن يعلم أن العبث بالدين تحت اسم التيسير هو من تحريف الكلم عن موضعه، فالدين في أصله يُسر، والذي يريد أن يأتي إلى حدود الله لينتهكها باسم التيسير محرفٌ لدين الله عز و جل عابثٌ به، فالدين في أصله يُسر، ليس عسرًا حتى يقال إنا سنيسر هذا العسر!

الدين بفضل الله يسير ولله الحمد، فالعبث به تحت اسم التيسير لإباحة ما حرم الله، أو لاستحلاء[1] ما هو في دين الله قبيح، هذا ليس من التيسير، بل هذا من العبث بدين الله، والعابث بدين الله سواءٌ عَسّر اليسير جعل ما يَسّره الله عز و جل شَدَّد فيه، أو عكس أتى إلى ما شرع الله ليعبث به باسم التيسير لاشك أنّ الجميع محرفون لدين الله عز و جل وأنّه من البلايا الكبار في هذه الأمة، أن يؤتى إلى دين الله تعالى فيبالغ فيه المبالغة المنكرة، كما سنعرّج عليه إن شاء الله تعالى عند الحديث، أو العكس، فطائفة تُشدِّد في دين الله عز و جل، ولا

[1] استحلاء : أي تزين وتجميل ما هو في دين الله قبيح مثل من يزين السفور والتبرج الخ

ترضى باليُسر و بالرخصة، وبالتسهيل الذي شرعه الله، و طائفةٌ بضدها أتت إلى هذا الدين الميسر وأرادت أن تُميّعه، وأن تعبث به تحت اسم التيسير.

فالتيسير حقيقته أن ينظر إلى النصوص نفسها، لأن الله جعل الدين يُسرًا، من خلال النصوص، قال تعالى: ﴿مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحج:78] فالدين لا حرج فيه لا عُسر فيه لكن في أصله حيث القرآن والسنة أمّا من يأتي ليعبث به فيحل الحرام، أو يسهل في أمره، أو يجريه تحت اسم الواقع المعاصر، فيقول: لابد من هذا فهذا مُحرِّف لدين الله، عابثٌ به، وخصمه رب العالمين يوم القيامة، لأنه في الحقيقة يحرف الدين، ويتخذ مثل هذه الوسائل من باب تزويق عمله لا أقل ولا أكثر ، فما جعله الله عز و جل في الأحكام الشرعية لا يجوز العبث به ولا يجوز أن يهاود في مثل هذا الأمر، وأن يكون المسمى الذي يرفع اسم التيسير، ودين الله يسير ولا تشددوا على الناس، كيف تقول لا تشددوا على الناس في أمر أوجبه؟! إذا أوجب الله عز و جل أمرًا فعلى الناس أن يسمعوا ويطيعوا فإذا أنت أتيت لتعبث به فهذا ليس تيسيرًا لأن الدين في أصله يسر، فأنت تريد أن تُحلحله، وأن تعبث به تحت اسم التيسير، ولهذا ترجم هذه الترجمة العظيمة، قال: باب الدين يُسر في أصله، في أصله هو يسير بحيث القرآن والسنة، فأما العبث به تحت اسم التيسير، أو ارتكاب الحيل لتخلص من الأحكام الشرعية فإن الله تبارك وتعالى لا يخدع، هذا نوع من المخادعة والعبث.

والله تبارك وتعالى يقول:﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء:142] فإذا أردت أنك تلتف على نص من النصوص وتحيل حرامه إلى مباح، أو تحيل وجوبه إلى عدم الوجوب فالله تبارك وتعالى مُطّلع على هذا العبث، وهو مجازٍ صاحبه به، ولهذا ينبغي على طلبة العلم، ونؤكد على هذا وهذا من أسباب اختيار كتاب البخاري، أن يلاحظوا أمر التأصيل في العلم، أن يتلقوا الأحكام من خلال الأدلة، وأخذها بفهم السلف الصالح رضي الله عنهم، لأن الأدلة هي الحق، وما خالفها هو الباطل، فعلى طالب العلم أن يؤصِّل نفسه في هذا ويعتني بالأدلة غاية العناية فتكون عنايته بالأدلة من خلال دراسة فقه هذه الأدلة وفهمها لا من خلال مجرد النظر العابر فيها، ولكن من خلال دراستها على أهل العلم.

فهذا من المواضع التي زلت فيها أقدام أناس، وفتحوا على الناس فتحًا شديدًا جعلوا من خلاله محرمات لاشك في حرمتها جعلوها مباحات، يحذوهم في هذا ما يسمونه بواقع الناس!

الواقع يُخضع للشرع؛ لأن الواقع إذا كان خلاف الشرع فهو خطأ ينبغي أن يُعدل، ولا يؤخذ الشرع ليطرق بمطرقة الواقع حتى يعدل الشرع في زعمه وكأنه غير مناسب حتى يناسب الواقع، حتى قال بعض العابثين قاتلهم الله: إنّ الإسلام يُنظر إليه من خلال الدنيا، لا لتناسبه بل ليناسبها، عياذًا بالله يقول: الإنسان ينبغي أن يكون جاري وراء الدنيا حتى يناسبها، لا أن تخضع الدنيا لتناسبه، فينبغي الحذر غاية الحذر وألا تُتخذ مثل هذه الأمور مثل يسر الدين لا تُتخذ وسائل وذرائع للعبث بدين الله وبأحكامه، فالحق زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الحق إلى قيام الساعة، والحرام البين ذلك الوقت هو الحرام البين إلى قيام الساعة، فأما أن تتخذ الوسائل لتحليل الحرام ذلك الوقت، أو لإجراء وجعل الذي يُنظر إليه على أنه باطل، يُنظر إليه الآن على أنه حق، لاشك أن هذا من الضلال المبين.

ولهذا قال الإمام الموفق مالك بن أنس رحمه الله ورضي عنه، قال كلامًا حاصله: (أن ما لم يكن يوم بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم دينًا لا يكون اليوم دينًا)، الذي ليس من الدين زمن النبي صلى الله عليه وسلم لا يمكن أن يكون اليوم ضمن الدين، إذ الدين زمن النبي صلى الله عليه وسلم مكتمل، فما لم يكن يومئذٍ دينًا لا يكون اليوم دينًا، وهكذا ما كان محرمًا في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يكون الآن مباحا، وما كان مباحًا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لا يكون حرامًا بعده، هذا أمر ينبغي أن يُلاحظ ، وأن تُأصل الأمور من خلال النصوص: النظر إلى اليسر، النظر إلى الحلال، النظر إلى الحرام، النظر إلى الرخص والعزائم، يكون مضبوطا بالضوابط الشرعية الموجودة في هذه النصوص التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها.

ثم قال رحمه الله قول النبي صلى الله عليه وسلم: **(أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة)** أصل الحنف هو الميل، ومنه سمي إبراهيم عليه الصلاة والسلام بالحنيف لأنه مائلٌ عن الباطل إلى الحق، فأحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة؛ لأن هذا الدين بفضل الله عز و جل سمح يسر، وهو أحب الدين إلى الله، أما ما كان على الأمم السابقة من الآصار والأغلال فليس هو الأحب إلى الله وإن كان شرعًا حقًا في زمنهم، لكن في زمننا وقبلنا منذ أن بعث الرسول صلى الله عليه وسلم إلى قيام الساعة الله تعالى يحب هذا الدين السمح، فهو دين يسر، وديٌن سمح من خلال النصوص فتؤخذ سماحته ويسره من النصوص، أما أن يُحلحل يعبث به[2] فالحذر الحذر من مثل هذا..

2-حَدَّثَنَا عَبْدُ السَّلاَمِ بْنُ مُطَهَّرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ مَعْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الغِفَارِيِّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ المَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ».

في هذا الحديث عنه عليه الصلاة والسلام بيان حقيقة الحال، وأن الدين كما قدمنا مرات يسر، **(وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ)** يعني إذا أراد إنسان أن يتعمق ويتنطع فالدين يغلبه، لن يأتي إنسان يتمكن من أن يغلب الدين، فالتنطع مسلكٌ مذموم كما أن العبث مذموم، فالذي يريد أن يغالب الدين كأنه يعني لا يريد الاختصار على ما شرع الله من ذلك، بل يرهق نفسه ويجهدها فالدين يغلبه لأن مستحبات الدين ومتطلبات الدين كثيرة.

فإذا أراد أن يحيط بهذا كله حتى يغلب الدين فلا يستطيع، **(وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ)** فالمشاد هنا هو الشخص يريد أن يشاد الدين هو الفاعل فإذا شاده الدين غلبه الدين وصار المشاد مغلوبًا، ولهذا يحدث العكس، وهو أنّه قد يشاد الدين أحد ويتنطع ويتعمد ويغلو، فينقطع ويستحسر ولهذا نهى الله عز و جل عن التنطع لأن المبالغة وعن الغلو، قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ [النساء:171] هذه الآية وإن وجهت لأهل الكتاب فإنها مُرادًا بها الأمة كما قال بعض السلف مضى القوم ولم يرد إلا أنتم ولم يتحدث

[2] حلحل الشيء أزاله من مكانه ، وهنا حلحل الدين أي غيره وعبث به

إلا معكم أنتم، القوم مضوا، فالغلو في الدين مسلك معاكس كما ذكرنا قبل قليل من العبث بالدين تحت اسم التيسير، فمن غلا في الدين ولم يقنع بحكم الله تبارك وتعالى بزعمه أنه في حاجة إلى أن يزيد فإنه سيُغلب والذي يحدث أنّ الذين يشادون الدين في أحيانٍ غير قليلة ينقطعون ويعجزون هذا لاشك فيه ولكن قد يحدث العكس، وهذا من الفتن العظيمة.

ولعله من العقوبة حتى، إذا لم يرض بما شرع الله عز و جل وأراد أن يُغالب الدين فإنه يتعب فيعجز، فقد يكون من جراء ذلك وآثاره أن ينكص على عقبه، ولهذا روي من بعض المتنطعين المبالغين، نعوذ بالله من حال السُّوء أنّه رجع القهقرى على قفاه، فترك ما هو عين الواجبات، وارتكب ما هو مؤكد من المحرمات، مع أنّه مسلكه السابق عكس هذا، وذلك أنّه شاد الدين فانقطع، وكانت العاقبة وهذه هي مشكلة عدم لزوم القصد والسداد، الإنسان إذا غلا أو جفا، فإن عاقبته وخيمة، وقد يكون من آثار الغلو أن يجفو الإنسان ولهذا وجد أناسٌ ويوجدون إلى اليوم يكون لديهم ما لديهم من التنطع والشدة، والغلو والمبالغة، ثم يرجعون أعداءً للسنة والإسلام من آثار ذلك التنطع الذي دخلوا فيه وخالفوا فيه السنة ثم رجعوا القهقرى بعد أن أجهدوا أنفسهم وصاروا حربًا ضروسًا على الإسلام، فصاروا من أشد الناس تحللًا ووقوعا في المحرمات، وذلك أنّ هذا القصد الذي وجه إليه النبي صلى الله عليه وسلم في آخر الحديث هو الذي ينبغي أن يلزمه المسلم، فلا يُفَرِّط ولا يُفْرِط[3]، بحيث يلزم سنة نبي الله صلى الله عليه وسلم التي ليس فيها تقصير وليس فيها غلو وزيادة، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: **(فَسَدِّدُوا)** السداد معناه الصواب، إذا وفق الإنسان للسداد وفق للصواب، أمرهم أولًا بأن يصيبوا الأمر. طيب إذا لم يتمكن، قد يعجز الإنسان من أن يقوم بالأمر الصواب كما ينبغي، لعذر يعلمه الله منه، ما الذي يجب عليه؟ قال: **(وَقَارِبُوا)** إذا لم تستطع لعذرٍ منعك لا تستطيع أن تقيم الأمر كما ينبغي فاقترب من الحق، فقد يعجز الإنسان ولاسيما إذا كان السبب من غيره، قد يعجز عن أن يصيب الحق، كما يقع في بعض البلاد التي قد يمنع فيها دعاة السنة، وأهل السنة من لزوم السنة، فيقال إذا لم تتمكنوا وتحقق العذر الشرعي لكم فينبغي أن تقتربوا، تقتربوا قدر المستطاع من الحق، ولهذا قال: **(فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا)** قاربوا هذه لمن عجز، ثم قال: **(وَأَبْشِرُوا)** البشارة لمن أراد السنة، وطبقها كما ينبغي وهو السداد.

أو عجز ولكن عمل ما يستطيع كما قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[التغابن:16] هذا هو الذي يبشر **(فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا)** يبشر الإنسان إذا لزم السنة كما ينبغي أو عجز عن أن يلزمها كما ينبغي فاقترب قدر المستطاع من تطبيقها فليبشر في هذه الحالة، **(فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ)** الغدوة: هي في أول النهار، ومنه سمي صلاة الفجر بصلاة الغداة، لأنها أول النهار وكانوا يسمُّون الأكلة التي يأكلونها في الصباح يسمونها الغداء، بخلاف العرف الجاري الآن عندنا أن الغداء بعد الظهر هذا عرف عامي لكن من حيث اللغة إذا قيل تغدى يعني في الصباح، لأن الغدو يكون في أول النهار.

يقول: **(اسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ)** الروحة هي السير بعد الزوال، **(وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ)** ولم يقل بالدلجة، قال: **(وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ)** لأن الدلجة هي آخر الليل.

[3] يُفَرِّط : أي لا يقصر ، ولا يُفْرِط: أي لا يتعدى ويتجاوز الحد.

هذه الأوقات من أفضل أوقات المسافر، أول الصبح وبعد الزوال، وفي آخر الليل فنبه النبي صلى الله عليه وسلم العامل، إلى أن يلاحظ هذه الأوقات لأن الإنسان يكون نشيطًا فيها للعبادة في أول الصباح، وبعد الزوال، وفي آخر الليل، ولهذا قال: (وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ)، فالحاصل أن هذا الدين يسر وأنه ينبغي التسديد، فمن لم يستطع أن يُقيم الأمر كما ينبغي فليقترب وليستعن بهذه الأوقات أول الصباح، وبعد الزوال، وآخر الليل يكون الإنسان أقرب يمكن أن يعمل من العبادات شيئًا كثيرًا، كما أن هذه الأوقات، أوقات مناسبة للمسافر..

(23) بابٌ: حسن إسلام المرء

في هذا الباب يريد أن يبين أن الإيمان يتفاوت، لماذا؟ لأن الحديث كما سيأتي ذكر حال العبد إذا أسلم فحسن إسلامه، حسن الإسلام هنا يتفاوت الناس فيه تفاوتًا بينًا حتى في حسن الإسلام، فمثلًا الذين أسلموا زمن النبي صلى الله عليه وسلم وانطلقوا مجاهدين في سبيل الله كصفوان وعكرمة وخالد رضي الله عنهم ممن كانوا يقاتلون ويصدون النبي صلى الله عليه وسلم ثم لما هداهم الله إلى الإسلام أرادوا أن يكفروا ما كانوا فعلوه في أحد وفي غيرها، فأرادوا أن يحسنوا إسلامهم، حسن الإسلام هنا يتفاوت الناس فيه تفاوتًا بَيِّنًا، من الناس من تجد له في الجهاد في سبيل الله سهم، وتجد له في الصدقات سهم، وتجد له في التعبد لله بنوافل والصلوات والصوم وغيرها سهم، فيتفاوت الناس، فكون الإسلام يقول هذا حسن إسلامه، وهذا إسلامه أحسن من إسلام هذا، هذا يدل على التفاوت في الإيمان وعلى أنه يزيد وينقص..

قَالَ مَالِكٌ: أَخْبَرَنِي زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ، أَنَّ عَطَاءَ بْنَ يَسَارٍ، أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِذَا أَسْلَمَ العَبْدُ فَحَسُنَ إِسْلاَمُهُ، يُكَفِّرُ اللَّهُ عَنْهُ كُلَّ سَيِّئَةٍ كَانَ زَلَفَهَا، وَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ القِصَاصُ: الحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ، وَالسَّيِّئَةُ بِمِثْلِهَا إِلَّا أَنْ يَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهَا».

هذا الحديث علقه هنا كما ترى قال: قَالَ مَالِكٌ: ولم يذكره رحمه الله بسنده، ووصله غيره كالنسائي وغيره، فالحديث موصول ثابت لاشكّ فيه، مع أنه لم يصله رحمه الله تعالى وإنما ذكر ما بلغه منه، وهذا من أماناتهم رحمهم الله تعالى فالحديث عنده عن مالك هذا، ووصله غيره كالنسائي والاسماعيلي، وآخرون ممن ذكرهم وكذلك أبو ذر الهروي في ما صنف على الصحيح كل هؤلاء وصلوه عن مالك رحمه الله، في هذا الحديث قوله عليه الصلاة والسلام: (إِذَا أَسْلَمَ العَبْدُ فَحَسُنَ إِسْلاَمُهُ، يُكَفِّرُ اللَّهُ عَنْهُ كُلَّ سَيِّئَةٍ كَانَ زَلَفَهَا) العبد إذا أسلم قد يكون ارتكب فواحش قد يكون قتل أنفسًا، قد يكون عقّ والديه، قد يكون شرب خمورًا، فكل هذه من فضل الله عز و جل يكفرها الله عنه كل سيئة كان زلفها أي أسلفها، فإن الله تعالى يغفرها له، لأن الإسلام يجُبُّ كل شيءٍ قبله، كل شيء قبله يجبه الإسلام، حتى لو كان ما كان من الذنوب والمعاصي وهذا من واسع فضل الله ورحمته، وهذا نموذج على ماذا؟ على يسر الدين الذي تحدثنا عنه، من يسر الدين أنه ما في أحد يقال لا توبة لك، أنت عملت كذا بالمسلمين، وأذيتهم وفعلت بكتاب الله كذا وكذا لا نصيب لك في الإسلام هذا لا يقال لأحد

مطلقًا، من يسر الدين أن التوبة تقبل من أي أحدٍ أظهرها، يقول صلى الله عليه وسلم: (**و كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ القِصَاصُ**) يعني في الأعمال إذا عمل الإنسان من رحمة الله عز و جل وبالغ فضله، وبالغ قطعه للمعذرة، أنّ الحسنة تضاعف إلى عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف، بل قد تضاعف إلى أضعاف أكثر من السبعمائة.

والسيئة تكتب واحدة فقط، إذا عملها العبد كتبت عليه سيئة واحدة، وإذا عمل الحسنة لم تكتب حسنة واحدة بل ضوعفت له عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف، فإذا هلك العبد ودخل النار فذلك بسبب كثرة سيئاته، مقابل حسناته، ولهذا قال بعض السلف: ويل لمن غلبت آحاده عشراته، إذا كانت السيئة تُكتَب واحدة، والحسنة تُكتَب عشرة ثم إنّ العبد دخل النار فمعناه أنّ سيئاته أضعاف أضعاف حسناته، ولهذا يُجعل في الميزان نصيب للحسنات، ونصيب للسيئات فمن رجحت حسناته بسيئاته دخل الجنة هذه الحسنات التي ضوعفت من فضل الله ومنته، أما إذا رجحت السيئات فقد انقطعت معذرة العبد نسأل الله العافية لأنه أُعطي هذه الفرصة بأن لا تكتب عليه السيئة إلا واحدة، وتضاعف حسناته هذه المضاعفة ومع ذلك لكثرة السيئات والمداومة عليها والإصرار السنين المتطاولة عليها غلبت الحسناتِ.

فينقطع عذره أمام الله تعالى، ولهذا يوضع الميزان يرى العبد بعينه يرى نتيجة ما فعله، فمن فضل الله عز و جل إنّ الأمر على هذا الحال، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن تكثر حسناتهم وأن لا تهلكنا وتوبقنا السيئات ثم إنّه أيضًا قد يتجاوز الله لاشك السيئات تكتب بمثلها ومع ذلك قد يتجاوز الله فضلًا منه ومنّه..

(24) بابٌ: أحب الدين إلى الله أدومه

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ المُثَنَّى، حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ هِشَامٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي، عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا امْرَأَةٌ، قَالَ: «مَنْ هَذِهِ؟» قَالَتْ: فُلاَنَةُ، تَذْكُرُ مِنْ صَلاَتِهَا، قَالَ: «مَهْ، عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ، فَوَاللَّهِ لاَ يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا» وَكَانَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَادَامَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ.

ذكر في هذا الباب رحمه الله تعالى: ترجمة مأخوذة من لفظ الحديث باب أحب الدين إلى الله عز و جل أدومه، ومراده بهذا الباب والاستدلال بالحديث بيان أنّ الإيمان يُطلق على الأعمال، وأنّ الأعمال من الإيمان، لأن المراد بقوله: أحب الدين إلى الله؛ يعني أحب الأعمال، أعمال الدين، أحب أعمال الدين على الله أدومها، وإلا فالله تعالى يحب دينه كله، ولذلك شرعه ولكنه أراد أن يبين نوعًا من محاب الله عز و جل لأعمال من الدين وهي التي يدوم عليها صاحبها، فأطلق الدين على العمل، وإذا كان العمل يصح أن يطلق عليه الدين فهو جزءٌ من الإيمان بلا ريب، وهذا منه كثير رحمه الله تلاحظ يعني كثرة ما نوّع رحمه الله تعالى من الاستدلال، ومن طريقة البخاري التي تجعل كتابه من الكتب كثيرة الفائدة، فتجد أنّه ينوع الحديث ولهذا قد يروي الحديث مرات عديدة في كل مرة يُستنبط منه فائدة، رحمة

الله تعالى عليه.

أولًا فيما يتعلق بالسند؛ تلاحظُ في السند، هذا السند المتكرر كثيرًا في الصحيحين وهو؛ حدثنا هشام، أو عن هشام قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي، عَنْ عَائِشَةَ هشام هو ابن عروة وعروة هو ابن الزبير ابن العوام، وهو ابن أخت عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها، أمه هي أسماء بنت أبي بكر، ويروي عنها كثيرًا ويروي هشام عن أبيه كثيرًا ويتكرر هذا الجزء من السند في الصحيحين مرات عديدة، في الحديث أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا امْرَأَةٌ جاء في بعض الروايات أنها خرجت فلما خرجت سأل النبي صلى الله عليه وسلم عائشة عن هذه المرأة قالت: فلانة وبدأت تذكر من صلاتها، جاء في بعض الروايات أنها تصلي ولا تنام الليل، وأنها قالت: اعبد أهل المدينة أو نحو هذا، فالنبي صلى الله عليه وسلم زجر عن هذا، ولهذا قال: (مَهْ) مه؛ هذه من أسماء الأفعال التي يراد منها الزجر والكف يزجر بها ليكف الإنسان عن أمر فيقال له: مه.

(عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ) أي عليكم من الأعمال الذي تطيقونه، وتتمكنون منه، أما أن يشق الإنسان على نفسه فكما تقدم أن هذا لا ينبغي وأنّ هذا في بعض الأحيان يؤدي إلى الملال، وربما عياذًا بالله أدى إلى الانقلاب على العقب، والملل من الطاعة، والسبب أنّ الإنسان لم يسلك المسلك الرشيد السليم الذي كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الأمور، إنّ الأمور لا تؤخذ غلابًا، لأن الدين كما تقدم (لَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ) الدين أغلب، الدين أقوى، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: (عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ) أي عليكم من الأعمال بما تطيقون، (فَوَاللَّهِ لاَ يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا) وهذا الحديث يجرى كما في بقية الصفات على القاعدة، والذي يجعل البعض يستصعب مثل هذه اللفظة أنّه لم يسلك المسلك الصحيح للتعامل مع هذا النص.

فيقول: إن الملل يعني السآمة، والسآمة تدل على نوع من الضعف، نوع من الضعف عندي وعندك، عند البشر ، أما صفات الله تعالى فلا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقيسها على صفات المخلوقين، لا علمه تبارك وتعالى، ولا سمعه، ولا بصره، ولا مجيئه في القيامة، ولا نزوله في الثلث الأخير من الليل، ولا أي صفة من صفاته سبحانه وتعالى، الإنسان كما قال شيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله معلقًا على هذه اللفظة: يقول: في قوله صلى الله عليه وسلم (فَوَاللَّهِ لاَ يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا) يقول: مثل بقية الصفات، لا يشابه في ذلك المخلوقين، يليق بالله وهي من العبد ضعف، ولكن الله ليس كذلك، فلا ينبغي أن يقيس العبد مثل هذه الصفة على نفسه وهكذا بقية الصفات، ولهذا نبّه الله تعالى، في بعض المواطن على مثل هذا فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ﴾[الفرقان:58] ثم نبه سبحانه وتعالى إلى أنه لا يقاس هذا الحي بالأحياء، فقال سبحانه: ﴿الَّذِي لا يَمُوتُ﴾ لئلا يقول قائل: إنّ الله حي وأنا حي فيقال: أنت حي تموت، وأنت حيٌ مسبوقٌ بعدم، الله تعالى حيٌ لم يسبق بعدم، والذي أوجد الأشياء لا إله إلا هو وهو لا يموت سبحانه وتعالى.

وهكذا تأتي أحاديث مبينة حقيقة الصفات، لا على سبيل كنهها لأن هذا محال، ولكن حقيقة ما ينبغي أن يتعامل به مع الصفات من عدم القياس، أن لا تقاس صفات الرب على صفات العبد، يقول صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي علقه البخاري رحمه الله تعالى ووصله غيره ما مفاده أن الرب تبارك وتعالى في القيامة (ينادي بصوت يسمعه من بعُد، كما يسمعه من قرُب)، يدلك على أن الصفات لا

تقاس، لأن الصوت عند الآدميين القريب يسمع، والبعيد يقل السمع عنده حتى تصل إلى البعيد الذي لا يسمع، أما الرب سبحانه فإذا نادى فإنه ينادي بصوت يسمعه البعيد كما يسمعه القريب بالضبط، يسمعه من بعُد كما يسمعه من قرُب، فإن قلت إنّ هذا عجيب يقال هذا الذي حملك على العجب أنك تقيس الصفة منك على صفة الله تعالى.

فالرب سبحانه وتعالى لا تقاس صفاته فإذا نادى سبحانه بصوت سمعه من بعد كما سمعه من قرب فذلك لأن صفات الله سبحانه وتعالى ليست كصفات المخلوقين الذين إذا نادى الواحد منهم بصوت سمعه القريب واضحًا وصار الذي بعده أقل وضوحًا، وصار النائي البعيد يقول:لا أسمع، هذا في صفة صوت الآدمي أما في صفة صوت الرب سبحانه فإنّ البعيد والقريب في السماع سواء ما السبب؟ أن هذا صوت الله، فلا يقاس بصوت المخلوقين وهكذا بقية الصفات أشياء كثيرة يمكن أن تُذكر في هذا المقام ومن أوضحها قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ﴾ ثم قال: ﴿الَّذِي لا يَمُوتُ﴾ أما غيره تعالى فإنه حيٌ يموت.

فالحاصل أنّ هذه الأحاديث التي قالها عليه الصلاة والسلام وتلقاها الصحابة أوفر الناس عقولًا دون أن يسألوا عنها بكلمة كيف، أو يوردوا عليها الاحتمالات التي أوردها المتأخرون هذا يدل على أن هذه الصفات بلا أدنى ريب تُجرى على ما بيَّن عليه الصلاة والسلام لأن النبي صلى الله عليه وسلم هو مُبيّن عن ربه.

الواجب التعامل مع هذه الصفات على هذا النهج وعلى هذا المنحى، فقال عليه الصلاة والسلام زاجرًا عن فعل تلك المرأة التي تصلي الليل ولا تنام، قَالَ: **(مَهْ، عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ، فَوَاللَّهِ لاَ يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا)** تقول عائشة رضي الله عنها: (وَكَانَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَادَامَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ)، ذكر الشارح وقوله: وَكَانَ أَحَبَّ الدِّينِ إليه ، يمكن أن يعود إلى الله يعني أحب الدين إلى الله أدومه، وقد يراد به وكان أحب إليه أي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا منافاة فإن المحبوب إلى الله محبوب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فأحب الدين إلى الله أدومه يعني: ما دام عليه صاحبه، ولهذا جاء في الحديث **(أحب الدين إلى الله أدومه وإن قلَّ)** معنى الحديث أن كون الإنسان يستمر على عبادة يديمها ويستمر عليها، أفضل من أن يبالغ في هذه العبادة مرةً ثم ينقطع، مثاله: لو أن إنسانًا يصلي من الليل لا يصلي إلا ثلاث ركعات، أو خمس ركعات فقط، لكن يصليها كل ليلة ولا يتركها إلا لمرض أو شيء يغلبه، غيره يمكث فترة يمر عليه شهر، قد لا يصلي فيه إلا مثلًا ليلة أو ليلتين لكن يصلي ست ساعات، إذا جمعت ما صلاه هذا الشخص في ليلتين خلال الشهر وإذا به مثلًا اثنتا عشرة ساعة، في كل ليلة ست ساعات، أيهما أفضل هذا الذي لا يصلي كل ليلة إلا عشر دقائق مثلًا، أو هذا الذي صلى هذه الصلاة الطويلة؟ الذي صلى الصلاة القصيرة أفضل، وذلك أنّه دام على هذا الفعل، فالمداومة على الطاعة وإن قلت أفضل من المبالغة في الطاعة وإن طالت وكثرت ومثله الصوم، فكون إنسان مثلا يصوم ثلاثة أيام من كل شهر ويدوم على هذا، كل شهر يصوم ثلاثة أيام، الحسنة بعشر أمثالها، فيكون كأنه صام الدهر، كأنه صام شهرًا بالثلاثة أيام، بينما يأتي آخر يمر به ثلاثة أو أربعة أشهر لم يصم، ثم يقوم ويصوم عشرين يومًا من شهرٍ من الأشهر أيهما أفضل؟ الأفضل الذي يدوم على ثلاثة أيام، فهذا معنى الحديث وكان أحب الدين

إلى الله إليه ما دام عليه صاحبه الذي يستمر عليه وينهج نهجًا، دائمًا عليه وهذا الذي يرشد إليه النبي صلى الله عليه وسلم.

وهو الذي كان يفعله عليه الصلاة والسلام كان إذا عمل عملًا أثبته، صلى الله عليه وسلم إذا عمل عملًا من الأعمال لا يتركه عليه الصلاة والسلام يستمر عليه.. ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمرو فقال رضي الله عنهما **(يا عبد الله لا تكن مثل فلان كان يصلي الليل فترك قيام الليل)**، لأنّ ترك الطاعة ليس بالحسن، المقصود ترك النوافل، أما الواجبات فلا تجوز قطعًا ولهذا ينبه النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن لا تترك الطاعة وأن المداومة ولو على القليل منها أفضل من المبالغة والزيادة والإثقال والمشقة على النفس بحيث ينقطع الإنسان أو يستحسر.

فالحاصل أن البخاري مراده رحمه الله أنه يصح أن يطلق على الأعمال أنها دين، وأنها إيمان، وبالتالي فإن الأعمال من الدين..

(25) باب: زيادة الإيمان ونقصانه

حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ» قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: قَالَ أَبَانُ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، حَدَّثَنَا أَنَسٌ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مِنْ إِيمَانٍ» مَكَانَ «مِنْ خَيْرٍ».

في هذا الحديث بيان أمر الإيمان في القلوب، وأنّ القلوب تتفاضل أيّما تفاضل، فإنّ الإيمان يقل في بعضها، إلى حد أنّه لا يوجد من الإيمان إلا أدنى شيء، مقدار قليل جدًا، وهذا يتبين في القيامة، يقول صلى الله عليه وسلم: **(يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)** لأن الذي لا يقول (لا إله إلا الله) من أهل الكفر، فلا يمكن أن يخرج من النار، وهو حبيس النار عياذًا بالله إلى الأبد كما قال تعالى في الكفار:﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة:167] فهم لا يخرجون من النار أبدًا نسال الله العافية والسلامة، **(يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)** معناه أنّه مُوحِّد، وفي قلبه **(وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ)** ما في قلبه من الإيمان والخير إلا وزن هذه الحبة الصغيرة من الشعيرة وذلك يدل على نقص شديد في إيمانه، ثم قال: **(وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ)** حبة القمح الصغيرة ما في قلبه من الخير والإيمان إلا مقدار هذه الحبة، ثم قال: **(وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ)** الذَرَّة قيل أن المراد بها أقل شيء من الأشياء، أقل وزن، أقل الأشياء يقال عنها الذرة، وقيل أن المراد بها النملة الصغيرة هذا فإنّ النمل الصغير يسمى الذَّر، وقيل أنّ المراد هو أنّك إذا رأيت شُعاعَ الشمس داخلًا من كُوَّة البيت تلاحظ أنّ الغبار الصغير يتطاير في أثناء ضوء الشمس، قالوا: هذا هو وزن الذرة، قالوا: هذه هي الذرة وهذا يدل على أن ما في قلبه من الخير والإيمان قليل إلى حد شديد، في غاية القلة، لكن معه بعض منه وهو من أهل لا إله إلا الله، ومن أهل الصلاة، لابد من هذا لأنه إذا لم يكن من أهل الصلاة فالصحيح أنه لا يكون من الخارجين من

النار، والدليل قول الله تبارك وتعالى لما ذكر أهل اليمين، ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ [المدثر:38].

فهؤلاء ممن لا يُصلّي فهم باقون في النار عياذًا بالله والصحيح الذي عليه جمهورُ أهل الحديث لا العكس كما يقول البعض، أنّ الذي عليه الجمهور من المحدثين عدم تأثير الصلاة هذا غير صحيح، وهو من خطأ النقل في الأقوال الدليل الذي عليه جمهور المحدثين أن تارك الصلاة يكفر وراجع ذلك في كتاب تعظيم قدر الصلاة للإمام الجليل محمد بن نصر المروزي الذي قالوا عنه في ترجمته إنّه أعرف الناس بالخلاف و بأقوال الناس، وهو الذي حكاه عبد الله بن شقيق العقيلي رحمه الله تعالى عن الصحابة رضي الله عنهم أنّهم يرون أنّ الصلاة تحديدًا من بين جميع الأعمال مستثناة ولهذا قال: لم يكن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يرون شيئًا من الأعمال تركه كفرٌ إلا الصلاة، فكان هذا هو فعلهم.

ولهذا ترجم البخاري في كتاب الصلاة بقوله: باب ما يحقن بالأذان من الدماء، وروى الحديث عنه عليه الصلاة والسلام أن النبي صلى الله عليه وسلم إذا غزى أمسك، يعني عن غزو هؤلاء القوم، فإن سمع أذانًا وإلا أغار، إذا سمع الأذان لم يهاجمهم لأنهم مسلمون، وإذا لم يسمعهم يؤذنون علم أنهم ليسوا من المسلمين، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: لما ذكر الولاة الذين يظلمون ولا يقومون بالحق، وقال له الصحابة رضي الله عنهم: **(أفلا ننابذهم؟ قال: لا ما أقاموا فيكم الصلاة)** في اللفظ الآخر **(حتى تروا كفرًا بواحًا عندكم فيه من الله برهان)** يقول: إذا رأيتم الكُفر البواح الذي عندكم فيه من الله برهان فنابذوهم، وجاء في اللفظ الآخر **(قال: لا ما أقاموا فيكم الصلاة)** فدل أنّ ترك الصلاة كفر بواحٌ فيه من الله البرهان، فالحاصل أنّ النصوص يجب أن يجمع بعضها إلى بعض، فإنّ في النصوص ذكر حالٍ وإغفال حال في هذا النص ثم ذكر ذلك الحال المغفل في نص آخر، فيجب على العبد في هذه الحالة أن يجمع النصوص وينظر إليها نظرة واحدة، وإن أردت بيان المسألة بجلاء فإليك هذه الصورة.

ظاهر قوله صلى الله عليه وسلم **(يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ)** قال بعض الناس: إن هذا يدل على أن ترك الصلاة لا يكون كفرًا وأنه مجرد قوله لا إله إلا الله يكفي لئن يخرج من النار، إذا كان في قلبه وزن هذه البرة أو الذرة، فيقال له نعاملك بمقتضى الحديث، أرأيت لو قال لا إله إلا الله ولم يقل محمد رسول الله، يخرج من النار أو لا؟ يقول: لا، لا يخرج من أين علمت أنه لا يخرج؟ قال: لأن شهادة أن محمدًا رسول الله

لابد منها، من أين علمت أنه لابد منها؟ قال: من النصوص الأخرى الدالة على أنّه لابد من الشهادة لمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة وإلا فلا تنفعك لا إله إلا الله فيقال: وكذلك الصلاة، دلت النصوص الأخرى على أن لا إله إلا الله لا تنفع صاحبها إلا إذا كان من المصلين، وإلا فإنّه في الذين يسلكون في سقر ويكون أول جرم اعترفوا به أن قالوا: ﴿لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾.

هذا الصحيح من أقوال أهل العلم، وإن كانت المسألة محل خلاف بينهم رحمهم الله، لا تضليل فيها، ولا تفسيق ولا تبديع، لكن الصواب الذي دلت عليه الأدلة هو هذا، لأن الجمع بين هذه الأدلة يدل على ما ذكرنا الذي يجعل البعض يقول:

أنّ ترك الصلاة ليس بكفر ويرجح هذا ويستدل بمثل هذه الأحاديث أن ينظر إلى هذا الحديث وحده، دون أن ينظر إلى بقية الأحاديث نظرة متكاملة، وهذا الذي يصح أن يُنقل عن جمهور المحدثين رحمهم الله تعالى ولهذا انظر ما ينقله اللالكائي رحمه الله تعالى من الاعتقاد عن بعض الأئمة فتجد أنّه ينقل تكفير ترك الصلاة عن غير أحمد، كما يقول بعض الناس هذا قول أحمد! ليست المسألة مسألة أحمد هذا قول جماهير المحدثين قبل أحمد بن حنبل، وأحمد اشتهر بالقول رحمه الله تعالى كما اشتهر بأقوال أخرى عنه كما يقال: إمام أهل السُنّة، يعني في زمانه رحمه الله تعالى وإلا فإمامة السنة في الصحابة في التابعين قبله وفيهم من هو أجل منه بلا ريب ولا أدنى شك في هذا لكن في زمنه صار له ظهور في قوله لما وقف في المحنة رحمه الله تعالى.

فالحاصل أنّه ينبغي أن تُضم الأحاديث بعضها إلى بعض وتضم الآيات بعضها إلى بعض حتى تتضح لطالب العلم المسائل بشكل جلي واضح.

فالحاصل أن الحديث دالٌ على ما ترجم عليه البخاري رحمه الله تعالى من هذا التفاوت العظيم في الإيمان، فإنّ من الناس من لا يكون معه من الإيمان إلا وزن الذرة، وهو شيء قليل جدًا كما قلنا ووزن الشعيرة كذلك الشعيرة ووزن البره، كذلك كل هذه أوزانٌ يسيرةٌ قليلة، أين هذا من إيمان الصحابة والتابعين رضي الله تعالى عنهم؟ أين هذا من إيمان رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ الذي هو أعظم الناس إيمانًا صلوات الله وسلامه عليه، فيتفاوت كما قلنا يتفاوت مقدار الإيمان في القلوب أيما تفاوت..

(26) باب: إتباع الجنائز من الإيمان

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ المِنْجُوفِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا رَوْحٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَوْفٌ، عَنِ الحَسَنِ، وَمُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنِ اتَّبَعَ جَنَازَةَ مُسْلِمٍ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، وَكَانَ مَعَهُ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا وَيُفْرَغَ مِنْ دَفْنِهَا، فَإِنَّهُ يَرْجِعُ مِنَ الأَجْرِ بِقِيرَاطَيْنِ، كُلُّ قِيرَاطٍ مِثْلُ أُحُدٍ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهَا ثُمَّ رَجَعَ قَبْلَ أَنْ تُدْفَنَ، فَإِنَّهُ يَرْجِعُ بِقِيرَاطٍ» تَابَعَهُ عُثْمَانُ المؤَذِّنُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَوْفٌ، عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوَهُ.

هذا الباب مثل غيره من الأبواب السابقة، عمل من الأعمال من الإيمان، كما قال رحمه الله: باب قيام ليلة القدر من الإيمان، قيام رمضان من الإيمان، صيام رمضان من الإيمان، الصلاة من الإيمان، الزكاة من الإيمان، إتباع الجنائز من الإيمان، كل هذا المراد به شيء واحد أنّ الإيمان تدخل فيه الأعمال لا كما تقول المرجئة: أن الأعمال غير داخلة في الإيمان وإنّما هو القول والاعتقاد، أو الاعتقاد فقط، بل يقال هو القول والاعتقاد والعمل، والدليل واضح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مَنِ اتَّبَعَ جَنَازَةَ مُسْلِمٍ) هذا قيد على أن هذا الفضل في جنازة المسلم فقط.

(مَنِ اتَّبَعَ جَنَازَةَ مُسْلِمٍ) إتباعه لها لا على سبيل التكره والبغضاء -يعني يقول أنا أريد أن يراني أهل الجنازة[4] – ولكن اتبعها إيمانًا، واحتسابًا لهذا الأجر فقوله: (إِيمَانًا) يدل على أن هذا العمل عملٌ إيماني.

(وَكَانَ مَعَهُ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا) وفي اللفظ الآخر (حتى يصلي عليها، وَيُفْرِغَ مِنْ دَفْنِهَا) إذا حصل له هذان الأمران كتب لهم قيراطان، قيراط للصلاة، وقيراط لاتباعه لها حتى يفرغ من دفنه (كُلُّ قِيرَاطٍ) من الأجر (مِثْلُ أُحُدٍ) ، هذا يدل على فضل كبير جدًا في الصلاة على الجنازة، وفي اتباع الجنازة، (وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهَا ثُمَّ رَجَعَ) صلّى عليها في المصلى فقط ولم يتبعها (رَجَعَ قَبْلَ أَنْ تُدْفَنَ، فَإِنَّهُ يَرْجِعُ بِقِيرَاطٍ) واحد من الأجر.

(27) بَابُ: خَوْفِ الْمُؤْمِنِ مِنْ أَنْ يَحْبَطَ عَمَلُهُ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ مَا عَرَضْتُ قَوْلِي عَلَى عَمَلِي إِلَّا خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ مُكَذِّبًا.

هذا الباب فيه حذر المؤمن وخوفه، ومراقبته لنفسه أن تحبط الأعمال وهو لا يشعر، لأن هذا من المخاطر العظيمة، وحبوط الأعمال بعد أن عمل المسلم من الأعمال الصلاة، الزكاة، الصيام، الحج، ونحوها من الأعمال الطيبة، أن تفسد عليه وتبطل وترد عياذًا بالله وهو لا يشعر، كما قال تعالى: ﴿أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات:2] فقد يحبط عمل المؤمن عياذًا بالله من غير أن يشعر، ومن أشد ما يحبط الأعمال نسأل الله لنا ولكم العافية، مسائل القلوب والنوايا والمقاصد، ولهذا كان الصحابة رضي الله عنهم يحذرون حذرًا شديدًا من أمور النفاق، لا النفاق الأكبر؛ لأنهم يعلمون أنهم مسلمون، لكن يخشون من أمور النفاق القائمة على الرياء، لأن الرياء نوع من أنواع الشرك.

ومعنى الرياء: أن يُري الإنسان عمله غيره، مأخوذ من الرؤية يعني يريهم أنه يصلي صلاةً طويلة، يريهم أنّه يتصدق، ليراه الناس فقط، هذا عملٌ لاشك أنه مردود على صاحبه، فيخاف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر، لأجل مثل هذه الأمور ولهذا قال إبراهيم رحمه الله تعالى التيمي: ما عرضت قولي على عملي يعني أقول قولًا وعملي الحقيقي، يقول: ما عرضت القول الذي أدعو إليه، على العمل الذي أنا في الواقع عليه إلا خشيت أن أكون مكذبًا، أو مكذِبًا، يعني أنّه يخشى حقيقة على من يدعو إلى الله عز و جل وعلى من يأمر الناس بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ومن يخطب فيهم الخُطَب يخشى عليه أن يأمرهم بأمر ثم لا يفعله.

قد ذم الله عز و جل على هذا بقوله سبحانه وتعالى: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف:2] فهذا باب الحقيقة، ينبغي أن يلاحظه طالب العلم، وأن يحذره ويخشاه، لأنه من الأبواب الخطرة جدًا كثيرٌ من الناس بعيد جدًا عن الزنا،

[4] فبعض الناس يكره ويبغض اتباع الجنازة بمعنى يستثقل اتباع جنازة أخيه المسلم إيمانا واحتسابا لكن يتبع الجنازة لا احتسابا في الأجر ولكن ليراه أهل الجنازة الذي يستحي أن لا يروه في جنازة قريبهم

بعيد عن شرب الخمر، بعيد عن السرقة، بعيد عن قتل النفس، لأنها كبائر مفزعة، موحشة، لكن قد يتسرب ولاسيما لطلبة العلم، والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، والداعين إلى الله، قد يتسرب الشيطان عدو الله عز و جل إليهم من هذا الباب، فيدخل عليهم من هذا الباب، لأن الباب السابق باب الفواحش والخمور، والزنا ونحوها هذا باب صعب جدًا أن يولجهم منه؛ لأن عندهم من الورع وخوف الله ما يردعهم عنه، لكن يأتي من هذه المسالك الخفية، ولهذا احتاج المسلم أن يلاحظ عمله، وأن يجتهد بأن يسأل الله عز و جل أن يعيذه من الرياء، لأن الرياء مخوف كثيرًا جدًا على أهل العلم، بشكل خاص.

أما أهل القحة وقلة الأدب والبعد عن الخير، والمجاهرة بالمنكرات، فهؤلاء لا يتصور أن يقال أنهم يراءون، يراءون بماذا؟ هم أصلًا مجاهرون الفجور، والشر، لكن طالب العلم الذي قد يقول كلمةً، وتكون هذه الكلمة عياذًا بالله ممسكة بخناقه في الآخرة، لأنّه قال ما كان عليه حجة، عياذًا بالله، فمثل هذا الباب باب مخوف ولكن ينبغي عدم الوسوسة في هذا الباب، فمن الناس من قد يحمله الخوف من الرياء على أن يترك بعض الأعمال، رأى فقيرًا يقول: أنا أحب أن أتصدق، لكن أخاف أني أرائي، هذا باب لا ينبغي أن يفتحه العبد أيضًا على نفسه؛ لأن الشيطان يريد أن يصده عن الخير من هذه الجهة أيضًا، فضابط الأمر في مسائل الرياء وغيرها، بعد توفيق الله عز و جل أن الشيء الذي تعمله في الخفى فيما بينك وبين الله، إذا عملته في العلانية فلا تهتم بالشيطان، يعني إذا كنت تصلي مثلًا الصلوات، تصلي مثلًا الركعتين في خمس دقائق، في بيتك، في جوف الليل ما يراك أحد، فإذا أتيت المسجد لا تسرع تصلها في دقيقتين، تقول أخاف أني أرائي، أنت تصلي فيما بينك وبين الله هذه الصلاة، فإذا صليت هذه الصلاة في المسجد أمام الناس فأنت ما ترائي قطعًا، لأن هذه هي صلاتك في الخفاء وفي العلانية، أما أن تصلي في الخفاء صلاة طويلة، ثم إذا أتيت أسرعت، ونقرتها نقرًا، تقول: أخاف إنّي أرائي، هذا من الشيطان، ولهذا جاء عن بعض السلف رحمهم الله، أنه قال: إذا أتاك الشيطان في الصلاة وقال: إنّك ترائي فأطلها، يعني مراغمة للشيطان، لأن الشيطان يريدك أن تسرع في هذه الصلاة، وأن يفسدها عليك، حتى يتوسط العبد، فلا يرائي الناس عياذًا بالله ويظهر لهم الجميل، حتى يمدحوه، وفي الوقت نفسه لا يترك الأعمال الصالحة، يقول: أخاف من الرياء، فإن هذين البابين بابان للشيطان يدخل على بعض الناس من هذا الباب، ويدخل على البعض من هذا الباب، فيجاهد المسلم نفسه، يكابد نفسه، وعليه أن يحرص على إخفاء أعماله، لا تأتي تقول أنا فعلت، وأنا أصلي، وأنا أقرأ، وأنا من شأني أني اختم القرآن كل كذا، ومن شأني أني[الخ بل] يحرص على إخفاء عمله ما استطاع.

إلا إذا علم من نفسه وتوثق أنه بذكر عمل من الأعمال هو داعٍ غيره إليه، فإن خشي وتردد فليتركه، أما أن يترك العمل الصالح، يقول: أخاف إني أرائي فلا، لكن جاء حديث عنه عليه الصلاة والسلام فيه معتبر الحقيقة وهو قوله عليه الصلاة والسلام: **(أكثر منافقي أمتي قرائها)** يعني طلبة العلم أسأل الله العافية والسلامة، فيكثر النفاق فيهم، لأن الناس إذا رأوهم رحبوا بهم، وفرحوا بهم، وقدموهم في المجالس، وهلوا بهم، وأكرموهم، ووثقوا بكلامهم، فقد يحدث في النفوس نوع من التعاظم، والفرح بمثل هذا الشأن فقد يحمل الشيطان الواحد منّا على أن يتكلم كلامًا ليزداد الناس في تعظيمه، وليزداد أقاربه في تقريبه، وليكون هو المصدر في الكلام، فيلاحظ المؤمن هذا، يلاحظ هذا وفي الوقت نفسه لا يصده هذا عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

إياك تترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتقول أخاف إني أرائي أو يصده عن العلم، أو يصده عن العبادة فهذه كلها مسائل الشيطان يعامل الناس من الباب الذي يؤثر فيهم، لاشك أن على المؤمن أن يخاف الرياء، وكان الصحابة رضي الله عنهم يخافونه خوفًا عظيمًا، ولكن لا يكون هذا على سبيل الوسوسة، فيتوسط المؤمن، يتوسط يراقب نفسه، يلاحظ نفسه ويحرص على كتمان أعماله، لا يتحدث مثل ما يتحدث بعض الناس أن من شأنه كذا، من يضمن لك أن هذا الكلام الطويل الذي قلته في نفسك ساعة تتحدث عن نفسك أنه كله لله، وأنّك تدعو الناس إلى مثل هذا؟ فيلاحظ المؤمن هذا وفي الوقت نفسه كما قلنا لا يحمله على أن يترك العمل، ويلاحظ دائمًا من قبل الخطباء، ومن قبل الوعاظ، الدعاة إلى الله، حملة العلم يُلاحظ المؤمن أن يقول كلامًا هو فيه، قدر ما يستطيع، يعني لا يأمر الناس بأمر وهو ليس فيه، كأن يقول عليكم أن تصوموا يومًا وتفطروا يومًا، وهو ما يصوم يوما ويفطر يوما، لكن إذا تكلم في فضل هذا الأمر من حيث هو قال إنّ الصيام على درجات وأفضل الصيام أن يصوم العبد يومًا ويفطر يومًا فهو مبلغ تبليغًا.

وهذا لا إشكال فيه، لكن أن يتحدث كأنه يفعل هذا أو يفهم الناس إفهامًا أنه من الذين يصومون يومًا ويفطرون يومًا فهذا ليس بصحيح، ليس بسليم لأن هذا نوع من الرياء فيتوسط المؤمن بين هذا الحال، وبين هذا الحال..

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَرْعَرَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ زُبَيْدٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا وَائِلٍ عَنْ الْمُرْجِئَةِ فَقَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ».

المرجئة طائفة ضالة لاشك فلما خرجت زمن السلف رضي الله عنهم قاوموها، و ردوا عليها، فسئل أبو وائل رحمه الله عن المرجئة لما خرجت و هكذا ينبغي لأهل العلم، إذا خرجت مقولة، أو خرجت طائفة، هكذا الواجب على الناس أن يسألوا أهل العلم عنها، فلما خرجت المرجئة سُئل أبو وائل شقيق ابن سلمه رحمه الله تلميذ ابن مسعود فقال: : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ يعني عبد الله بن مسعود أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **(سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ)**.

وهذا رد على المرجئة، لأن المرجئة تسهل من أمر المعاصي، وترى أن المعاصي لا تضر، وعلى أن الإيمان شيء واحد، لا يضر صاحبه ما عمل، فيقال بلى هذا النبي صلى الله عليه وسلم جعل السباب من الفسق، وجعل قتاله وإن لم يكن كفرًا مخرجًا من الملة إلا أنه أطلق عليه لفظ الكفر مما يعني أنه من الأعمال المحرمة لأنه عملٌ من أعمال الكفر.

كما قلنا عدة مرات عمل الكفر لا يلزم منه أن يكون الإنسان كافرًا، يعني يكون فيه خصلة من خصال الكفر، كما يكون فيه أيضًا خصلة من خصال النفاق، ولا يلزم منه الكفر، فيقول: ردًا على المرجئة الذين يقولون: لا يضر مع الإيمان معصية، يقول: بلى هذا السباب فسّق النبي صلى الله عليه وسلم به صاحبه، وهذا القتال أطلق النبي صلى الله عليه وسلم على صاحبه الكفر الذي هو الكفر الأصغر كما

هو معلوم فكيف تكون مقالة المرجئة صحيحة؟! ..

وهذا منهج في الحقيقة، منهج عظيم جدًا في الرد، من أعظم الردود على أهل الباطل أن يُرَد عليهم بالنصوص، لأنّك إذا كنت ترد عليهم محض الرد المطلق رد عليك، فتقول: أنا ما أقول لك خالفتني، أنت خالفت رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم يخالف ما تقرره أنت، فهذا منهج عظيم في الرد، من الأمور المهمة في الرد، أن يقرر الرد على أهل الباطل من النص؛ لأنّه هو الذي يقمعهم، يقال: حسبك في البطلان، وفي الضلال، أن تخالف رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث، أن تخالف كلام الله عز و جل في قوله تعالى كذا، وهذا من أعظم المناهج في الرد بلا ريب..

(28) بَابُ: سُؤَالِ جِبْرِيلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَالْإِحْسَانِ وَعِلْمِ السَّاعَةِ

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا أَبُو حَيَّانَ التَّيْمِيُّ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: مَا الإِيمَانُ؟ قَالَ: «الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَبِلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ قَالَ: مَا الإِسْلاَمُ؟ قَالَ: الإِسْلاَمُ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ، وَلاَ تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، قَالَ: مَا الإِحْسَانُ؟ قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ، قَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: مَا المَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَسَأُخْبِرُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا: إِذَا وَلَدَتِ الأَمَةُ رَبَّهَا، وَإِذَا تَطَاوَلَ رُعَاةُ الإِبِلِ البُهْمُ فِي البُنْيَانِ، فِي خَمْسٍ لاَ يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ ثُمَّ تَلاَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾[لقمان: 34] الآيَةَ، ثُمَّ أَدْبَرَ فَقَالَ: رُدُّوهُ فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا، فَقَالَ: هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ يُعَلِّمُ النَّاسَ دِينَهُمْ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: جَعَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ مِنَ الإِيمَانِ.

أبو عبد الله هو البخاري رحمه الله تعالى. النبي صلى الله عليه وسلم كان مرة بارزًا للناس فأتاه جبريل وكان بغير صورته، في هيئة رجل، كما جاء في الحديث الآخر في اللفظ الآخر، **(بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ طلع علينا رجلٌ) ظنوه رجل من الرجال من البشر، (شديد سواد الشعر، شديد بياض الثياب)** إلى آخر الحديث فالحديث طويل، سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان، وسأله عن الإسلام في نفس الوقت، وقلنا أنّ الإيمان والإسلام إذا اجتمعا صار لكل واحد منهما معنى، فأخبره عليه الصلاة والسلام عن أنّ الإيمان في هذا الموطن هو الأعمال الباطنة **(أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَبِلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ)** وفي اللفظ الآخر، **(تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر)**.

(قَالَ: مَا الإِسْلاَمُ؟ قَالَ: الإِسْلاَمُ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ، وَلاَ تُشْرِكَ بِهِ) وذلك يعني (لا إله إلا الله)، هذا اللفظ يفسر معنى (لا إله إلا الله)، معناها عبادة الله دون شريك لا معبود حقٌ إلا الله، لأن في هذا اللفظ **(أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ، وَلاَ تُشْرِكَ بِهِ)**، وفي اللفظ الآخر قال: لما سأله عن الإسلام **(أن تشهد أن لا إله إلا الله)**، فمعنى لا إله إلا الله أن تعبد الله ولا تشرك به، **(وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ**

(رَمَضَانَ) وفي اللفظ الآخر أيضًا أنّه ذكر الحج ولاشك أنّ الحج من ضمن هذه الأركان.

فسأله عن الإحسان: فأخبره أن الإحسان أن تعبد الله كأنك ترى رب العالمين سبحانه وتعالى، كأنّك تراه إذا صليت كأنّك تراه سبحانه وتعالى، فإن لم تكن تراه لأن لا يمكن أن يراه أحد البتة في الدنيا، إن لم تكن تراه فلاحظ أنّه يراك، فإذا وفقت لهذا فإنك تؤدي الأداء للعبادة بالإحسان.

فسأله عن الساعة فقال عليه الصلاة والسلام وهو أفضل الرسل جوابًا لسؤال أفضل الملائكة (مَا المَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ) فإذا لم يعلم بخبر الساعة أفضل البشر وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعلم بها أفضل الملائكة وهو جبريل فغيرهما لاشك من باب أولى، لأنّ هذه من الأمور التي استأثر الله تعالى بعلمه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ [طه:15] وهي من الخمس التي لا يعلمهنّ إلا الله المذكورة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ [لقمان:34]إلى آخر الآية.

لكن قال: سأخبرك عن أشراطها، يعني علاماتها، (إِذَا وَلَدَتِ الأَمَةُ رَبَّهَا) وفي بعض الروايات: (أن تلد الأمة ربتها يعني سيدتها)، بأن يتسرى الناس من يكثر فيهم الجواري فتلد الجارية من يكون ربًا وأميرًا وسيدًا في الناس، هذا من ضمن ما قيل في المعنى قول أن تلد الأمة ربتها وإن كان فيه كلام طويل في المراد بقوله: (أن تلد الأمة ربتها)، أو أن تلد الأمة كما في اللفظ هنا (رَبَّهَا) أي سيدها، أن تلده بحيث يكون سيدًا ويكون أميرًا مطاعًا يسود الناس لاحقًا فيكثر هذا من أبناء الإماء تكون علامة من علامات الساعة، (وَإِذَا تَطَاوَلَ رُعَاةُ الإِبِلِ البُهْمُ فِي البُنْيَانِ) رعاة الإبل عادة في البرية، وحالهم شديد لهذا قال في بعض الروايات (أن ترى الحفاة) يمشون بلا نعال، (العراة العالة الفقراء رعاء الشاة يتطاولون في البينان) تغير حالهم، فصاروا يبنون البنايات الطويلة المشمخرة فهذه من علامات الساعة.

ثم تلا النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ التي في آخر سورة لقمان ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾ إلى آخرها، ثم أدبر يعني جبريل، ذهب هذا الرجل فقال عليه الصلاة والسلام للصحابة ردوه أي أرجعوه فذهبوا يلتمسونه فلم يجدوا أحدًا، لأنه ليس من الرجال البشريين المعتادين ولكن أتى على صورة رجل، فقال عليه الصلاة والسلام: (هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ يُعَلِّمُ النَّاسَ دِينَهُمْ).

قال البخاري رحمه الله: جَعَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ مِنَ الإِيمَانِ، كل هذا من الدين، الصلاة والزكاة، والصوم، والحج، والمسائل هذه كلها ضمن دين العبد وضمن الإيمان الذي يلقى الله به.

(29) بَابُ: فَضْلِ مَنْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ

من استبرأ لدينه طلب البراءة، طلب السلامة، والعافية في دينه، هذا فضله في الحديث الآتي أنّ الإنسان يستبرأ يحرص على أن يجد البراءة والسلامة والعافية في دينه.

حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، حَدَّثَنَا زَكَرِيَّاءُ، عَنْ عَامِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «الحَلاَلُ بَيِّنٌ، وَالحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى المُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ: كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلاَ إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ».

نعم، هذا الحديث في بيان الورع الذي ينبغي أن يكون عليه العبد، لأنّه إذا كان من الورعين الذين إذا اشتبهت عليهم المسائل تركوها فهذا من دلالة إيمانه،

يقول صلى الله عليه وسلم: **(الحَلاَلُ بَيِّنٌ)** يعني واضح، مثل أكل الطعام الطيّب واضح ما يحتاج تسأل عنه طبعًا كأكل الخبز، أو أكل التمر واضح، حلال.

والحرام الجلي الواضح أيضًا بيّن، كالسرقة والفواحش بيّنة واضحة، لكن بين الحلال، وبين الحرام أمور تشتبه، لا يعلمها كثير من الناس لا يدري هل هي من الحلال فيُقدم عليه، أو من الحرام [فيُعرض عنه]، ما الحل مع هذه الأمور المشتبهة؟ أن يتقيها العبد ويتركها **(فَمَنِ اتَّقَى المُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ)** صار في السلامة وعافية، لدينه وعرضه عند الناس، **(وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ)** في اللفظ الآخر **(وقع في الحرام)** لأنّ التساهل في هذه الأمور المشتبهة يجر الإنسان إلى أن يقع في الأمور المحرمة حرمة بيّنة، ثم ذكر النبي صلى الله عليه وسلم هذا المثال: قال: **(كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى)** كانوا يحمون مثلًا إبل الصدقة قديمًا، إبل الصدقة التي تكون للفقراء يأتون فيقولون هذه المنطقة التي فيها الرعي هذه لا يدخل بها أحد، لا يدخل أحدٌ فيها إبله، لأنها خاصة مثلًا بإبل الصدقة، لماذا؟ لأن فائدتها تعود على الفقراء، لأن هذه الإبل إبل الزكاة التي يؤديها الأغنياء من أهل الزكاة،أو من الأغنام يحمون حمى فترعى فتكون لصالح الفقراء، أما الغني فعنده راعي يذهب بعض المسافة ولديك راعي فتجد الكلاء غير هذه المنطقة، هذه المنطقة ترى محمية، فتكون محمية لهذا الغرض، يقول عليه الصلاة والسلام مبينًا أمر المشتبهات يقول: إنّ الراعي الذي يرعى حول الحمى الأمر المنهي عن دخوله، يوشك أن يقع فيه، قريب منه المحمي مثلًا موضوع عليه علامات، ما أسرع ما يدخل بإبله أو بأغنامه إلى داخل هذا الأمر الذي حمي ومنع منه، **(كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى)**.

عادة الملوك يحمون مواضع معينة والعادة أنها تحمى لمصلحة المسلمين، مثل ما تقدم، الذي يرعى حولها لاشك أنّه يقرب من أنّه يقع في هذا الحمى،**(أَلاَ إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ)** المحارم هذه، على العبد أن يبتعد عنها، فهي الحمى الذي جعله الله في الأرض فعلى العبد أن يبتعد كما أن يطلب من الذين يأتون بإبلهم قرب المناطق المحمية يطلب منهم أن يبعدوا، فكذلك أنت

ابعد عن المحرمات فإنها حمى الله في أرضه ثم قال: (أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً) قطعة لحم صغيرة لكن سبحان الله هذا القلب إذا صلح، صلح الجسد كله، وإذا فسد، فسد الجسد كله، وهذا يدل على ماذا؟ على ارتباط الظاهر مع الباطن، وعلى أنّ الإيمان يتعلق بالاعتقادات الباطنة، ويتعلق أيضًا بالأمور الظاهرة، فإن من فسد ظاهره وقال: قلبي طيب! نحن ما نعلم عن قلبك، لكن الذي ظهر لنا من فعلك بشهادتك الزور، بشربك للخمور، بسرقتك، بإيذائك للناس إنّك فاسد، وقلبك إلى الله عز و جل هذا الذي ظهر منك، لأنّه إذا صلح القلب، صلح الجسد كله وإذا فسد القلب فسد الجسد كله.

(30) بَابٌ: مَا جَاءَ إِنَّ الْأَعْمَالَ بِالنِّيَّةِ وَالْحِسْبَةِ

فَدَخَلَ فِيهِ الْإِيمَانُ وَالْوُضُوءُ وَالصَّلَاةُ وَالزَّكَاةُ وَالْحَجُّ وَالصَّوْمُ وَالْأَحْكَامُ.

الأعمال كلها حسب نية العبد، الأعمال بالنيّة، حسب نية العبد حسب احتسابه، كل عمل يعمله، فإذا احتسبه وجده، إذا كان مما شرع له، فيدخل في هذا ماذا؟ يدخل الإيمان، يدخل في هذا الوضوء مثلًا وعمله، يدخل في هذا الصلاة والزكاة والحج والصوم، جميع الأحكام، وجميع الأحكام يدخل فيها الأحكام التي تفعل فعلًا والأحكام التي تترك، فتركك للزنا، تركك للغش، تركك للكذب، تركك للاختلاس، تركك للسرقة هذا عبادة من العبادات، إذا تركتها لله تبارك وتعالى فهذه عبادة، مثل ما أنّك إذا صليت وإذا طفت بالبيت وإذا أدّيت الزكاة، فهذه أعمال عبادة وتلك الفروض من العبادة، فيدخل هذا كله بحسب كون الإنسان ينوي بهذه النية الطيبة المراد بها التقرب إلى الله.

1-حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَقَّاصٍ، عَنْ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَلِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ».

الأعمال حسب النية، قد تكون صورة العمل في الظاهر طيبة، لكن أفسدتها النية، ولهذا يصلي اثنان أحدهما مؤمن، فيرفعه الله عز و جل بصلاته تلك رفعة عظيمة، وقد يغفر له في تلك الصلاة، ويصلي الآخر إنما حمله على الصلاة النفاق، كحال المنافقين زمن النبي صلى الله عليه وسلم فمع أنهما يصليان يعملان نفس الأعمال بالظاهر، يركعان، يسجدان، يقومان، يجلسان، يسلمان، لكن يفرقهما النية فرق عظيم جدًا في أمر النية، (الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَلِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ) ذكر الهجرة أن يهاجر من بلاد الشرك إلى بلاد الإسلام، هجرته غرضه منها أن يصيبها دنيا أو أن يتزوج امرأة، كما ورد أن رجلًا سمي بمهاجر أم قيس،

هاجر معهم ليتزوج امرأة في المدينة كانت هذه المرأة تسمى أم قيس، فكانت هجرته يريد الزواج من هذه المرأة فقال عليه الصلاة والسلام: **(فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ)** على حسب النية **(وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا)** يريد مثلًا يتزود مالًا، يكسب جاهًا أو امرأة يتزوجها، كأم قيس هذه **(فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ)** حسب نيته مع أن الجميع هاجر كلهم هاجروا، لكن فرقتهم النية..

2-حَدَّثَنَا الحَكَمُ بْنُ نَافِعٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَامِرُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فَيِّ امْرَأَتِكَ».

فِي فِي امرأتك يعني في فم امرأتك، في هذا الحديث أنه عليه الصلاة والسلام في خبر سعد الطويل..أراد أن يتصدق بماله لأنّ ما كان له إلا بنتٌ واحدة، فمنعه النبي صلى الله عليه وسلم ..أراد أن يتصدق بالثلثين، ويبقي للورثة الثلث فقط، فأبى صلى الله عليه وسلم فأراد أن يتصدق بالنصف، فأبى، **(فقال: الثلث يا رسول الله، قال: الثلث والثلث كثير)**، وأخبره عليه الصلاة والسلام أنّه مهما أنفق إنّك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله، إلا أُجرتَ عليها، كل نفقة تنفقها تريد بها وجه الله عز و جل كأن تُنفق على فقير أو أن تُنفق تشترك في مشروع من مشاريع الخير في مساجد في مصاحف، حتى لو بناء قناطر وسدود للمسلمين كل هذا إذا احتسبه العبد فهو له صدقة، فيؤجر عليها قال: حتى ما تجعله في في امرأتك، (في) الأولى هذه الحرف المعروف، حرف جر، (في) الثانية المراد بها الفم، وهو في الرفع يقال: فو المرأة، يعني فمها، لكن لما دخلت في قبلها لابد من جرها فقال: في في امرأته يعني في فمها ..

(31) بَابُ: قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "الدِّينُ النَّصِيحَةُ... لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ"

نعم الدين هو النصيحة، لعظم شأن النصيحة، كما قال عليه الصلاة والسلام: (الحج عرفة) فالدين مدار كبير منه على النصيحة، النصيحة لمن؟ لله، بأن تؤدّي حقه سبحانه وتعالى فتكون نافعًا نفسك، أما الله فلا ينتفع سبحانه وتعالى لا بطاعتك ولا يتضرر من معصيتك، الدين النصيحة، فتنصح لله عز و جل بأداء أوامره وترك نواهيه.

ولكتابه أيضًا كما في حديث تميم الداري، عن هذا حديث في مسلم النبي صلى الله عليه وسلم قال فيه: **(الدين النصيحة، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)** كتاب الله النصيحة له بتنفيذ ما فيه، والعمل وإعطائه حقه، أما هجره

فكما قال تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾[الفرقان:30].

ليس هذا من النصيحة لكتاب الله.

وهكذا النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بإتباعه والذود عنه، والدفاع عن سنته، صلى الله عليه وسلم ونشرها صلوات الله وسلامه عليه.

ولأئمة المسلمين يعني حُكّامهم، الذين يكونون ولاة عليهم، بأن ينصح لهم العبد، ينصح لهم في السر وفي العلانية، ينصح لهم بأن يدعو الله لهم بالتوفيق، فإذا وُفِّقوا وسُدِّدوا وأصلح الله لهم البطانة ترتب على هذا خير كبير للمسلمين، وإذا لم يُسَدَّدوا ولم يُوَفّقوا وصارت البطانة من حولهم سيئة تضرر الناس، فيحرص المسلم على الدعاء لهم، على أنّ يوفقوا في بطانة صالحة خَيِّرة، وأن يسددهم الله ويهديهم الله ويقربهم من الخير، ويجعلهم رحمة لهؤلاء الرعية، وأن يجعلهم من المطبّقين لشرعه، يحرص على هذا وينصح لهم أيضًا بتنبيههم على ما يحتاج إلى التنبيه عليه من الأخطاء والأغلاط سواء التي تقع منهم، أو التي تقع ولا يعلمونها، كأن تقع بدعة يحدث منكر من المنكرات فيبلغهم حتى يزيلوا هذا المنكر، سواء إبلاغا مباشر أو عن طريق غيرهم ممن يصل إليه من العلماء ومن حولهم، وعامتهم أيضًا ينصح لعامة المسلمين لجميع المسلمين فالموفق لهذا كله قد قام بشيء عظيم لا شك من دينه، نصح لله ولكتابه ولرسوله وللمسلمين حُكَّامًا ومحكومين..

1-حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ: حَدَّثَنِي قَيْسُ بْنُ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: «بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى إِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ».

هذا هو مقتضى الحديث ما علاقة الباب بالإيمان؟ بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدِّينُ النَّصِيحَةُ هذه الأمور كلها من الأعمال، وقد سماها النبي صلى الله عليه وسلم دينًا فدل على أن الإيمان يدخل فيه العمل بلا شك. بايع هذا الصحابي الجليل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه البيعة العظيمة، بايعه على إقام الصلاة، إيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم، بايعه على **(إِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ)**، ما ينصح لمن يحب أو ينصح لمن هم على لسانه، أو من قبيلته، أو من جماعته، أو من بلده وإنما ينصح لكل مسلم في ماذا؟ في كل شيء، فيتفقه في أمور الدين وينصحهم بالحلال والحرام، ينصح لهم حتى في أمور دنياهم، كأن يعلم مثلًا أنّ هذه البضاعة التي اشتراها مغشوشة، يقول: هذه البضاعة مغشوشة لا تشتريها، وينصح حتى للبائع يقول: ليس لك أن تبيع مثل هذه البضاعة المحرمة، أنت الآن تغش الناس وله أن ينصح أيضًا وينصح المسلم الذي يريد أن يشتريها، وغير ذلك من أمور الناس في مسائل دينهم ودنياهم، والنصح لكل مسلم، وقد جرى لجرير رضي الله عنه قصة عجيبة بعد هذه البيعة فقد جاء لرجل يريد أن يبيع فرسًا له بأربعمائة دينار، قال: جرير تبيع، قال: نعم. خلاص تمت البيعة، قال: فرسك يزيد على هذا يساوي أكثر كيف تبيع بأربعمائة؟ تبيع بخمسمائة؟ قال: نعم الذي يريد أن يبيع بأربعمائة سيزيد مئة قطعًا سيبيع، قال: نعم أبيع بخمسمائة، قال: فرسك يساوي أكثر، تبيع بستمائة؟ قال: نعم، قال:

يساوي أكثر، تبيع بسبعمائة؟ قال: نعم قال: يساوي أكثر، تبيع بثمانمائة؟ قال: نعم فاشتراه بثمانمائة؛ لأن الثمانمائة هي قيمته الحقيقية.

والبائع كان لديه شيء من الجهالة بقيمة فرسه، فاستغرب وسأله قال: إنّي بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم، ما آتي وأهتبل[5] غفلته وأنه لا يعرف أمور البيع وأقول هذا رجل لا يفهم أصول البيع وهذه فرصة لأشتري قال: بل أقول له أنت الآن مغبون بعت بنص القيمة، وتستطيع أن يساوي هذا الفرس ثمانمائة، فهذا من نماذج تطبيقهم رضي الله عنهم لهذه البيعة.

نسأل الله بأسمائه وصفاته أن يرزقنا وإياكم العلم النافع والعمل الصالح والله تعالى أعلم وصلى الله وسلم على محمد وآله وصحبه.

[5] بمعنى استغل وأنتهز فرصة غفلته

فهرس المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
تفسير سورة المؤمنون	
آيات سورة المؤمنون	1
محور السورة	4
المقطع الأول: صفات المؤمنين	4
المقطع الثاني: أدلة وحدانية الله	10
المقطع الثالث: الإيمان بالرسل وموقف أقوامهم منهم	17
المقطع الرابع: تفرق الأمم بعد رسلهم	32
المقطع الخامس: مزيد من أدلة إثبات وحدانية الله وقدرته	47
المقطع السادس: من مشاهد يوم القيامة	55
المراجع	64
أحاديث كتاب البخاري وشروحها	
مقدمة صحيح البخاري	65
مقدمة كتاب الإيمان	66
محور الإيمان حقيقته وثماره	67
الباب الأول : باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «بُني الإسلام على خمس»	76
الباب الثاني : باب أمور الإيمان	76
الباب الثالث : باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده	78
الباب الرابع : باب: أي الإسلام أفضل؟	78
الباب الخامس : باب: إطعام الطعام من الإسلام	79
الباب السادس : باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه	80
الباب السابع : باب: حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان	81
الباب الثامن : باب: حلاوة الإيمان	85
الباب التاسع : باب: علامة الإيمان حب الأنصار	86
الباب العاشر : باب: من الدين الفرار من الفتن	89
الباب الحادي عشر : باب من كره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقى في النار من الإيمان	90
الباب الثاني عشر: باب: تفاضل أهل الإيمان في الأعمال	90
الباب الثالث عشرة : باب: الحياء من الإيمان	94

الباب الرابع عشرة : باب: ﴿فَإِن تَابُوا وأَقَامُوا الصَّلاةَ وآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾	95
الباب الخامس عشرة: باب: من قال إن الإيمان هو العمل	96
الباب السادس عشرة: باب إفشاء السلام من الإسلام	97
الباب السابع عشرة: باب كفران العشير وكفر دون كفر	98
الباب الثامن عشرة: باب قيام ليلة القدر من الإيمان	102
الباب التاسع عشرة: باب: الجهاد من الإيمان	104
الباب العشرون: باب: تطوع قيام رمضان من الإيمان	105
الباب الحادي و العشرون: باب: صوم رمضان احتسابًا من الإيمان	106
الباب الثاني و العشرون: باب: الدين يسر	107
الباب الثالث و العشرون: باب: حسن إسلام المرء	111
الباب الرابع و العشرون: بابٌ: أحب الدين إلى الله أدومه	113
الباب الخامس و العشرون: باب: زيادة الإيمان ونقصانه	115
الباب السادس و العشرون: باب: إتباع الجنائز من الإيمان	117
الباب السابع و العشرون: بَاب: خَوْفِ الْمُؤْمِنِ مِنْ أَنْ يَحْبَطَ عَمَلُهُ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ	118
الباب الثامن و العشرون: بَاب: سُؤَالِ جِبْرِيلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَالْإِحْسَانِ وَعِلْمِ السَّاعَةِ	121
الباب التاسع و العشرون: بَاب: فَضْلِ مَنْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِه	123
الباب الثلاثون: بَاب: مَا جَاءَ إِنَّ الْأَعْمَالَ بِالنِّيَّةِ وَالْحِسْبَةِ	124
الباب الواحد و الثلاثون: بَاب: قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "الدِّينُ النَّصِيحَةُ... لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ"	125

١٤٣٦-١٤٣٧ هـ